

القولُ الفضلُ

في حكمة

الاحتفال

بمولد خير الرسل

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

فضيلة الشيخ

إسماعيل بن محمد الفوزاني

رحمه الله تعالى

مكتبة الشريعة

تأليف



القول الفصل في حكم
الإحتفال بمولد خير الرسل
صلى الله عليه وسلم

تأليف
فضيلة الشيخ
إسماعيل بن محمد الأنصاري

طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
وكالة شؤون المطبوعات والنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

③ وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري، إسماعيل محمد

القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل صلى الله عليه وسلم.

٣٣١ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧-٣٨-٠٢٩-٩٩٦٠

١- المولد النبوي ٢- البدع في الإسلام أ- العنوان

١٦/٠٦٥٤

ديوي ٢١٢,٣

رقم الإيداع: ١٦/٠٦٥٤

ردمك: ٧-٣٨-٠٢٩-٩٩٦٠

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم
فهرس كتاب القول الفصل
في حكم الإحتفال بمولد خير الرسل

مقدمة تحتوى على مايلي :

- ١ — تلخيص كلمة سماحة العلامة الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حكم الإحتفال بالمولد ٢٧
- ٢ — نص تلك الكلمة ٢٨
- ٣ — بيان الذين أثاروا الضجة حول تلك الكلمة القيمة ٣٢-٣١
- دعوى أن الإحتفال بالمولد ليس من مخترعات المتسمين بالفاطميين وإنما اخترعه صاحب إربل ٣٢
- الاستدلال للإحتفال بالمولد بآية «قل بفضل الله وبرحمته» الآية ٣٢
- التعلق بتخريج الحافظ ابن حجر في فتواه في المولد عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء وخطأ الرفاعي في عزو تلك الفتوى الى الهيتمي ٣٣
- التعلق بتخريج السيوطى عمل المولد على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه ٣٣
- التعلق بتخريج عمل المولد على ما جاء عن عروة في تخفيف العذاب عن أبي لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثوية حينما بشرته بولادة خير الخلق ٣٦
- دعوى أن أول من احتفل بالمولد وهو صاحب إربل ملك عادل ذكر ابن خلكان وسبط ابن الجوزي نتفاً من إحتفاله به ٣٧
- ثناء أبي شامة على صاحب إربل لإحتفاله بالمولد وتأليف ابن دحية وهو من العلماء كتابا في المولد ٣٧
- كلام لشيخ الإسلام في الإقتضاء استدلل به الشيخ محمد بن علوي بعد تصرفه فيه ٣٨-٣٧
- ثناء ابن بطوطة في رحلته على بعض قضاة مكة أيام وصوله إلى مكة بإحتفاله بالمولد النبوى ٣٨
- قياس الإحتفال بالمولد النبوى على الإحتفالات التي تقام للرؤساء إحياء للذكرى

- دعوى أن الاحتفال بالمولد إذا لم يقتصر فيه على وقت معين لاجرح فيه ٣٩
- دعوى أن للإمام ابن كثير مصنفات عديدة في الاحتفال بالمولد ذكر بعضها صاحب كشف الظنون وبعضها ابن فهد ٤٠
- دعوى أن علماء الاقطار استحسنوا الاحتفال بالمولد وقد ورد في الحديث «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» ٤٠
- الاستدلال بأن المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي وهي أمور مطلوبة شرعا ٤٠
- الاستدلال لزيارة أهل مكة ليلة المولد للمولد المكنى واحتفالهم به بما ورد في بعض روايات حديث الاسراء ان النبي صلى ركعتين ليلة الاسراء ببيت لحم بأمر جبريل ٤٣
- معارضة الأحاديث الثابتة في ذم البدع بحديث «من سن سنة حسنة» ٤٣
- معارضتها بأثر ابن مسعود «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» الحديث ٤٤
- معارضتها بإجماع السلف الصالح على جمع القرآن وكتبه في المصاحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية ٤٥
- معارضتها بتقسيم من قسم من أهل العلم البدعة الى أحكام الشريعة الخمسة ٤٥
- معارضتها باستعمال المسلمين السلاح المتطور ٤٨
- «إثبات أن الاحتفال بالمولد لم يقع من السلف الصالح» قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ٤٩
- رسالة العلامة تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني واعتماد العدوى وعليش عليها ٤٩
- فتوى الأستاذ أبي عبد الله الحفار المالكي في ذلك ٥٣
- قول المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ٥٤
- قول الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب والجواب عما قد يتوهم منه خلافة ٥٤
- قول العلامة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ٥٥
- قول السيد علي فكري ٥٥

- ٥٥ قول الشيخ محمد بن عبد السلام الشقيرى
- ٥٧ قول ابن الحاج في المدخل
- ٥٨ قول الحافظ أبى زرعة العراقى
- ٥٨ قول الحافظ ابن حجر العسقلانى
- ٥٨ قول السخاوي في فتاويه
- ٥٨ قول ابن الطباخ
- ٥٨ قول ظهير الدين التزمى
- تقرير أن ترك ماتركه النبي صلى الله عليه وسلم سنة مما يدل على عدم احتفال
السلف الصالح بيوم المولد النبوى اختلافهم في تحديده
- ٦٠ كلام أبى عبد الله الحفار في ذلك
- ٦٠ كلام ابن كثير في الخلاف في تحديد يوم المولد النبوى
- ٦١ كلام القسطلانى في المواهب اللدنية في ذلك
- صاحب إربل يحتفل بالمولد سنة في ثامن شهر ربيع الاول وسنة في ثاني
عشر ربيع الأول مراعاة للخلاف في تحديده
- ٦١ ابن الحاج والفاكهاني يقرران أن الشهر الذى ولد فيه النبي صلى الله
عليه وسلم هو بعينه الشهر الذى مات فيه فليس الفرح بأول من
الحزن فيه
- ٦٢-٦٣ إثبات أن بنى عبيد القداح أول من احتفل بالمولد
- ٦٤ كلام المقرئى في ذلك
- ٦٤ كلام القلقشندى فيه
- ٦٧ كلام مفتى الديار المصرية محمد بخيت المطيعى فيه
- ٦٧ كلام على محفوظ في الابداع في مضار الابتداع فيه
- نص كتاب «المعز لدين الله» تأليف الدكتورين حسن ابراهيم حسن
وطه أحمد شرف في احتفالات بنى عبيد القداح بالمولد
- ٧٠ نص تأليف مختار العبادى في التاريخ العباسى والفاطمى
- ٧٢ الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بيوم المولد
- ٧٣ الجواب عن الاستدلال بآية «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا»
بأن ذلك من حمل النص على مالم يحمله عليه السلف الصالح والعمل به

- ٧٣ على غير الوجه الذى عملوا به وهما ممنوعان
- كلام الشاطبى في الموافقات في منع حمل النص على مالم يحمله عليه
- ٧٣ السلف الصالح والعمل به على غير الوجه الذى عملوا به
- ٧٧ كلامه في الاعتصام في ذلك
- ٧٧ كلام الحافظ ابن عبد الهادى في الصارم المنكى فيه
- ٧٧ كلام مختصر الصواعق محمد بن الموصلى فيه
- تفسير ابن القيم آية «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» وهو حجة
- ٧٨ على من يستدل للاحتفال بالمولد بها
- ٧٨ الجواب عن تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء
- تلخيص جواب السيد رشيد رضا عن فتوى ابن حجر العسقلاني في عمل
- ٧٩ المولد التي جاء فيها ذلك التخريج
- الجواب عن تخريج عمل المولد على ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم
- ٨٠ علق عن نفسه بأنه غير ثابت
- ٨٠ قول مالك في ذلك الحديث
- ٨١ قول عبد الرزاق فيه
- ٨١ قول الامام أحمد بن حنبل فيه
- ٨١ قول ابن حبان فيه
- ٨٢ قول البزار فيه
- ٨٢ قول البيهقي فيه
- ٨٢ قول النووى فيه
- ٨٣ قول الحافظ أبى الحجاج المزى فيه
- ٨٣ قول الذهبي فيه
- ٨٣ قول ابن حجر العسقلاني فيه
- ٨٤ قول الزرقاني فيه
- الجواب عن تخريج عمل المولد على ماورد عن عروة في تخفيف العذاب
- عن ابى لهب لاعتاقه ثوية حينما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه
- ٨٤ وسلم
- ٨٤ الاجابة عنه بأنه مرسل كما يظهر من سياقه عند البخارى
- ٨٥ الاجابة عنه بأنه رؤيا منام فلا حجة فيه

- الاجابة عن ذلك المرسل بمخالفته لما عند أهل السير وهو أن اعتاقه اياها
 ٨٥ كان بعد الارضاع بدهر طويل
- الاجابة عن ذلك المرسل بمخالفته ظاهر القرآن وبيان التفرقة بين قضية
 ٨٧ ابي طالب وقضية ابي لهب
- الجواب عن احتفال صاحب إربل بالمولد ومايتعلق بذلك
 ٨٧ جواب سماحة المفتى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ عنه بان فعله
 ٨٧ ذلك يعارض الأحاديث الثابتة في ذم البدع فلايقبل
- طعن سماحته في صاحب إربل بمحبته للسمع وايراد ماهو صريح
 في ذلك ٨٨
- طعن ياقوت في صاحب إربل بان طباعه مختلفة متضادة وبأنه غير متزن
 ٨٨ ايضاح ان صاحب إربل قد سبقه إلى الاحتفال بالمولد بنو عبيد القداح
 ٨٨ والشيخ عمر ابن محمد الملا بالموصل وبعمر هذا اقتدى صاحب إربل
- عدم اعتبار ايراد ابن خلكان نتفاً من مظاهر صاحب إربل بالمولد لما في
 تاريخه من أمور غير مرضية ٨٩
- إنكار أهل العلم على ابن خلكان ذكره في تاريخه انتياب الناس للقبور
 وتبركهم بها ٨٩
- انكارهم عليه أنه يطيل تراجم الشعراء ويترجم العلماء ترجمة يسيرة
 ويترك بيان زندقة الزنادقة ٨٩
- عدم تجريح ابن خلكان ابن الراوندى المشهور بالزندقة ومعاقبة ابن كثير
 اياه على ذلك وترجمة ابن كثير لابن الراوندى ٩٠
- تعجب ابن العماد في شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٥ من سكوت ابن
 خلكان عن الحاد ابن الراوندى مع اطلاعه عليه ٩١
- ايراد ترجمة ابن الراوندى في تاريخ ابن خلكان لايضاح تساهله في
 السكوت عن زندقته ٩١
- عدم اعتبار ايراد سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان احتفال صاحب
 إربل بالمولد ٩١
- ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وعبد القادر القرشى الحنفى
 في سبط ابن الجوزى ومرآة الزمان ٩٢-٩١
- قول أبى شامة في سبط ابن الجوزى رأيته — اى بعد وفاته — في المنام

- ٩٢ في حالة منكورة ورآه غيرى - اى كذلك - أيضا
- إحراج بعض المتصوفة اياه بسؤال عن سبب انتقاله عن مذهب احمد بن حنبل الى مذهب ابى حنيفة ٩٢
- الجواب عن ثناء أبى شامة على صاحب إربل لاحتماله بالمولد بأن أبا شامة لم يذكر له مستندا سوى الاقتداء فى ذلك العمل بالصوفى عمر الملا ٩٣
- الجواب عنه بما ذكره الإمام ابن تيمية وهو أن مع المنكرين لذلك الاحتفال كتاب الله وسنة رسوله ومعهم عامة المتقدمين ٩٣
- جزم الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية بأن مايعمله صاحب إربل في عمل المولد لايمكن الحكم عليه كله بالحل ٩٤
- معارضة الثناء على ابن دحية مؤلف التنوير في مولد السراج المنير بكلام اهل العلم فيه ٩٤
- كلام سبط ابن الجوزى فيه ٩٤
- كلام الحافظ الضياء فيه ٩٦
- كلام ابن واصل قاضى حمة فيه ٩٦
- كلام ابن نقطة فيه ٩٧
- كلام ابن النجار فيه وقصة سجاده ٩٧
- كلام الحافظ الذهبي فيه ٩٨
- كلام الإمام ابن كثير فيه ٩٩
- اتهام ابن خلكان نفسه لابن دحية ١٠٠
- الرد على التعلق بعبارة الاقتضاء فى المولد ١٠١
- ايضاح شيخ الإسلام أن اثابة الواقع فى المواسم المبتدعة هى على ما فيها من المشروع وانها لا تمنع النهى عنها ١٠٢
- معارضة شيخ الإسلام مافى المولد وغيره من المواسم من المنفعة بما فيها من المفاسد ١٠٢
- معارضته الاحتفال بيوم المولد بالاختلاف فيه وبأن الاحتفال به لم يفعله السلف مع قيام المقتضى وعدم المانع منه ١٠٣
- ذكره أن اكثر الذين يحرصون على ذلك الاحتفال تجدونهم فاترين فى أمر الرسول عما امروا بالنشاط فيه ١٠٤
- تصريحه بأن مع المنكرين لذلك الاحتفال كتاب الله وسنة رسول الله صلى

- الله عليه وسلم ومعهم عامة المتقدمين الذين هم أفضل ١٠٤
- الجواب عن الاحتجاج بثناء ابن بطوطة في رحلته على قاضي مكة ايام وصوله اليها باحتفاله بالمولد ١٠٤
- كلام الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة البلوى في رحلة ابن بطوطة ١٠٤
- من كذبات ابن بطوطة في رحلته دعواه أنه رأى الإمام ابن تيمية نزل على منبر جامع دمشق وقال ان الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولى هذا تبرئة الشيخ محمد منير الدمشقى شيخ الإسلام ابن تيمية من تلك الفرية ١٠٥
- تبرئة السيد رشيد رضا الامام ابن تيمية منها ١٠٦
- من مزاعم ابن بطوطة في رحلته أن أهل مكة في زمانه اعتقدوا الولاية في مجنون ١٠٧
- تفنيد سماحة المفتى محمد بن ابراهيم — في رسالته في المولد قياس الاحتفال بالمولد النبوى على الاحتفالات التي تقام للرؤساء احياء للذكرى ١٠٨
- دعوى رفع الحرج على من احتفل بيوم المولد إذا لم يقتصر على وقت معين يردّها كلام العسقلانى في فتواه ١٠٩
- تحقيق حول دعوى أن لابن كثير في الاحتفال بالمولد النبوى مؤلفات عديدة منها جامع الآثار في مولد النبى المختار واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق ومورد الصادي في مولد الهادى ١١٠
- الجواب عن دعوى ان الاحتفال بالمولد النبوى أمر استحسنة العلماء ١١٢
- جواب السيد رشيد رضا عن الاستدلال لمشروعية الاحتفال بالمولد بما فيه من ذكر وصدقة ومدح للجناب النبوى وكلام السيد رشيد رضا ١١٣
- وحسنين مخلوف وعلي محفوظ على بدعة الصاري ١١٣—١١٥
- إذا اقتضى الدليل امرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات فأتى المكلف فيه بكيفية مخصوصة او قيده بزمان او مكان من غير ان يدل الدليل على ذلك كان الدليل بمعزل على ذلك المعنى المستدل عليه ١١٥
- نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة ١١٧
- عدم الاعتماد على دعوى المحتفل بالمولد أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالاحتفال به في المنام ١١٨
- إيضاح النووى أن الرؤيا في المنام لا تبطل بها سنة ولا تثبت بها سنة ١١٨

- ١١٩ قول صاحب المدخل في ذلك
- ١٢٢ قول الشاطبي فيه
- ١٢٢ قول الحافظ ابن كثير فيه
- ١٢٣ قول ابن مفلح المقدسي فيه
- ١٢٣ قول الحافظ العراقي فيه
- ١٢٥ قول الحافظ أبي زرعة العراقي
- ١٢٦ قول السخاوي
- ١٢٦ قول الشيخ ملا علي قاري
- ١٢٦ ذكر نبذة مما ورد في «الطالع السعيد» من الغلو في القبور
- دعوى بعض أولياء الطالع السعيد التصرف في الكون وبعضهم علم الغيب وبعضهم الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة
- ١٢٧ كون السبتى شيخ أبي حيان لا يقتضى قبول كل مايقوله ولارضا أبي حيان به وذكر ماوقع بين ابى حيان وبين شيخه ابن الطباع
- ١٣١ مصادمة اعتبار السبتى يوم المولد يوم عيد للأدلة
- ١٣٢ ايراد السيوطى في حسن المقصد قصة السبتى لايجب قبولها لعدم تحريره في كثير مما يورده في مؤلفاته
- ١٣٢ امثلة لماوقع في بعض كتب السيوطى من الاستغاثة بغير الله تعالى
- اعتماد السيوطى في تلك الاستغاثة على كتاب المستغيثين بخير الانام
- ١٣٣ وكلام شيخ الاسلام في صاحب ذلك الكتاب
- رجوع السيوطى عن بعض مؤلفاته وغسله اياها من أدلة سوء تصرفه في بعض كتاباته
- ١٣٤ عدم فهم السيوطى كلام صاحب المدخل في عمل المولد
- ١٣٤ رفض السيوطى مالا يوافق هواه من كلام الأدفوي في «الطالع السعيد»
- ١٣٦ وان كان صوابا
- من امثلة ذلك رفضه لما أوضحه الأدفوي من أن الشخص الواحد لايشغل مكانين
- ١٣٦ دعوى السيوطى في «المنجلى» أن الكعبة تطوف بالأولياء
- ١٣٨ ماورد في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ركعتين ببيت لحم بأمر جبريل عليه السلام
- ١٣٨

- الجواب عما ورد في ذلك من رواية شداد بن أوس وانتقاد الذهبي وابن كثير تصحيح البيهقي اسناد تلك الرواية ١٣٩
- الجواب عما ورد في ذلك من رواية أنس عند النسائي في المجتبى ١٤١
- الجواب عما ورد في ذلك من رواية ابى هزيرة عند ابن حبان وجزم ابن حبان بان تلك الرواية موضوعة وتلقى ابن الجوزى والسبكي وابن كثير والشوكانى كلام ابن حبان بالقبول وكلام ابن تيمية وابن القيم في ذلك تصريح ابن ظهيرة في الجامع اللطيف بان مايصنعه أهل مكة ليلة المولد كل عام من زيارة المولد المكانى والاحتفال به لم يجد له اصلا ١٤٢
- إجابة الشاطبى عن حديث «من سن سنة حسنة» بجوابين يدلان على أن المراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم «من سن سنة» من عمل بسنة ثابتة «لا من اخترعها» ١٤٦
- جوابه عن حديث «من ابتدع بدعة ضلالة» ١٤٧
- الجواب عن الاستدلال بحديث «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» بأن المراد بالمسلمين فيه الصحابة ١٤٨
- جواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبى عنه بأن المراد به ما أجمع عليه المسلمون ١٥٠
- دعوى العجلونى أن أثر ابن مسعود «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» ليس في مسند أحمد وتوهمه في ذلك ١٥١
- جزم ابن الجوزى وابن القيم وابن عبد الهادى ببطلان رفع هذا الأثر واستغراب الزيلعى رفعه وإيراد نصوصهم في ذلك ١٥٢
- الجواب عن جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه ١٥٤
- والجواب عن كتابة العلم ١٥٦
- الجواب عن تقسيم القرافى البدعة الى أقسام أحكام الشرع الخمسة وعما اعتبره أمثلة لذلك ١٥٦
- الجواب عن تقسيم الغز البدعة الى أقسام احكام الشرع الخمسة وعما مثل به لذلك ١٥٦
- الجواب عن إيراد المحاربة بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والاساطيل على ذم البدعة ١٥٦
- جزم شيخ الإسلام بأن تقسيم البدعة الشرعية إلى احكام الشرع الخمسة

- ١٧٠ سلب لعموم «كل بدعة ضلالة»
 رد السيد رشيد رضا على ذلك التقسيم ودعوته شيخ الازهر الى تاليف
 لجنة من العلماء تقوم بالواجب نحو التصريح بالحق في الموالد وفي غيرها
 ١٧٠ من البدع

من الأمور الخطيرة التي قد ترتبت على الاحتفال بيوم المولد

- ١٧٢ صدور أوامر من بعض الولاة بتصيير ذلك اليوم عيداً
 تصريح بعض المتأخرين من أهل العلم باعتباره عيداً وكلام شنيع
 ١٧٣ للسخاوى في ذلك ورد الملا على القارى عليه
 فتوى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه على أساس أنه عيد واستحسان
 ١٧٣ القوري والدسوقي ذلك والرد عليه
 دعوى أن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر والرد عليها وعلى القسطلانى
 ١٧٧ الذى اغتربها
 ١٨٠ التوسع في الموالد جريا على طريقة بنى عبید القداح المسمين بالفاطميين
 دعوى أن في يوم المولد ساعة من صادفها يسأل الله تعالى شيئا أعطاه إياه
 قياسا على يوم الجمعة وتعقيب الزرقانى على ذلك وغلط الشيخ محمد بن
 ١٨١ علوى في الحديث الذى ورد في فضل يوم الجمعة

علماء العصور المتأخرة يذكرون المفاسد الموجودة في أزمئتهم في الموالد ويستنكرونها

- ابن الحاج يذكر في المدخل المفاسد الموجودة في الموالد في زمانه و يلخص
كلامه سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ أحسن تلخيص ١٨٧
- القاضي المنستيرى والفقهاء يذكرون أن في احتفال الأمير ابى يحيى بالمولد
مجاهرة بالذنب لاحتوائه على اللهو ورفع قناع الحياء ويصرحون بان النبي
صلى الله عليه وسلم لو حضر تلك الليلة لم ياذن لهم في ذلك الاجتماع ١٩٠
- بعض علماء المغرب يقول فيما أحدثه العزفى وولده أبو القاسم في عمل
المولد لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة ١٩١
- البنانى المالكى يعتبر الايضاء باقامة المولد في زمانه ايضاء بالمعصية لما فيه
من اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من المناكر ١٩٢
- الهيتمى يذكر أن اكثر الموالد في زمانه مشتمل مع مافيه من الخير على
الشر ويمنع ما كان كذلك بناء على أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ١٩٢
- شيخ الإسلام ابن تيمية يسرد في الإقتضاء ما في الموالد وغيرها من المفاسد
الاعتقادية والحالية ١٩٢
- الشيخ محمد بخيت الطيعى يذكر المحرمات والمكروهات التي تقع في
عمل المولد ويمنع الصرف عليه من بيت المال ومن الأوقاف ١٩٣
- السيد رشيد رضا يذكر اشتغال الموالد في زمنه على المعاصى المعلوم تحريمها
من الدين بالضرورة و يذكر منها تعطيل الصلاة ١٩٣
- السيد على فكرى يسهب في تعداد المفاسد والمخازى التي توجد في الموالد
و يدعو الولاة الى ازالتها ١٩٤
- على محفوظ يذكر في «الابداع» مايقع في الموالد من المحرمات والمكروهات ١٩٥
- صاحب الابداع يضيف الى ذلك التصريح بان الموالد صارت مراتع
للفسوق والفجور واسواقا تباع فيها الاعراض ١٩٦
- السيد رشيد رضا يصف الموالد بأوصاف تدل على الرغبة عن الشرع
و يستنكر صرف الأموال في ذلك و يذكر أن مايعمل فيها من اسباب
تأخر المسلمين ١٩٧

- ابن خلكان يصف ما في احتفال صاحب إربل بالمولد من الاسراف ١٩٨
- سبط ابن الجوزي يذكر أن صاحب إربل ينفق على المولد في كل سنة
- ثلاثمائة ألف دينار ٢٠٠
- السخاوي يحرز ما انفقته سلطان مصر في ليلة المولد بنحو عشرة آلاف
- مثقال من الذهب ٢٠١
- المقرئ التلمساني يصف اسراف ابي حو موسى بن يوسف في احتفاله
- بالمولد ٢٠٢

فصل في الكلام على قصص المولد

- الامام محمد بن عبد الوهاب يبين أن الاجتماع على قراءة قصص المولد
- بدعة ٢٠٥
- السيد رشيد رضا يقول إن أول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد
- الشراكية ٢٠٥

ورود احاديث غير ثابتة في قصص المولد

- كلام السخاوي في ذلك ٢٠٥
- قول السيد رشيد رضا فيه ٢٠٦
- قول السيد علي فكري فيه ٢٠٦

امثلة لذلك

- حديث جابر الذي جاء فيه «إن الله خلق قبل الاشياء نور نبيك يا جابر»
- بالفاظه عند القسطلاني والديار بكرى وابى الربيع ٢٠٦
- حديث «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» ودعوى الشيخ محمد بن علوى
- أن العلقمي صححه ودعوى علي القارى أن الاحاديث الصحيحة تشهد
- لمعناه ٢٠٩
- حديث «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» ٢٠٩
- حديث «كنت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم باربعة عشر
- ألف عام» وكلام القسطلاني ومحمد بن علوى فيه ٢١٠

- حديث أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه فقال
 ٢١٢ يارب وماذا أعطيتها قال يا آدم صل على محمد عشرين مرة ففعل
 حديث أن الأرواح خلقت قبل الاجساد وتفسير السبكي به حديث
 ٢١٢ «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد»
 ٢١٣ حديث عمر بن الخطاب في توسل آدم بمحمد صلى الله عليه وسلم
 حديث ابن عباس اوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد وأمر من
 ٢١٤ أدركه من امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقتك
 ٢١٤ حديث رفع النبي صلى الله عليه وسلم نسبه الى نزار
 ٢١٤ حديث «أنا ابن الذبيحين»
 ٢١٤ حديث وضع الحوامل الذكور في السنة التي ولد فيها خير الخلق كرامة له
 ٢١٤ حديث نطق كل دابة لقريش ليلة الحمل بمحمد صلى الله عليه وسلم
 وقالت حمل به وحضو رآسية ومريم ونساء من الحور العين ولادة النبي
 ٢١٤ صلى الله عليه وسلم
 ٢١٥ حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا
 ٢١٥ حديث مناغاة النبي صلى الله عليه وسلم القمر في المهد
 حديث أن آمنة رأت وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل
 ٢١٦ لها انك حبلى بخير البرية الحديث
 حديث سلمان عند ابن عساكر أن جبريل هبط على النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا الحديث وفيه
 ٢١٦ ولولاك ما خلقت الدنيا
 ماورد في حديث الوفاة النبوية أن جبريل قال يا رسول الله هذا آخر
 ٢١٦ موطئي من الأرض
 الجواب عن حديث جابر الذي ورد فيه «إن الله خلق نور نبيك قبل
 ٢١٧ الاشياء يا جابر»
 شيخ الإسلام يوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق مما خلق منه
 ٢١٧ البشر لامن نور وأن ماتضمنه حديث جابر غير صحيح
 السيوطي يذكر في الحاوى قطعة من ذلك الحديث ويبين أنه ليس له
 ٢١٩ سند يعتمد عليه
 الشيخ سليمان بن سحمان يذكر ان ذلك الحديث موضوع مخالف للكتاب

- والسنة ويوضح تلك المخالفة ٢١٩
- صاحب السنن والمبتدعات يوضح في تعليقه على ما اقتطفه ابن نباتة في خطبته من ذلك الحديث أنه لا أصل له وبيان قوة ارتباط خطب ابن نباتة بنهج البلاغة ٢٢٢
- كلام أهل العلم في كتاب نهج البلاغة ٢٢٤
- السيد رشيد رضا يجزم بأن حديث إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك يا جابر لأصل له ٢٢٥
- الغماري يذكر أن لفظ حديث جابر في أن الله خلق نور نبيه قبل الأشياء وخلق منه الأشياء عند الديار بكرى موضوع وإيراد لفظه ٢٢٧
- أبو نعيم يورد حديث «خلقني الله من نوره» الخ ويصرح بطلانه والذهبي والعسقلاني يبينان أن آفته المنبجي ٢٢٨
- الجواب عن حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ٢٢٩
- كلام شيخ الإسلام في رده على أهل وحدة الوجود في بطلان ذلك الحديث ٢٢٩
- كلامه في رسالته في أحاديث القصاص في بطلانه ٢٣٢
- اعتماد الامام ابن القيم على كلام شيخه ٢٣٣
- اعتماد السخاوى على كلام الامام ابن تيمية ٢٣٣
- ايضاح ابن كثير المراد بالاحاديث التي زعم الملا على قارىء أنها تشهد لحديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ٢٣٤
- كلام الملا على قارىء في شرح مشكاة المصابيح في ذلك الحديث يخالف كلامه في المورد الروى ٢٣٦
- كلام الحافظ ابن كثير في حديث «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» في تفسيره وفي تاريخه ٢٣٧
- خبر «لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض» الحديث ٢٣٨
- رواية حديث «كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام عند ابن القطان وعدم الاعتماد عليها لعدم ذكر سندها ٢٣٨
- رواية القطيعي اياه في زياداته في فضائل الصحابة للإمام أحمد عن سلمان الفارسي موضوعة ٢٣٩

- كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأحاديث التي استدل بها من قال بأن
 ٢٤٠ حقيقة النبي كانت موجودة قبل أن يخلق
 حول عزو الشيخ محمد بن علوى لفظ «كنت نورا بين يدي ربى» الخ
 ٢٤١ الى مسند العدنى
 ٢٤١ حول عزوه ذلك اللفظ إلى الوفاء لابن الجوزى
 ٢٤٢ حول عزوه إياه إلى كتاب الموضوعات لابن الجوزى
 ٢٤٣ حول عزوه إياه إلى اللآلئ المصنوعة للسيوطى
 مراد القاضي عياض بقوله في حديث ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
 يشهد لصحته شعر العباس في النبي يعنى قوله من قبلها طبت في الظلال
 ٢٤٣ الايات
 قول الذهبى في الشفا «إنه محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات
 ٢٤٤ الواهية»
 ذكر تقي الدين بن تيمية أن في الشفا من الأحاديث والآثار ما ليس له
 ٢٤٤ أصل
 حول دعوى الشيخ محمد بن علوى أن الحافظ ابن حجر أورد آيات
 ٢٤٤ العباس في ترجمة خريم من الاصابة
 حول تعلقه بسكوت الذهبى عن قول الحاكم في المستدرک حينما روى
 ٢٤٥ بسنده هذه الايات رواية الاعراب عن آبائهم ومثلهم لا يضعون
 تعقب الذهبى في سير اعلام النبلاء كلام الحاكم في اولئك الرواة بأنهم
 ٢٤٦ لا يعرفون وقوله في الميزان في زحر بن حصين راويه عن جده» لا يعرف
 كلام الحفاظ في أبى السكين زكريا بن يحيى الطائى الذى عليه مدار
 ٢٤٧ ذلك الحديث
 بيان معنى تلك الايات على فرض ثبوت الحديث الذى وردت فيه
 ٢٤٨ اعلال رواية «أن قريشا كانت نورا»
 ٢٤٩ لا أصل لحديث ان الملائكة قالت لآدم حين مد يده إلى حواءه حتى
 ٢٥٠ تؤدى مهرها قال ومامرها قالوا تصلى على محمد ثلاث مرات ففعل
 خبر خلق الارواح قبل الاجساد غير صحيح كما بينه ابن القيم
 ٢٥١ والسيوطى والهيتمي

- رواية الحاكم لحديث عمر في توسل آدم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
التي فيها «ولولا محمد ما خلقتك» وتصحيحه سندها ٢٥٣
- تضعيف البيهقي ذلك الحديث ونقل ابن كثير ذلك عنه في موضعين من
تاريخه ٢٥٤
- تعقب شيخ الإسلام ابن تيمية تصحيح الحاكم لاسناده وقوله بأن أئمة
الحديث أنكروا على الحاكم روايته وتصحيحه لسنده ٢٥٤
- جزم ابن عبد الهادي في الصارم بأن ذلك الحديث غير ثابت لأن فيه عبد
الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جدا وبأن اسناده من الحاكم إلى
عبد الرحمن مفتعل ٢٥٥
- كلام الحافظ الذهبي فيه في تلخيص المستدرک ٢٥٥
- قول الحافظ ابن حجر فيه في «اللسان» وحكايته عن بعض أهل العلم
أن الحاكم حصل له تغير وغفلة ٢٥٦
- اعلال رواية الطبراني في «الجامع الصغير». لذلك الحديث بعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ٢٥٧
- تضعيف حديث ابن عباس «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى
آمن بمحمد وأمر من أدركه من امتك أن يؤمن به فلولاً محمد ما خلقت
آدم» الخ ٢٥٧
- حديث «لولاً حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا نارتي»
وكلام الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب فيه ٢٥٨
- كلام البيهقي وابن كثير فيما ورد في الحديث من رفع النبي نسبه إلى
عدنان وكلام العسقلاني في رواية أخرى فيها رفعه إياه إلى النضر ٢٥٩
- حديث «أنا ابن الذبيحين» ودعوى الحاكم ثبوت هذا اللفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم ورد الحفاظ عليه ٢٦٠
- دعوى العجلوني أن الزرقاني حسن هذا الحديث وأنه قال فيه صححه
الحاكم والذهبي وتوهمه في ذلك ٢٦٢
- قول السيوطي بأن حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي
صلى الله عليه وسلم الذكور كرامة له منكر شديد النكارة ٢٦٤
- لفظ حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في دلائل النبوة لأبي

- ٢٦٤ نعيم
ذكر لفظه الذى أورده ابن كثير في البداية والنهاية وعزاه إلى أبى نعيم
- ٢٦٤ ثم قال «هكذا أورده ابو نعيم وسكت عليه وهو غريب جداً»
ذكر لفظه الذى أورده السيوطى في الخصائص الكبرى وعزاه الى ابى
- ٢٦٨ نعيم ثم قال فيه نكارة شديدة
ذكر ما أورده القسطلانى في المواهب اللدنية مفرقا وفي بعض الفاظه عنده
حضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادته وعزا الجميع إلى ابى
- ٢٧٠ نعيم وضعفه
اعلال حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وأن ذلك من
- ٢٧٢ خصائصه
كلام الحافظ ابن كثير فيما ورد في ذلك الباب
- ٢٧٢ كلام ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود في أحاديث الباب
- ٢٧٤ كلامه في زاد المعاد في هدى خير العباد في أحاديث الباب
- ٢٧٧ كلام الحافظ الذهبي في «الميزان» وفي تاريخ الإسلام فيها
- ٢٧٩—٢٧٨ تعقب الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك دعوى الحاكم تواتر الاخبار
بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختونا
- ٢٧٩ ماجاء عن الامام أحمد بن حنبل في هذا الباب
- ٢٧٩ حديث مناغة النبي صلى الله عليه وسلم القمر في المهد ذكر الحافظ في
الاصابة أن سنده واه جدا» واعله البيهقى باحد بن ابراهيم الحلبي
- ٢٨٠ تعقب قول الصابونى في المائتين في هذا الحديث هو حسن في المعجزات
- ٢٨٠ حديث بريدة أن آمنة قيل لها في المنام وهى حامل بالنبي انك حبل بخير
البرية وسيد العالمين فاذا ولدته فسميه احمد او محمداً وعلقى عليه هذه»
- ٢٨١ في سنده تالفان
جعل بعض أهل السير الأبيات المذكورة في ذلك الحديث من حديث ابن
- ٢٨٢ عباس لا اصل له
سند رواية حديث سلمان عند ابن عساكر أنه قال هبط جبريل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذتك خليلاً»
- ٢٨٣ الخ واه جداً
سند رواية ابن الجوزى في الموضوعات لهذا الحديث فيه مجهولون وضعفاء

- وقد بين ذلك ابن الجوزى ٢٨٣
- اعلال ماجاء في بعض روايات خبر الوفاة النبوية أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم «هذا آخر موطنى من الارض» بالإعصال وبعضها بالارسال ٢٨٤
- اعلال رواية محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب التى أوهم السيوطى انها ثابتة وبيان حال محمد بن جعفر راويها ٢٨٥
- ايضاح الخطيب البغدادي في تاريخه انه قد اعترف بوضعه الأحاديث ٢٨٦
- كلام الذهبى فيه في «الميزان» ٢٨٦
- اعتماد الحافظ ابن حجر على كلام الخطيب والذهبى فيه واعلاله حديثه في الباب بذلك ٢٨٧
- ايراد عدة طرق لحديث محمد بن جعفر في الباب عند السهمى في معرفة علماء جرجان ٢٨٨
- جزم السيوطى في الاعلام بحكم عيسى عليه السلام بأن ماشتهر على ألسنة الناس من أن جبريل لاينزل الى الارض بعد موت النبي عليه السلام باطل لااصل له ٢٨٩
- كلام لابن كثير في كثرة الاخبار المنكرة والغريبة والموضوعة في باب الوفاة النبوية ٢٩٠
- مجاورة مؤلف المولد الذى يعزى للديبع أو ابن الديبع الحد في ذكر الموضوعات ٢٩٠
- ذكره في فاتحته أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم ولااصل لذلك ٢٩٠
- زعمه أن الله عرض فخر نبيه على الاشياء وأنه قد وقعت بينه وبين من عرض عليه ذلك اسئلة وأجوبة وذلك كذب صريح على الله كما بينه السيد رشيد رضا ٢٩٢
- تسميته خيرا استخرجه كعب الاحبار من صندوق أبيه حديثا نبويا ٢٩٢
- ايضاح أن مؤلف ذلك المولد ان كان الديبع كما في طبعة ذلك المولد فهو مجهول وان كان ابن الديبع صاحب تيسير الوصول فهو معروف بالتساهل كما بينه الشوكانى والصنعانى ٢٩٣

- ٢٩٤ منع الجلوس الى القصاص الذين يقرأون قصص الموالد
كلام ابن قتبية في تاويل مختلف الحديث في أن القصاص يميلون وجوه
العوام اليهم ويستندرون ما عندهم بالمناكير والغرائب والاكاذيب من
- ٢٩٤ الأحاديث
من عيوب قصص الموالد ما يوجد فيها من الاستغاثه بغير الله تعالى وغيرها
- ٢٩٥ من انواع الكفر
معاتبه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ابن سحيم على حضوره
- ٢٩٥ قراءة المولد لذلك
تحذير الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب مما في البردة
- ٢٩٥ وأمثالها في المديح من ذلك
وصول الغلو بالعرضى احد اعيان القرن العاشر والحادى عشر الى القول
بان النبي يعلم جميع علم الله استدلالاً بقول البوصيرى ومن علومك علم
- ٢٩٦ اللوح والقلم
من غلو البوصيرى قوله، لو ناسبت قدره آياته عظما، البيت حيث زعم
- ٢٩٧ أن القرآن غير مناسب قدره صلى الله عليه وسلم
محاولة المدافعين عن البوصيرى الاجابة عن ذلك وعجزهم عنها
- ٢٩٧ تصريح الجلال المحلى بان القرآن دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم
وتفضيله النبي على القرآن استدلالاً ببيتين للأبوصيرى في البردة منهما
- ٢٩٨ ذلك البيت
أبيات غريبة في مولد المناوى اولها «لولا ما كان ملك الله منتظما» تدل
- ٢٩٩ على ما أوصله اليه الغلو والاطراء
بطلان قياس اشعار المديح التي تستعمل في الموالد على اشعار الصحابة
- ٣٠٠ رضى الله عنهم
من محاذير قصص الموالد القيام عند ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
- ٣٠٢ وخروجه الى الدنيا وقد حث عليه اصحاب تلك الموالد
توجيه ذلك القيام بانه ترحيب بالنبي صلى الله عليه وسلم على أساس انه
- ٣٠٢ يحضر مجلس الاحتفال بجسده الشريف
توجيهه بأنه لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاته لان روحه
- ٣٠٣ تحضر مجالس الخير

- استدلال الشيخ محمد بن علوى لحضور روحه وارواح المؤمنين مجالس الخير
 ٣٠٣ ببلاغ مالك ان الروح مرسله حيث شاءت
 استدلاله لذلك بقول سلمان الفارسي أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض
 ٣٠٣ تذهب حيث شاءت
 استدلاله لحضور روح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه متأس باخلاق ربه
 الذى ورد في الحديث القدسي أنه قال «أنا جليس من ذكرنى» وأنا مع
 ٣٠٣ من ذكرنى»
 توجيه ذلك القيام بأنه لتشخيص ذات النبي صلى الله عليه وسلم وتفسير
 ٣٠٣ الشيخ محمد ابن علوى ذلك وقوله بان ذلك القيام شىء عادى
 توجيهه بأنه لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من دون ايضاح المراد
 ٣٠٤ بذلك ودعوى ابي السعود أن تركه كفر
 توجيهه بأنه مقيس على قيام السبكى حين سمع قول الصرصرى في قصيدة
 له أولها قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب. وان ينهض الاشراف عند
 ٣٠٥ سماعه

الجواب عن تلك التوجيهات

- دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال بيوم المولد بناء على
 دعوى بعض المتصوفة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة دعوى
 ٣٠٦ مردودة عند المحققين من أهل العلم
 كلام للقاضى أبى بكر بن العربى في استنكار ذلك ٣٠٦
 كلام القرطبى شارح صحيح مسلم فيه ٣٠٦
 كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه في ثلاث رسائل من مؤلفاته ٣٠٧
 اعتبار الحافظ الذهبي في ترجمة الربيع بن محمود الماردينى من «الميزان»
 مدعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة مدعى للصحة
 ٣٠٩ وحكمه عليه بأنه مفتر دجال
 نقل الحافظ ابن كثير عن ابن الجوزى انكاره على أبى الفتح الطوسى
 دعواه أنه كلما اشكل عليه شىء رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 ٣٠٩ اليقظة فسأله عنه فدلّه على الصواب
 نص كلام ابن الجوزى في ذلك في كتاب القصاص والمذكرين له ٣٠٩

- ذكر الحافظ في فتح الباري أن ابن أبي جرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فارشدهم إلى طريق تفرجها فجاء الأمر كذلك ٣٠٩
- رد الحافظ على ذلك بأنه لو حل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ٣١٠
- أراد الحافظ على استدلال المتصوفة بحديث «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» الحديث أن جماعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف ٣١٠
- كلام السخاوي في دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ٣١٠
- كلام البدر بن حسن الأهدل في ذلك واستحسان الملا على قارئ آياه ٣١٠
- الاجماع على عدم جواز العمل بما يدعى مدعى رؤية النبي في اليقظة بعد موته أنه سمعه منه من أمر ونهى واثبات ونفى ٣١١
- الرد على دعوى السيوطي تلقى تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى دعاوى أخرى له في الباب بذلك الاجماع ٣١١
- كلام السيد رشيد رضا في دعوى رؤية النبي بعد موته في اليقظة ٣١١
- خلاصة ما بينه المحققون من أهل العلم في انكار رؤية النبي بعد موته في اليقظة وما لذلك من اللوازم ٣١٢
- اجوبة أهل العلم عن الاستدلال لتلك الدعوى بحديث «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» ٣١٣
- رد السيد رشيد رضا دعوى حضور روحانية النبي صلى الله عليه وسلم مجلس الاحتفال بالمولد ٣١٣
- عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على تلك الدعوى ٣١٣
- منع العمل بما تتضمنه رؤية الأرواح المزعومة من بيان درجة حديث أو تشريع أو تعبد جديد ٣١٤
- معنى قول الإمام مالك بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شئت ٣١٥
- معنى ما روى عن سلمان الفارسي أنه قال أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شئت ٣١٥

- قياس الشيخ محمد بن علوى النبي صلى الله عليه وسلم على ربه فى كونه
 ٣١٥ جليس من ذكره ومع من ذكره من الاطراء الذى نهى عنه
 رد الشامى والهيتمى ورشيد رضا والحجوى على اعتبار القيام الذى يقع
 ٣١٥ عند ذكر وضع النبي وخروجه الى الدنيا تعظيما له
 الرد على توجيه القيام اثناء قراءة قصص المولد بأنه مقيس على قيام
 السبكي حينما سمع قول الصرصرى «وان ينهض الأشراف عند سماعه
 ٣١٦ قياما صفوفًا أو جثيا على الركب
 تقع فى شعر الصرصرى وكلام محمد بن النعمان ومن هذا حذوها أمور
 ٣١٧ تدل على انهم غير عالمين بمدارك الاحكام الشرعية
 وصول الغلو بالسبكي الى القول بأن الانبياء الذين قبل نبينا نواب له وأن
 ماجاء به كل نبى منهم الى قومه هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم ورد
 ٣١٧ الخفاجى على ذلك
 إيضاح الإمام ابن تيمية أن الرسل الذين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله
 ٣١٧ عليه وسلم لم يأخذوا عنه وإن بشروا به وآمنوا به
 دعوى الشيخ محمد بن علوى ان احتياج الناس اليوم الى تثبيت افدتهم
 بقصص الموالد اشد من احتياج النبي الى تثبيت فؤاده بما قصه الله عليه
 ٣١٨ من أنباء الرسل ومناقشته
 قاعدة فى ايضاح أن صاحب البدعة لابد له من تأويل كقوله «هى بدعة
 ٣١٩ مستحسنة» وقوله رأيت فلانا الفاضل يعمل بها
 قاعدة فى ان اعتبار فعل المشايخ حجة على ماثبت فى الشرع هو الذى
 ٣٢١ أفسد الكثير من الناس
 ٣٢٢ قاعدة فى ان صاحب الحق لا يستوحش من قلة أهله
 كلام ابن القيم فى ذلك فى «اغائة اللهفان» و«مفتاح دار السعادة»
 ٣٢٣ واعلام الموقعين
 ٣٢٤ كلام الشاطبى فى ذلك فى «الاعتصام»
 قاعدة فى بيان ما يطلق عليه لفظ «السنة» وكلام قيم للشاطبى فى
 ٣٢٦ «الموافقات» و«الاعتصام» فى ذلك
 كلمات من جيوش الباطل يتعلق بها اهل البدع وكلام الشيخ محمد
 ٣٢٨ عبده والسيد رشيد رضا فى التحذير منها

- قاعدة في بيان أن وضع العوائد موضع السنن سم قاتل وتحذير صاحب
«المدخل» منه ٣٢٩
- قاعدة في ايضاح أن سكوت العلماء عن ارتكاب الناس البدع يؤدي الى
انقلاب الحقائق ٣٣٠
- قاعدة في أن كلام من يحاول اظهار البدعة يكون متناقضا وكلام صاحب
المدخل في ذلك ٣٣١

انتهت الفهرست

تقريظ فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع
عضو هيئة كبار العلماء واحد قضاة التمييز بمكة المكرمة
للقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه
وبعد فقد اطلعت على المؤلف القيم لفضيلة الشيخ اسماعيل الانصارى فيما يتعلق
ببدعة الموالد واجماع الأوائل على ابتداعها ومتى نشأت هذه البدعة والعوامل السياسية
التي ألحت بابتداعها لاشغال العامة عن شؤون حياتهم بالاشتغال بها فوجدته جزاء
الله خيراً قد استوفى ما قيل في الموالد وبرز جوانب الاساءة فيها للدين وبين ضعف
ما تمسك به القائلون بها والداعون الى اقامتها وبعده عن روح التشريع وعن سر الوجود
كما رد على المغترين بهذه الاتجاهات العارية عن برهان من كتاب الله تعالى ومن
سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين
وتابعى التابعين وبين أنهم هدامهم الله وأخذ بأيدينا وأيديهم إلى ما فيه سلامة العقيدة
منقادون وراء سراب يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً.

كما أورد جزاء الله خيراً نقولاً كثيرة عمن ينادى باقامة الموالد ونقولاً كثيرة
عن علماء محققين يردون على أهل هذا الاتجاه البدعى.

ولاشك ان القارىء سيستمع بالوقت الذى يقضيه في قراءته هذا المؤلف
القيم وسيرى ما عليه اصحاب الموالد من تهافت في القول وضعف في المستند وبعد
عن روح الشريعة وابتداع مخالف لما عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
واستهتار بالعقول وتسفيه لها إلى آخر ماتستلزمه هذه الاتجاهات المشبوهة والآثمة من
الصفات الذميمة والخلفيات الرديئة مما لا يخفى على أهله ومن تتبع طرقهم فجزى الله
فضيلة الشيخ اسماعيل خير جزاء ووقفنا وإياه لما يحبه الله ويرضاه وجعلنا جميعا
مباركين اينما كنا وهذان الى سواء السبيل وأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه التمسك
بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتأسي بما عليه أصحابه ومن تبعهم باحسان.

عبد الله بن سليمان بن منيع

القول الفصل

في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل

تأليف

فضيلة الشيخ اسماعيل بن محمد الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإن الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى نال في عصرنا هذا اهتماما كبيراً من سماحة العلامة الجليل الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى فإنه بعد أن عرض أمره على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد لذلك العمل أساساً فيهما بحث عن عمل السلف الصالح فيه ثم تتبع ما كتبه أهل العلم المتأخرون في ذلك الاحتفال فتوصل الى ما أوضحه لطلاب الحق في كلمة قيمة نشرت له في ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ يتلخص مضمونها فيما يلي:

١ - أن السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكملهم حباً له ومتابعة لشرعه لم يحتفلوا بذلك اليوم ولم يدعوا إلى الاحتفال به وإنما أحدث الاحتفال به بعدهم وفي ذلك دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل به ولم يدع إلى الاحتفال به.

٢ - أن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بالفاطميين وهم معروفون بفساد العقيدة وبالافساد.

٣ - أن الذين بحثوا من المتأخرين في ذلك الاحتفال منهم من أنكره اعتماداً على النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين لأنه أي ذلك الاحتفال لا أساس له لافي الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

ومنهم من أجاز الاحتفال به بشرط خلوه من المنكرات لكن ذلك شرط لم يتقيد به المحتفلون به فقد وقع من بعضهم فيه الإطراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذى نهى عنه بقوله «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» رواه البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما وقع من بعضهم في مدة الاحتفال التخلف عما أوجبه الله عليه من حضور الجمع والجماعات نتيجة نشاطه مدة الاحتفال فيما يتعلق به ووقع في بعض تلك الحفلات اختلاط النساء بالرجال كما يقع من بعض المحتفلين القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في تلك المناسبة باسم الموالد على أساس دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حضر المولد في ذلك الوقت الذي يتخيل حضوره فيه لتحيته صلى الله

عليه وسلم وأضاف سماحة العلامة الأثرى الشيخ حفظه الله في كلمته الى ذلك التنبيه على أمرين هامين أحدهما أن الاحتفال بذلك اليوم لا يحقق المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يحققه اتباعه وطاعته.

الثاني أن كثرة المحتفلين به وكثرة الدعاة الى الاحتفال به لا تدل على أن الاحتفال به حق فإن كثرة المرتكبين الشيء وكثرة الدعاة اليه لا تدلان على كونه حقا وإنما يدل على كونه حقا الأدلة الشرعية.

هذا تلخيص لمضمون تلك الكلمة القيمة وبعده نورد نصها فيما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد فإنه قد طرأ على صفاء هذا الدين ووضوح أحكامه في عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التي زادت انحطاطهم انحطاطا. وشغلتهم عن العودة إلى العقيدة الصافية والتمسك بها. والرجوع إلى الحق بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التي سنّها من ضل وأضل فحادت بهم عن طريق الحق وسلكت بهم مسالك الضلال، وليست على المسلمين في عقيدتهم ، وأخذت فيهم جذوة الايمان وجمال الاتباع، وامتنعت طاقاتهم المتعددة المتقدمة قوة وحاسا، بمظاهر فارغة وأعمال خاوية، فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدعة، واتجه رجاؤهم وتعلقهم بالله الى التعلق بالقبور والأضرحة والتماس الشفاعة منها وطلب الحاجات اليها فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات إلى مظاهر الوثنية وتقديس الأشخاص فاستخفهم أعداؤهم وازداد تدهورهم وتحولت قوتهم الى ضعف وبحلول التاريخ الذي يعتقد الناس أنه يوافق مولد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم تحل المناسبة ابتدع كثير من الناس اقامة الاحتفالات بالمولد وزعموا أن ذلك مما يحقق المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاته ويغفلون الواجب في أن محبة الرسول إنما تكون باتباعه وطاعته.

أما هذه الاحتفالات الشائعة فهي غير جائزة ، بل هي من البدع المحدثه في الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم باحسان في القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم. وأول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع الهجرى . وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة وإظهار التشيع لأهل البيت والغلو فيهم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أى

مردود عليه، وقال في حديث آخر «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها وقد قال الله سبحانه في كتابه «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقال عز وجل «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وقال سبحانه «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» وقال تعالى «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم» وقال تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقرب إلى الله. وهذا بلاشك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه. وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة. والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم» رواه مسلم في صحيحه. ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم واكملهم بلاغا ونصحا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رضي الله عنهم فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء بل هو من المحدثات في الدين التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين وقد جاء في معناهما أحاديث أخر مثل قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة.. رواه الامام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة

المذكورة وغيرها وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهى وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر وظنوا أنها من البدع الحسنة. والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً» وقال تعالى «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله» وقد رددنا هذه المسألة وهى الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه. ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذى أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه. وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضى الله عنهم فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثه ومن التشبه بأهل الكتاب. وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وانصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات التى أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والحذر منها. ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الاقطار فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى «وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» وقال تعالى «وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله» الآية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء بدعائه والاستعانة به وطلبه المدد منه واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يسمونهم بالأولياء. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» وقال عليه الصلاة والسلام «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه البخارى في صحيحه من حديث

عمر رضى الله عنه. ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجهتد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة ويدافع عنها. ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات ولا يرفع لذلك رأساً ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة وكثرة ماران على القلوب من صنوف المعاصي والذنوب- نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين. ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر المولد ولهذا يقومون له محبين ومرحبين وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحضر الموالد ولا يحضر اجتماعاتهم بل هو في قبره إلى يوم القيامة وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى في سورة «المؤمنون» «ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع» عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام. فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان والله المستعان وعليه التكلان ولا قوة الا بالله.

أما الصلاة والسلام على رسول الله فهي من أفضل القربات ومن الاعمال الصالحات كما قال الله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً» وهي مشروعة في جميع الأوقات ومتأكدة في آخر كل صلاة بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة منها مابعد الأذان وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقہ في دينه والثبات عليه وأن يمين على الجميع بلزوم السنة والحذر من البدع إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه».

وقد أثيرت ضجة كبيرة حول تلك الكلمة القيمة المعروف كاتبها العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثرى بالدعوة الى كتاب الله تعالى والى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ماضى عليه السلف الصالح وبالدفاع عن ذلك وبالرد على أهل البدع والاهواء وكان الواجب بدل تلك الاثارة قبول الحق الذى

تضمنته الكلمة لكن المثيرون رفضوا ذلك وهم:

١ - د. محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسنى الذى قام بعد نشر تلك الكلمة بطبع كتاب المورد الروى في المولد النبوى لعلى القارىء وعلق عليه وقدم له بمقدمة دعا فيها الى الاحتفال بالمولد النبوي كما قام بطبع المولد المعروف بمولد الديبع طبعتين عنون احدهما بعنوان مولد الحافظ ابن الديبع والأخرى بعنوان «مختصر في السيرة النبوية تأليف الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الشيبانى صاحب تيسير الوصول» وعلق على كل واحدة من الطبعتين وقدم للثانية منهما وألف رسالة سماها «حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف».

٢ - الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعى فقد قام برد على كلمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نشرت حلقة الأولى في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٥٩ الصادر في ١٢ ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ ونشرت حلقة الثانية في عدد الجريدة المذكورة ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ٢٣/٣/١٤٠٢هـ.

٣ - كاتب نشرت كلمته في «مجلة المجتمع» عدد ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثانى عام ١٤٠٢هـ وهذا الكاتب لم يذكر اسمه إنما وقع على كلمته بعبارة (أخوكم في الله من السعودية بالرياض وأغلب مافي كلمة هذا الكاتب ومافي كلمة الرفاعى مأخوذ من عبارات الشيخ محمد بن علوى المالكي).

٤ - الأستاذ أنور أسعد أبو الجدائل احتوى رده على مقالات عديدة نشرت في اعداد من جريدة المدينة المنورة تحت عنوان (استرعى انتباهي) وتحتوى ردودهم على مايلي:

١ - عدم تسليم قول سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الموالد (أول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع الهجرى وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة) فقد تعقبه الرفاعى في الحلقة الثانية من رده المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ بما نصه (ليس الاحتفال بالمولد من مخترعات الدولة الفاطمية بل هو السلطان مظفر صاحب إربل المتوفى سنة ٦٣٠هـ).

٢ - أن للاحتفال بذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي أدلة كثيرة أولها قول الله تعالى في كتابه الكريم «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» استدل به محمد بن علوى المالكي في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوي» ص ٨٧ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوي ص ١٠ وفي مقدمته لطبعة مولد

الديبع الاولى طبعة مطابع سحر بجده» ص ٦ للاحتفال بذلك اليوم قال في الجميع «إن الفرح به صلى الله عليه وسلم مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبى صلى الله عليه وسلم أعظم الرحمة قال الله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ١٠هـ وساق الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعى في الحلقة الأولى من مقاله المنشور في عدد «السياسة الكويتية» ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين ١٤٠٢/٣/٢٣ هـ نفس مقاله في ذلك .

الثاني - ماثبت في الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله عز وجل «فقال صلى الله عليه وسلم فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه» ورد الاستدلال بهذا الحديث في جواب للحافظ ابن حجر العسقلانى عن سؤال وجه إليه عن عمل المولد حسبما ذكره السيوطى في حسن المقصد في عمل المولد» وهو من محتويات الجزء الأول من «الحاوى للفتاوى ص ١٩٦ والزرقاتى في الجزء الأول من شرحه للمواهب اللدنية ص ١٤٠ ونص الحاوي» (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة والافلا. وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت وهو ماثبت في الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى»^(١) فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة . والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة. وأى نعمة أعظم من النعمة ببيروز هذا النبى نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء. ومن لم يلاحظ ذلك لايبالى بعمل المولد في أى يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه الى يوم من السنة وفيه مافيه. فهذا مايتعلق بأصل عمله. وأما مايعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على مايفهم الشكر لله تعالى من نحو ماتقدم ذكره من التلاوة والاطعام والصدقة وإنشاد شىء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة. وأما مايتبع

(١) كذا في المرجعين لم يذكر فيهما قول النبى صلى الله عليه وسلم «فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه» مع كون المقام يقتضى ذكره لأن الاستدلال به.

ذلك من السماع واللهم وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضى السرور بذلك اليوم لأبأس بالحق به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى» ١٠هـ، هذا نص جواب الحافظ العسقلاني ومنه أخذ محمد بن علوى المالكي قوله في ص ٨ من رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف».

وفي ص ٧ من مقدمته لطبعة مولد الديبع الأولى وفي ص ١٠—١١ من مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى قوله «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت فإذا جاء الزمان الذى وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لاجلها ولأنه ظرف لها وقد أصل صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل الى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك ف قيل له إنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكراً لله على هذه النعمة فقال صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه» وقد أوجز صاحب المقال المنشور في عدد المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثانى عام ١٤٠٢هـ كلامه ولفظه «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل الى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك ف قيل له إنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومونه شكراً لله على هذه النعمة فقال عليه الصلاة والسلام نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه» ، كما اعتمد على عبارة محمد بن علوى في ذلك الاستاذ يوسف هاشم الرفاعى في الحلقة الثانية من حلقتى مقاله المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ وأحال بعد ذكرها على «مقدمة المورد الروى في المولد النبوى وقد أخطأ الاستاذ الرفاعى في الحلقة الأولى من رده خطأ فاحشا حيث عزا فتوى الحافظ ابن حجر العسقلانى التى عبر عنها محمد بن علوى المالكي بتلك العبارة التى قلده فيها عزاها في الحلقة الأولى من رده الى الهيتمى ولفظه» ومنهم — أى الذين أفتوا باباحة الاحتفال بالمولد النبوى — العلامة المحدث (١) الشيخ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمى المكي ٩٠٩—٩٧٤ صاحب «الفتاوى الحديثية» الذى أفتى بجوازه واستنبط له أصلا من الشريعة الغراء حيث قال «وقد ظهر لى

(١) وصف الهيتمى بأنه محدث غلط آخر فانه ليس بمحدث وانما هو فقيه متصوف.

تخرجه على أصل ثابت وهو ماثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة» وقال ابن حجر بعد هذا «وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم وعلى هذا ينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء»، ويدل على كون هذه الفتوى إلى ابن حجر الهيتمي خطأ أمران أحدهما أن السيوطي الذي نقل تلك الفتوى في رسالته «حسن المقصد في عمل المولد» توفي سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة، وهى السنة التى ولد فيها أحمد بن حجر الهيتمي حسبما ذكره الشيخ الغزى في ترجمته من الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج ٣ ص ١١١ قال «أخبرنى عنه — أى الهيتمي — تلميذه محمد بن عبد العزيز الزمزمي مفتى مكة أن مولده سنة إحدى عشرة وتسعمائة» الثانى وصف السيوطى أحمد بن حجر صاحب تلك الفتوى التى نقلها في حسن المقصد في عمل المولد بأنه حافظ العصر وتكنيته إياه بأبى الفضل فإن هذين الأمرين لا ينطبقان الا على أحمد بن حجر صاحب «فتح البارى» شرح صحيح البخارى هو حافظ عصره بلاشك وهو المكنى أبا الفضل كناه به والده على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن حجر كما صرح به الحافظ نفسه في ترجمة والده المذكور من «إنباء الغمر بأبناء العمر ج ١ ص ١٧٥ حيث قال «تركنى لم أكمل أربع سنين وأنا الآن أعقله كالذى يتخيل الشيء ولا يتحققه وأحفظ منه أنه قال «كنية ولدى أحمد أبو الفضل» رحمه الله تعالى».

الثالث : ما أخرجه البيهقى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عتق عن نفسه بعد النبوة» خرج السيوطى في حسن المقصد عمل المولد عليه ولفظه بعد إirاده فتوى الحافظ المتقدمة في عمل المولد «قلت قد ظهر لى تخرجه — أى عمل المولد النبوى — على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عتق عن نفسه بعد النبوة» مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عتق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لاتعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين وتشريع لأُمَّته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده» الخ كلام

السيوطى وقد نقله عنه شارح «المواهب اللدنية» الزرقانى ج ١ ص ١٤٠ قال «قال السيوطى وظهري تخريجه - أى عمل المولد - على أصل آخر وهو ما رواه البيهقي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم علق عن نفسه ولا تعاد العقيقة مرة ثانية فيحمل على أنه فعله شكراً فكذاك يستحب لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات» ١٠١هـ

الرابع : ماجاء عن عروة أنه قال في ثوبية مولاة أبى لهب وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشرحيفة قال له ماذا لقيت قال أبو لهب لم ألق بعدكم غير أنى سقيت في هذه بعثتني ثوبية» تعلق بهذا المرسل الشيخان شمس الدين بن الجزرى وشمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقى قال الأول في كتابه المسمى «عرف التعريف بالمولد الشريف مانصه» «قد روى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال في النار الا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا وأشار لرأس أصبعه وإن ذلك باعترافى لثوبية عندما بشرتنى بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال فاذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بدمه جوزى في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم يسلم بمولده ويبذل ماتصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري إنما يكون جزاءه من الله الكريم أن يدخله بفضل جنات النعيم» (١) وقال الثاني في كتابه المسمى «مورد الصادي في مولد الهادى»: «قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين لاعتاقه ثوبية سرورا بملاد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشد:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه	وتبت يدها في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما	يخفف عنه للسرور بأحدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره	بأحمد مسرورا ومات موحدًا (٢)

(١) حسن المقصد في عمل المولد للسيوطى ص ١٩٦-١٩٧ من الحاوى للفتاوى ج ١ طبعة

النار والمورد الروى ، لعلي القارىء ص ٨٢

(٢) حسن المقصد في عمل المولد ص ١٩٧

وقد اعتمد محمد بن علوى المالكى على كلام ابن ناصر الدين هذا في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ٥٦ وفي مقدمته لطبعة مولد الديبع الاولى ص ٥٦ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ٩ ذكر في الجميع أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قال وقد انتفع به الكافر فقد جاء في البخارى أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثوبية جاريتيه لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين (٣) الدمشقى.

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	بثبت يده في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً	يخفف عنه للسورر بأحد
فما الظن بالعبد الذى كان عمره	بأحمد مسروراً ومات موحد

وحذا حذو محمد بن علوى في ذلك الاتجاه الأستاذ يوسف هاشم الرفاعى في الحلقة الثانية من مقاله المنشورة في عدد «السياسة الكويتية ٤٨٧٠» الصادرة يوم الاثنين ٣/٢٣ عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان «حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولد النبوى» وصاحب المقال المنشور في عدد «المجتمع» ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ.

الخامس — أن الذى احتفل بالمولد النبوى وتبعه غيره في ذلك وهو السلطان مظفر سلطان إبريل — ملك عادل ذكر ابن خلكان تتزامن مظاهر احتفاله بالمولد في وفيات الأعيان ٢٧٣/٣ كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان وأكثر الإمام أبو شامة شيخ النووى الشناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء ذلك الإمام الجليل على ذلك الفعل الحميل في تلك الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة وصنف الشيخ أبو الخطاب بن دحية للسلطان المذكور مجلداً في المولد النبوى سماه «التنوير في مولد البشير النذير» وكان حافظاً ومن أعيان العلماء كما ترجم له بذلك ابن خلكان استدل بجميع هذا الاستاذ الرفاعى في الحلقة الأولى من رده المنشورة في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٥٩ الصادر يوم الخميس الثانى عشر من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ.

السادس : مانقله محمد بن علوى المالكى عن الامام ابن تيمية في اقتضاء

(٣) لفظ «الدين» ساقط من مقدمة ابن علوى للمورد الروى

الصراط المستقيم ونص مانقله عنه «وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له والله قد يشي بهم على هذه المحبة والاجتهاد لا «على البدع» ثم قال «واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير لاشتماله على أنواع من المشروع وفيه أيضاً شر من بدعة وغيرها فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة إلى الاعراض عن الدين بالكلية كحال المنافقين والفساقين وهذا قد ابتلى به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة فعليك هنا بأدين: أحدهما أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطنياً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك واعرف المعروف وأنكر المنكر. الثاني أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه فلا تدع إلى تركه منكراً بفعل ما هو أنكروه منه أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الامكان إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه» ثم قال «فتعظيم المولد واتخاذة موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقيح من المؤمن المسدد ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب أو كما قال مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط وليس مقصود أحد هذا وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها» ، نقل هذا كله السيد محمد ابن علوى بن عباس المالكي في مقدمته لطبعة مولد الديبع الاولى ص ١٤-١٦ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٩-٢١ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعنوانه فيهما بما لفظه «رأى الشيخ ابن تيمية في المولد يقول «قد يثاب بعض الناس على فعل المولد».

السابع : مافي رحلة ابن بطوطة من الثناء على محمد بن محيي الدين الطبرى أحد قضاة مكة أيام وصول ابن بطوطة إليها في رحلته باحتفاله بالمولد النبوى فقد قال تحت عنوان «ذكر قاضى مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائها وصلحائها» ج ١ ص ٩٢ «قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محيي الدين الطبرى وهو فاضل كثير الصدقات والمجاهدة للكعبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة وخصوصاً في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فإنه يطعم

فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين». أورد الأستاذ أنور أسعد أبو الجدائل هذا في عدد جريدة المدينة الصادر في ٢٧ ربيع الثاني عام ١٤٠٢ هـ ضمن مناقشاته في الاحتفال بالمولد النبوي.

الثامن : أن الاحتفال بالمولد النبوي تذكير بأهمية صاحب الذكرى الذى أرسله الله رحمة للعالمين وأمر الجميع باتباعه «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» ومن أجل ذلك ولأن العهد بين زمنهم وزمنه بعيد فإنهم يتخذون من هذا الاحتفال تذكيراً به وبما جاء به من الحق والخير الذى سعدت به البشرية حيث أخرجها من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعدل ودفعاً للصبية الصغار وغيرهم من العامة إلى استشعار خطر صاحب هذه الرسالة والالتفاف حول دعوته — ولتذكير الجميع بها على أساس «إن الذكرى تنفع المؤمنين» ورد الاستدلال بهذا فى الحلقة الأولى من حلقات كتابة الأستاذ أنور أسعد أبى الجدائل عن المولد النبوي الشريف وقد نشرت تلك الحلقة الأولى فى عدد جريدة المدينة ٥٤٠٩ الصادر فى ١٢/٣/١٤٠٢ هـ وأضاف إلى ذلك قوله «إن التذكير بذلك — أى أهمية صاحب الذكرى — الآن يبدو مفيداً حيث كادت الجاهلية أن تعود سيرتها الأولى فى الكثير من المجتمعات ولذلك استحسن الكثير من المسلمين الاحتفاء بذكرى المولد».

التاسع : أن الاحتفال بالمولد النبوي إذا لم يقتصر فيه على الثانى عشر من ربيع الأول ولا على ربيع الأول وحده ولا على وقت معين بل وقع فى غير ذلك من الأوقات فلا حرج على المحتفل به أورد هذا الأستاذ أنور أسعد أبو الجدائل فى رده على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عليه المنشور فى عدد جريدة المدينة المنورة الصادر فى يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الثانى عام ١٤٠٢ هـ وجزم الأستاذ أنور بانه لا حرج على المحتفل بالمولد فى هذه الحالة ولاداعى إلى استمرار النقاش فيه. وجاء فى رسالة محمد بن علوى المالكي «حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف» ص ٤ وفى مقدمته للمورد الروى فى المولد النبوي» ص ٨ وفى طبعته الاولى لمولد الديبع ص ٤ مانصه (لأنقول بسنية الاحتفال بالمولد المذكور فى ليلة مخصوصة بل من اعتقد ذلك فقد ابتدع فى الدين لأن ذكره صلى الله عليه وسلم والتعلق به يجب أن يكون فى كل حين ويجب أن تمتلئ به النفوس نعم إن فى شهر ولادته يكون الداعى أقوى لإقبال الناس واجتماعهم وشعورهم الفياض بارتباط الزمان بعضه ببعض فيتذكرون بالحاضر الماضى وينتقلون من الشاهد الى الغائب).

العاشر : دعوى أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها جامع الآثار في مولد النبي المختار في ثلاث مجلدات «واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» وهو مختصر «ومورد الصادى في مولد الهادى» وأن للسخاوى في المولد كتابا يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك» ورد الاستدلال بذلك في المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثانى عام ١٤٠٢هـ بتوقيع «أخوكم في الله من السعودية - الرياض بصدد ذكر المؤلفين في الاحتفال بالمولد النبوى ونصه «الإمام الحافظ ابن كثير ألف في المولد النبوى كتابا عدة ذكر صاحب كشف الظنون في أسامى الكتب والفنون ص ٣١٩ أن الحافظ ابن كثير قد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاث مجلدات و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» وهو مختصر وقال ابن فهد إن لابن كثير كتابا يسمى «مورد الصادى في مولد الهادى» ومنهم الإمام الحافظ السخاوى له كتاب في المولد يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك».

الحادى عشر : أن الاحتفال بالمولد النبوى أمر استحسنة العلماء وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» ورد الاستدلال بهذا في رسالة محمد بن علوى «حول الاحتفال بالمولد النبوى ص ١٣ وفي طبعته الأولى لمولد الديبع ص ١٠ وفي مقال يوسف هاشم الرفاعى كما استدل بأثر ابن مسعود المذكور أنور أسعد أبو الجداول في الحلقة الأولى من مقاله المنشور في عدد جريدة المدينة ٥٤٠٩ الصادر في ١٢/٣/١٤٠٢هـ قال وقد أثر عن الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود قولا مرفوعا اليه «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وماستقبحه المسلمون فهو عند الله قبيح».

وبنفس هذا الاتجاه بدأ محمد بن علوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» وجوه استحسان القيام في المولد قال ص ٢٩ «الوجه الأول أنه جرى عليه العمل في سائر الأقطار والأمصار واستحسنة العلماء شرقا وغربا والقصد به تعظيم صاحب المولد الشريف صلى الله عليه وسلم وماستحسنة المسلمون فهو عند الله حسن وماستقبحوه فهو عند الله قبيح كما تقدم في الحديث، أى في كلامه على الاحتفال بالمولد.

الثانى عشر : أن المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوى

وهذه أمور مطلوبة شرعا وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها، ذكر ذلك محمد بن علوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٣.

هذا ما استدل به أولئك الذين أثاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ الأثرى عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وهناك أمور أخر مما تعلق به الدعاة الى الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى:

أحدها دعوى تلقى الأوامر النبوية بالاحتفال بذلك اليوم في المنام يقول ابن طغر بك في «الدر المنتظم» ممن عمل ذلك — أى الاحتفال بذلك اليوم — على قدر وسعه يوسف الحجار بمصر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحرض يوسف المذكور على عمل ذلك قال وسمعت يوسف بن على بن زريق الشامى الأصل المصرى المولد الحجار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام منذ عشرين سنة وكان لى أخ في الله تعالى يقال له الشيخ أبو بكر الحجار فرأيت كأنتى وأبا بكر هذا بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم جالسين فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرقها نصفين وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم كلاما لم أفهمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مجيبا له لولا هذا لكانت هذه في النار ودار الى وقال لأضربنك وكان بيده قضيب فقلت لأى شىء يارسول الله فقال حتى لا تبطل المولد ولا السنن قال يوسف فعملته منذ عشرين سنة الى الآن وقال سمعت يوسف المذكور يقول سمعت أخى أبا بكر الحجار يقول سمعت منصوراً النشار يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لى قل لا يبطله يعنى المولد ماعليك ممن أكل ومن لم يأكل قال وسمعت شيخنا أبا عبد الله بن أبى محمد النعمان يقول سمعت الشيخ أبا موسى الزرهونى يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد فقال صلى الله عليه وسلم من فرح بنا فرحنا به. نقل هذا كله الشامى في الجزء الأول من سيرته «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ص ٤٤٠-٤٤١ عن ابن طغر بك وذكر صاحب مولد شرف الأنعام (١) أن عبد الواحد بن اسماعيل قال كان بمصر رجل يصنع مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم كل عام وكان الى جانبه رجل يهودى فقالت زوجة اليهودى ما بال جارنا المسلم ينفق مالا جزيلا في مثل هذا الشهر فقال لها زوجها إنه يزعم أن نبيه ولد فيه وهو يفعل ذلك فرحة به وكرامة له ولولده. قال فسكتا ثم ناما ليلتهما فرأت امرأة اليهودي في المنام رجلا جميلا عليه مهابة وتبجيل ووقار

(١) مطبوع ضمن مجموعة منها مولد البرزنجى ونظمه.

دخل بيت جاره المسلم وحوله جماعة من أصحابه وهم يبجلونه ويعظمونه فقالت لرجل منهم من هذا الرجل الجميل الوجه فقال لها هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل هذا المنزل ليسلم على أهله ويزورهم لفرحهم به فقالت له هل يكلمنى إذا كلمته قال نعم فأنت إليه وقالت يا محمد فقال لها لييك فقالت له أتحيب لمثل بالتلبية وأنا على غير دينك ومن أعدائك فقال لها والذى بعثنى بالحق نبيا ما أجبت نداءك حتى علمت أن الله تعالى قد هداك انتهى ما فى مولد شرف الأنام ص ٥٩-٦٠ وورد فى مقدمة مولد الشيخ محمد عثمان الميرغنى المسمى «الأسرار الربانية» ص ٦-٧ مانصه «لما كان يوم الجمعة وقع فى الخاطر تأليف مولد يتلى فى بعض أخبار ولادة الحقيقة الأحمدية وسطح الوارد بتسميته بالأسرار الربانية فى مولد من وضع وهو مصحوب بالختان، والدرر الوهبية المجلية الحقية فى بعض أنباء من ظهر وعيناه مكحولتان فرأيت فى تلك الليلة النبى صلى الله عليه وسلم رؤية منامية، ورؤيته حق كما أورد عنه ثقات الرواة بطرق الاحصان، فأمرنى أن أصنف مولداً وأجعل احدى قافيتيه هاء بهية ، والأخرى نونا كما فعلت لأنها نصف دائرة الأكوان وبشرنى أنه يحضر فى قراءته إذا قرئ فسطرت ليتشرف به كلماتلى حكاية نومية وأنه يستجاب الدعاء عند ذكر الولادة وعند الفراغ منه فنسأل الله الغفران».

الأمر الثانى : مانقله الأذفوى الشافعى فى كتابه «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد» فى ترجمة محمد بن ابراهيم أبى الطيب السبتى القوصى قال ص ٤٧٨ «حكى لى صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد محمد — أنه كان يجتاز بالفقيه عثمان باليوم الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم فيقول يافقيه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا» ذكر السيوطى هذا ضمن ما استدل به فى كتابه «حسن المقصد فى عمل المولد» للاحتفال بالمولد النبوى وقال ص ١٩٧ ج ١ بعد ذكره «وهذا — أى قول محمد بن ابراهيم أبى الطيب السبتى هذا يوم سرور — منه دليل على تقريره — أى للاحتفال بالمولد النبوى — وعدم انكاره» ثم قال السيوطى «وهذا الرجل — أى محمد بن ابراهيم أبو الطيب السبتى — كان فقيها مالكيا متفنا فى علومه متورعا أخذ عنه أبو حيان وغيره مات سنة خمس وتسعين وستمائة» ١٠١ هـ كلام السيوطى.

الأمر الثالث ما اعتاده أهل مكة ليلة الثانى عشر من ربيع الأول كل عام من زيارة مولد النبى صلى الله عليه وسلم المكانى والاحتفال به على الكيفية المعروفة عندهم التى وصفها قطب الدين الحنفى فى كتابه «الاعلام بأعلام بيت الله الحرام»

حيث قال في ص ١٩٦ في كلامه على المولد النبوى «يزار — أى مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكانى — في الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول في كل عام فيجتمع الفقهاء والأعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الأربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد إلى سوق الليل ويمشون فيه إلى محل المولد الشريف بازدهام ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون إلى المسجد الحرام ويجلسون صفوفًا في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلى الناس على عادتهم ثم يمشی الفقهاء مع ناظر الحرم إلى الباب الذى يخرج منه من المسجد ثم يفرقون وهذا من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتى الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الأودية في تلك الليلة ويفرحون بها» ١٠١ هـ كلام القطب الحنفى.

وقد استدلل الشيخ محمد بن علوى المالكى — في مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٣ وفي مقدمة طبعته الأولى لمولد الديبع ص ١٠ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٢ لتعظيم المكان الذى ولد فيه نبي بأمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسرائء بصلاة ركعتين ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

هذا ماعورض به انكار الاحتفال بالمولد النبوي من قبل الدعاة إليه.

كما عارض أولئك الذين أثاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ في الاحتفال عارضوا ماورد فيها وماأشارت إليه من النصوص القطعية الصريحة في ذم الابتداع في الدين بمايلي:

١ — حديث من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لاينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» جاء في مقدمة محمد بن علوى المالكى لطبعة مولد الديبع الاولى التي سماه فيها باسم «مختصر في السيرة النبوية» ص ١٣ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٨ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوي» ص ١٧ مانصه «قد سمي الشارع بدعة الهدى سنة ووعد فاعلها أجرا فقال

عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء» واستدل بهذا الحديث أيضا أنور أبو الجدائل في كلمته المنشورة في عدد جريدة المدينة الصادر يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الثاني عام ١٤٠٢ هـ وهذا الاتجاه ذكر الشاطبي في الجزء الأول من الاعتصام ص ١٣٩-١٤٢ أن من يتجهمه يزعم أن معنى «من سن سنة حسنة» في ذلك الحديث من اخترع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة» لامن عمل بسنة ثابتة ويدعى أن التعبير عن العمل بالسنة الثابتة هو أن يقال من عمل بسنتي أو سنة من سنتي وما شبه ذلك كما خرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال: أعلم يارسول الله قال اعلم يا بلال قال أعلم يارسول الله قال: انه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئا» حديث حسن وعن انس رضى الله عنه انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لى يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى في الجنة» حديث حسن ف قوله «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى» واضح في العمل بما ثبت أنه سنة وكذلك قوله «من أحيا سنتي فقد أحبنى» ظاهر في السنن الثابتة بخلاف قوله «من سن كذا فانه ظاهر في الاختراع أولاً من غير أن يكون ثابتا في السنة وأما قوله لبلال ابن الحارث «ومن ابتدع بدعة ضلالة» فظاهر أن البدعة لا تدم باطلاق بل بشرط أن تكون ضلالة وأن تكون لا يرضاها الله ورسوله فاقتضى هذا كله أن البدعة اذا لم تكن كذلك لم يلحقها ذم ولا تبع صاحبها وزر فعادت إلى انها سنة حسنة ودخلت تحت الوعد بالاجر».

٢ — ما أخرجه الامام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه موقوفا «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» استدل به محمد بن علوى بن عباس المالكي للاحتفال بالمولد النبوي في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٣ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٣-١٤ وفي مقدمته لطبعة مولد ابن الديبع الأولى ص ١٠ قال في الجميع «إن المولد أمر استحسنة العلماء والمسلمون من جميع البلاد وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف «مارآه المسلمون حسنا فهو عند

الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» أخرجه أحمد وحذا حذو محمد بن علوى في الاستدلال بذلك الموقوف صاحب المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء من ربيع الثاني عام ١٤٠٢هـ ساق نفس عبارة محمد بن علوى من دون أن يعزوها إليه كما حذا حذوه في الاستدلال بذلك الأثر أسعد أنور في مقاله المنشور في عدد جريدة المدينة ٥٤٠٩ الصادر في الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ تحت عنوان «ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «وقد أثر عن الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود قولاً مرفوعاً إليه» مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وماستقبحه المسلمون فهو عند الله قبيح» ٥١١هـ وإلى ذلك الاتجاه اتجه من عارض نصوص ذم البدع بأن السلف الصالح رضى الله عنهم وأعلاهم الصحابة قد عملوا بما لم يأت به كتاب ولا سنة مما رأوه حسناً ولا تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة وإنما يجتمعون على هدى وما هو حسن فقد أجمعوا على جمع القرآن وكتبه في المصاحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية واطراح ماسوى ذلك من القراءات التي كانت مستعملة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في ذلك نص ولا حظر ثم اقتضى الناس أثرهم في ذلك الرأى الحسن فجمعوا العلم ودونوه وكتبوه ومن سباقهم في ذلك مالك بن أنس رضى الله عنه وكان من أشدهم اتباعاً وأبعدهم من الابتداع نقل الشاطبى ذلك عن بعض المعارضين.

٣- تقسيم من قسم من أهل العلم المتأخرين البدعة الى أحكام الشريعة الخمسة وقد أكثر المثيرون للضجة من ايراد ذلك ونظرا الى أن أوسع المتأخرين كلاماً في ذلك القرافى وشيخه العز بن عبد السلام نكتفي بإيراد كلامهما فنقول:

قال القرافى إعلم أن الأصحاب متفقون على انكار البدع نص على ذلك ابن أبى زيد وغيره. والحق التفصيل وأنها خمسة أقسام قسم واجب وهو ماتناولته قواعد الوجوب وأدلتها من الشرع كتدوين القرآن والشرائع إذ خيف عليها الضياع وأن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعاً وإهمال ذلك حرام إجماعاً فمثل هذا النوع لاينبغى أن يختلف في وجوبه. القسم الثانى المحرم وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلتها من الشريعة كالمكوس والمحدثات من المظالم والمحدثات المنافية لقواعد الشريعة كتقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح بطريق التوريث وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان لأبيه وهو في نفسه ليس بأهل القسم الثالث من البدع ما هو مندوب اليه وهو ماتناولته قواعد الندب وأدلتها

من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالة وتوسيع الأكمام وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة وجعله آخرون من السنن المفعولة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعده كالاستعاذة في الصلاة والبسلة.

انتهى ما في قواعد الاحكام في مصالح الأنام وقد اختصره الشاطبي في الجزء الاول من «الاعتصام» ثم قال «انتهى محصول مقال - اى ابن عبد السلام - وهو يصرح مع ما قبله (١) بأن البدع تنقسم باقسام الشريعة فلا يصح أن تحمل أدلة ذم البدع على العموم بل لها مخصصات».

وأضاف الشيخ محمد بن علوى في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف» ص ١٦ الى ذلك دعوى أنه لو كانت كل بدعة محرمة لوجب علينا حرب الكفار بالسهم والاقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والغواصات والأساطيل.

هذا ما أورده المثيرون لتلك الضجة حول كلمة سماحة العلامة الأثرى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله (٢) وأداء للواجب نحو الحق الذى تضمنته تلك الكلمة التزمنا كتابة هذا الرد على ردودهم ورتبناه على مايلي:

١ - مقدمة في بيان أن الاحتفال بذلك اليوم لم يقع من السلف الصالح.
٢ - فصل في ايضاح أن بنى عبيد القداح المتسمين باسم الفاطميين هم أول من احتفل بالمولد.

٣ - فصل في الجواب عما استدل به المثيرون لتلك الضجة على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى وعما عارضوا به نصوص ذم الابتداع في الدين.

٤ - فصل في الكلام على القصص التي تقرأ في تلك المناسبة وعلى ماتحتوى عليه من أضرار.

٥ - خاتمة في قواعد لا بد لمن يريد الحق من معرفتها والمحافظة عليها وسميته «القول

الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل»
والله تعالى أسأل التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

اسماعيل الانصارى

(١) يريد بما قبله كلام القرافى.

(٢) وقد أضفنا إليه غير ذلك مما تعلق به بعض الدعاة الى الاحتفال.

مقدمة في بيان أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يقع من السلف الصالح وأنه من البدع

اتفق أهل العلم من لا يرى منهم عمل المولد ومن يراه على أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يفعله السلف الصالح ومن تصرّحوا بهم بذلك مايلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩٥ في الاحتفال بالمولد النبوي «لم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محضاً أو راجحاً لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هى طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان».

وفي الفتاوى المصرية له أى لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه سئل عن عمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم هل ذلك مستحب أم لا؟ فأجاب: الحمد لله جمع الناس للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة وهو من شعائر الإسلام التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين، وإعانة الفقراء بالاطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من فطر صائماً فله مثل أجره» وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر. وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالى شهر ربيع الأول التي يقال إنها ليلة المولد أو بعض ليالى رجب أو ثامن عشر ذى الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذى يسميه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها ج ١ ص ٣١٢».

وقال العلامة الامام الشيخ تاج الدين عمر بن على اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد».

«الحمد لله الذى هدانا لهذا لا تبايع سيد المرسلين وأيدنا بالهداية الى دعائم الدين، ويسر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع

الحق المبين، وظهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين، أحمد على مامن به من انوار اليقين، وأشكره على مأسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة الى يوم الدين.

أما بعد فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذى يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة وحدث في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا، والايضاح عنه معينا، فقلت وبالله التوفيق لأعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الاكالون بدليل أنا اذا أدركنا عليه الأحكام الخمسة قلنا اما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما وليس بواجب إجماعا ولا مندوب لأن حقيقة المندوب ماطلبه الشرع من غير ذم على تركه وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت وهذا جوابى عنه بين يدي الله تعالى ان عنه سئلت ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع في الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو حراما وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين.

أحدهما أن يعمل رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقتربون شيئا من الآثام. وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام، وعلماء الأنام وسرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثانى أن تدخله العناية وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف لاسيما ان انضاف الى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملائى بالآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات إما مختلطات بهن أو مشرفات. والرقص بالثنى والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف وكذلك النساء اذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الانشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى «إن ربك لبالمرصاد» وهذا الذى لا يختلف في تحريمه اثنان،

ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات، فانا لله وإنا إليه راجعون بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدا والله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجازناه:

قد عرف المنكر واستنكر المعروف	في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدة	وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذى	ساروا به فيما مضى نسبه
فقلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	نوبتكم في زمن الغربه

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب، هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذى توفي فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه. وهذا ما علينا أن نقول ومن الله تعالى نرجو حسن القبول». هكذا ساق السيوطى في ج ١ من الحاوى للفتاوى ص ١٩٠-١٩٢ رسالة الفاكهاني (١) وقال «هذا جميع ما أورده الفاكهاني في كتابه.

وعلى ماتضمنته رسالة الفاكهاني من كراهة عمل المولد اعتمد الشيخ العدوى المالكي في حاشيته على مختصر الشيخ خليل المالكي ج ٨ ص ١٦٨ حيث قال في مبحث الوصية منها «أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني أن عمل المولد مكروه» ونقل ذلك عن العدوى وتلقاه بالقبول أبو عبد الله محمد عlish في فتح العلي المالكي في الفتوى على مذهب الامام مالك ج ١ ص ١٧١ قال لما سئل عن رجل عنده بقرة فمرضت والحال أنها حامل فقال إن شفى الله بقرتى فعلي ذبح ما في بطنها في مولد للرسول صلى الله عليه وسلم فشفأها الله تعالى وولدت أنثى ثم تراخى عن ذبحها حتى كبرت وحملت فهل يلزمه ذبحها بعينها أو يلزمه ذبح بدلا أولا يلزمه شيء قال في الجواب عن هذا السؤال «الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول

(١) اعترف أهل العلم للفاكهاني بالامامة في العلم فقد قال ابن فرحون في ترجمته في «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب ص ١٨٦» «عمر بن أبى اليمن على بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني يكنى أبا جعفر الاسكندري قرأ القرآن بالقراءات على أبى

عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز المازوني وسمع منه وسمع من أبي عبد الله محمد بن طرخان وأبي الحسن علي بن أحمد القرافي وسمع من غيرها وكان فقيها فاضلا متفتنا في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب وكان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم واتباع السلف الصالح حسن الأخلاق وذكر أنه ولد سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي بالاسكندرية في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ودفن ظاهر باب البحر» وقال الحافظ ابن كثير في حوادث سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من تاريخه «البداية والنهاية» ج ١٤ ص ١٥٣ «في نصف رمضان - أي من تلك السنة - قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي ابن الفاكهاني المالكي نزل عند القاضي الشافعي وسمع عليه شيئا من مصنفاته وخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق» ثم قال ابن كثير في حوادث سنة أربع وثلاثين وسبعمائة من ذلك المصدر «البداية والنهاية» الشيخ الإمام ذو الفنون تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الاسكندراني المعروف بابن الفاكهاني ولد سنة أربع وخمسين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك وبرع وتقدم بمعرفة النحو وغيره وله مصنفات في أشياء متفرقة قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة في أيام الاخنائي فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه وحج من دمشق عامئذ وسمع عليه في الطريق ورجع إلى بلاده توفي ليلة الجمعة سابع جادى الأولى - أي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وصلى عليه بدمشق حين بلغهم خبر موته. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة عمر بن سالم اللخمي الاسكندراني تاج الدين الفاكهاني من «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ج ٣ ص ٢٥٤ «سمع على بن طرخان والمكين الأسمر وعتيق العمري وغيرهم وتفقه لمالك وأخذ عن ابن المنير وغيره ومهر في العربية والفنون وصنف شرح العمدة وغيرها ومن تصانيفه الإشارة في النحو والمورد في المولد واللمعة في وقفة الجمعة والدرة القمرية في الآيات النظرية وحج من طريق دمشق سنة سبعمائة وثلاثين ورجع ومات ببلده سنة سبعمائة وإحدى وثلاثين». وعلى هذه الترجمة من الدرر الكامنة اعتمد المؤرخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحلي ابن العماد الحنبلي في الجزء السادس من شذرات الذهب في أخبار من ذهب» وزاد أن الشمني قال «له شرح مقدمة في النحو وسمع من التقى بن دقيق العيد والبدر بن جماعة وأجاز لعبد الوهاب الهروي» وقال السيوطي في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ج ١ ص ١٩٥ في ذكره من كان بمصر من الفقهاء المالكية «تاج الدين الفاكهاني عمر بن علي بن سالم اللخمي الاسكندراني كان فقيها متفتنا في العلوم صالحا عظيما» ووصفه تلميذ السيوطي محمد بن يوسف الصالحى الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج ١ ص ٤٤٦ بأنه الإمام العلامة وساق نص كتابه «المورد في الكلام على عمل المولد». بهذا كله يتبين أن قول السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد» في الفاكهاني «من متأخري المالكية» لا ينقص من مكانته على أن المدار ليس على التقدم والتأخر وإنما هو على التوفيق كما بينه ابن مالك في مقدمة التسهيل حيث قال «وإذا كانت العلوم منحاً الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين».

الله لا يلزمه شيء لأن عمل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ليس مندوبا خصوصا إن اشتمل على مكروه كقراءة بتلحين أو غناء ولا يسلم في هذه الأزمان من ذلك وما هو أشد منه والنذر إنما يلزم به مانبه والله أعلم قال العدوى في مبحث الوصية «وأما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني أن عمل المولد مكروه».

وقال الاستاذ أبو عبد الله محمد الحفار «ليلة المولد لم يكن السلف الصالح وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله لكن يتقرب إلى الله جل جلاله بما شرع. والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها ف قيل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان وقيل في ربيع الأول واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة أقوال فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة بولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف ولكن لم تشرع زيادة تعظيم الا ترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله فدل هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا في مكان إلا إن شرعت ومالم يشرع لا يفعل إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها ولو فتح هذا الباب لجاء قوم فقالوا: يوم هجرته إلى المدينة يوم أعز الله فيه الإسلام فيجتمع فيه ويتعبد ويقول آخرون الليلة التي اسري به فيها حصل له فيها من الشرف ما لا يقدر قدره فتحدث فيها عبادة فلا يقف ذلك عند حد. والخير كله في اتباع السلف الصالح الذين اختارهم الله له فما فعلوا فعلناه وما تركوا تركناه قال فإذا تقرر هذا ظهر أن الاجتماع في تلك الليلة ليس بمطلوب شرعا بل يؤمر بتركه، هذا نص ما جاء في جواب الأستاذ أبي عبد الله الحفار عن سؤال وجه إليه عن رجل حبس أصل توت على ليلة مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم مات المحبس فأراد ولده أن يتملك أصل التوت المذكور وبناء على ما قرره من كون الاحتفال بتلك الليلة بدعة جزم بأن وقوع التحبيس عليها مادام أمرها كذلك مما يحمل على بقاء ذلك العمل الذي ليس له أصل في الدين واستمراره وبأن محوه وإزالته مطلوبان شرعا ثم أضاف الحفار إلى ذلك أن تلك الليلة في زمنه تقام على طريقة الفقراء ووصفها بقوله وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من

أعظم القربات في هذه الاوقات وأنها طريقة أولياء الله وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم احكام ما يجب عليه في يومه وليته بل هو ممن استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزينون لهم الباطل و يضيفون إلى دين الله تعالى ما ليس منه لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب وهم يضيفونه إلى أولياء الله وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل فصار التحبب عليهم لقيموا بذلك طريقتهم تحببوا على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته ويستحب للمحبس ان يصرف هذا الأصل من التوت إلى باب آخر من أبواب القربات الشرعية وإن لم يقدر على ذلك فينقله لنفسه والله تعالى يمين علينا باتباع هدى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتباع السلف الصالح الذين في اتباعهم النجاة.

ذكر ذلك كله العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي في الجزء السابع من كتابه الشهير «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ص ٩٩-١٠١ في كتاب الحبس وبهذا الذى بينه الأستاذ أبو عبد الله الحفار يرد على فتوى ابن عباد المتصوف المذكورة في الجزء الحادى عشر من «المعيار ص ٢٧٨-٢٧٩ بإباحة الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي.

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في بيان ما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من الدعوة إلى الحق قال مانصه «وأنكر - أى الإمام محمد بن عبد الوهاب - ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ولم ترد به حجة شرعية ولا برهان لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية وهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين (١)».

وقال الامام الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الجواب عن سؤال وجه إليه عما يخص به يوم المولد من النحر ويسمونه نافلة، وما يفعل في السابع والعشرين من رجب من تخصيصه بالصوم والنحر، وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من النحر وصيام اليوم هل هو محرم أو مكروه أو مباح؟ وهل يجب على الأمراء والعلماء إنكار ذلك ويأثمون بالسكوت أم لا؟ قال «هذه الأمور المذكورة من البدع لما ثبت عن النبي

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة مطبعة المنار ص ٤٤٠ من الجزء الرابع و«الدرر السنية» ج ٤ ص ٤٠٩.

صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وقوله في الحديث الآخر «وليساكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» والعبادات مبناهما على الأمر والنهى والاتباع. وهذه الأمور لم يأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلها الخلفاء الراشدون ولا الصحابة والتابعون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذه الأمور ليس عليها أمره صلى الله عليه وسلم فتكون مردودة يجب إنكارها لدخولها فيما أنكر الله ورسوله قال تعالى «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» وهذه الأمور مما أحدثه الجهال بغير هدى من الله والله سبحانه وتعالى أعلم» (١).

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف لما سئل عن صرف المال باسم مولد النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن عمل المولد من البدع المنكرات والأعمال السيئات وصرف المال لأجل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعة محرمة وفاعلها مأزور غير مأجور فيجب الانكار على من فعل ذلك» (٢).

وقال السيد على فكرى في المحاضرة السادسة عشرة من «المحاضرات الفكرية» ص ١٢٨ «لم يكن في سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد لأحد منهم ولم تجر بذلك سنة المسلمين فيما سلف . والثابت في كتب التاريخ وغيرها أن عادة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم من العادات المحدثه».

وقال الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيرى في «السنن والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ص ١٣٨-١٣٩ في الفصل الذى عقده لشهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه «لا يختص هذا الشهر بصلاة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجمع والأعياد التي رسمها لنا الشارع صلوات الله وتسليماته عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ففى هذا الشهر ولد صلى الله عليه وسلم وفيه توفى فلماذا يفرحون بميلاده ولا يحزنون لوفاة فاتخاذ مولده موسما والاحتفال به بدعة منكرة ضلالة لم يرد بها شرع ولا عقل ولو كان في هذا خير كيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة وأتباعهم لاشك

(١) القسم الثاني من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة مطبعة المنار ٣٥٧-٣٥٨ وج ٤ من الدرر السنية ص ٣٨٩ لكن مافي طبعة المنار أكمل.

(٢) الدرر السنية ج ٨ ص ٢٨٥ فإن قيل إن الإمام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى قال في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في شرح قول ابن حزم «اتفقوا» على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب، قال في شرح كلام ابن حزم هذا الذى أورده الإمام محمد بن عبد الوهاب في باب قول الله تعالى «فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون» ص ٤٤٤ مائنه «قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب الدرر السنية في مولد خير البرية» كان سن أبيه — أى أبى النبي صلى الله عليه وسلم — عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ثم ذهب الى المدينة ليمتار منها قرأ لأهله فمات بها عند أخواله بنى عدى بن النجار والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح انتهى» وهذا قد يتوهم منه متوهم أنه يقر عمل المولد فالجواب أن مانقله الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن ذلك الكتاب أمر سيرى لاصلة له بالاحتفال بالمولد النبوى الذى صرح بأنه بدعة وحزم بمنعه في غير ذلك الموضع ونظير ماوقع منه في ذلك ماوقع من الحافظ ابن كثير في كلامه على أحداث الإسراء في تفسيره المقبول حيث قال ج ٣ ص ٢٤ «فائدة قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتكلم عليه فاجاد وأفاد ثم قال «وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن اوس وأبى ابن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسما بنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع في المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملاحدون «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون» ١٠ هـ كلام ابن كثير وهو الذي نقل في الجزء الثالث عشر من تاريخه «البداية والنهاية» ص ١٤٤ عن سبط ابن الجوزى أنه قال في ابن دحية «قد كان كابن عيين في ثلب المسلمين والوقية فيهم ويزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته» بل قال ابن كثير في ذلك الجزء ١٣ ص ١٤٥ بعد سرده ترجمة ابن خلكان لابن دحية مائنه «قلت — القائل ابن كثير — قد تكلم الناس فيه — أى ابن دحية — بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده لنعلم كيف حاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر . والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه»، فالحق لا يرد من أى قائل ومن أى مصدر والحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها وعلى هذا مشيت في هذا الرد أنقل القول الحق عن قائله وإن كنت غير راض عنه.

أنه ما أحدثه الا المتصوفون الأكالون البطالون أصحاب البدع وتبع الناس بعضهم بعضا فيه إلا من عصمه الله ووفقه لفهم حقائق دين الإسلام».

وقال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ١١-١٢ بعد ذكره العوائد الرديئة التي اعتادها أهل وقته في عمل المولد والمفاسد المترتبة على عمله قال مانصه «فإن خلا - أى عمل المولد النبوى - منه - أى من السماع - وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا اليه الاخوان وسلم من كل ماتقدم ذكره - أى من المفاسد - فهو بدعة بنفس نيته فقط إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن لهم تبع فيسعنا ماوسعهم وقد علم ان اتباعهم في المصادر والموارد كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد جاء في الخبر «لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا» وقد وقع ماقاله عليه الصلاة والسلام بسبب ماتقدم ذكره وماسيأتى بعد لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل فإننا لله وإنا اليه راجعون.. وقال أيضا وقد قال بعض الأدباء كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكى بعضهم	بعضا ليدفع معور عن معور
أبنى إن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله	فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله	من يسع في علم بلب يظفر

بل وصل ابن الحاج في الجزء المذكور ص ٢٦ في كلامه على محاذير عمل المولد إلى أن يقول مانصه «وبعضهم - أى المحتفلين بالمولد النبوى - يتورع عن هذا - أى مايقع في المولد من المحاذير ويعمل المولد بقراءة البخارى وغيره عوضا عن ذلك وهذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق على الوجه الشرعى كما ينبغي لآبنة المولد ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب الى الله تعالى ومع ذلك

فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لكان مذموماً مخالفاً فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها».

وقال الحافظ أبو زرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب هو أم مكروه وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به قال «إطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف ولانعلم ذلك — أى عمل المولد ولو باطعام الطعام — عن السلف (١)».

وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر العسقلاني في فتواه في عمل المولد التي ساقها السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد» قال فيها «أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة» وقال السخاوي في فتاويه «عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة وإنما حدث بعد» نقل ذلك عن السخاوي الشيخ محمد بن يوسف الصالحى الشامى في الجزء الأول من سيرته «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ص ٤٣٩ والملاعلى القارىء في كتابه «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٢٤.

وقال الشيخ نصير الدين المبارك الشهير بابن الطباخ في فتوى بخطه «ليس هذا — أى عمل المولد — من السنن».

وقال الشيخ ظهير الدين جعفر التزمى في عمل المولد «هذا الفعل لم يقع في الصدر الأول من السلف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له — أى للنبي صلى الله عليه وسلم — إعظاماً ومحبة لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ولا ذرة منه». نقل ذلك عن ابن الطباخ والتزمى صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٤٤١-٤٤٢.

بهذه النقول يتضح أن السلف الصالح لم يحتفلوا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بل تركوه وماتركوه لا يمكن أن يكون تركهم إياه إلا لكونه لاخير فيه كما

(١) نقل ذلك عنه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق في كتابه تشنيف الآذان» ص ١٣٦ ونص كلامه «قال الحافظ أبو زرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب أو مكروه وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به مانعه «اطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف ولانعلم ذلك عن السلف. ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروهاً فكم من بدعة مستحبة بل واجبة» ١٠١ هـ. مانقله والشاهد منه تصريح العراقي بأن عمل المولد بدعة لا يعلمها عن السلف وأما دعوى العراقي أن البدعة تكون مستحبة وتكون واجبة فيدل على بطلانها عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم «وكل بدعة ضلالة».

أوضحه ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٢٧٨ حيث قال بصدد استنكاره بإصلاة الرغائب مانصه.

ماحدث بعد السلف رضى الله عنهم لا يخلو إما أن يكونوا علموه وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملوا به ومعاذ الله أن يكون ذلك إذ إنه يلزم منه تنقيصهم وتفضيل من بعدهم عليهم ومعلوم أنهم أكمل الناس في كل شيء وأشدهم اتباعا واما أن يكونوا علموه وتركوا العمل به ولم يتركوه الا لموجب أوجب تركه فكيف يمكن فعله هذا مما لا يتعلل وإما أن يكونوا لم يعلموه فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلم منهم وأفضل واعرف بوجوه البر وأحرص عليها ولو كان ذلك خيرا لعلموه ولظهر لهم ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: عقول الناس على قدر أزمئتهم. ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين ولا في الاعتقادات لوفور عقولهم وإنما حدثت الشبه بعدهم لما خالطت العجمة الألسن فلنقصان عقول من بعدهم عن عقولهم وقع ماوقع» ١٠١هـ كلام ابن الحاج وفيه دليل من ناحية أخرى على أن ماتركه السلف الصالح لا بد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تركه وتركه سنة كما أن فعله سنة فمن استحب فعل ماتركه النبي صلى الله عليه وسلم كان كمن استحب ترك ما فعله ولا فرق كما بينه الإمام شمس الدين ابن القيم في «اعلام الموقعين» ج ٢ ص ٣٩٠-٣٩١ وقال بعده «فإن قيل من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم فهذا سؤال بعيد جدا عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه ولو صح هذا السؤال وقبل لاستحب لنا مستحب الأذان للتراويح وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا مستحب آخر الغسل لكل صلاة وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا مستحب آخر النداء بعد الأذان للصلاة بريحكم الله ورفع بها صوته وقال من أين لكم أنه لم ينقل واستحب لنا آخر لبس السواد والطريحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصبح بين يديه ورفع المؤذنين أصواتهم كلما ذكر الله واسم رسوله جماعة وفراى وقال من أين لكم أن هذا لم ينقل واستحب لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال من أين لكم أن إحياءها لم ينقل وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا الى بدعة من أين لكم أن هذا لم ينقل ومن هذا تركه أخذ الزكاة من الحضراوات والمباطخ وهم يزعمونها بجواره بالمدينة كل سنة فلا يطالبهم بزكاة ولا هم يؤدونها إليه» ١٠١هـ. ولعدم انتباه محمد بن علوى لذلك كله قال في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٧-١٨ وفي مقدمته لطبعة مولد الديبع الأولى ص ١٣ وفي مقدمته للمورد الروى

في المولد النبوى ص ١٧ مانصه «وقول المتعصب إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلا له بل هو عدم دليل كما لا يخفى على من مارس علم الأصول».

ومما يدل على أن السلف الصالح لم يحتفلوا بيوم المولد النبوى اختلافهم في تحديد اليوم الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم من كلام أبى عبد الله الحفار الذى نقله عنه صاحب المعيار ج ٧ ص ١٠٠ ونص كلامه «والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيّدون فيها — أى في ليلة المولد النبوى زيادة على سائر الليالى أنهم اختلفوا فيها فقليل إنه صلى الله عليه وسلم ولد في رمضان وقيل في ربيع — أى الأول — واختلف في أى يوم ولد فيه على أربعة أقوال فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة لولادة خير الخلق صلى الله عليه وسلم لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف» ١٠١ هـ. المراد من كلام أبى عبد الله الحفار هنا وقد بسط الكلام على ذلك الخلاف الذى أشار إليه الإمام العلامة الحافظ ابن كثير في الجزء الثاني من تاريخه «البداءة والنهاية» ص ٢٦٠-٢٦١ والقسطلانى في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣١-١٣٢ فقد قال ابن كثير بعد أن جزم بأنه لاخلاف في أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين قال — الجمهور على أن ذلك — أى ولادته كان في شهر ربيع الأول فقليل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب ورواه الواقدى عن أبى معشر نجيع بن عبد الرحمن المدنى وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدى عن ابن حزم ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمى ورجحه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه ورواه ابن عساكر عن أبى جعفر الباقر (١) ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن اسحاق ورواه ابن أبى شعبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن ميناء عن جابر وابن عباس أنهما قالَا

(١) وقول أبى جعفر الباقر هذا هو الذى صححه الحافظ الدمياطى نقل ذلك عنه تلميذه الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخه الكبير ص ٢٣ ط مكتبة القدسى قال «قال شيخنا أبو محمد الدمياطى في السيرة من تأليفه عن أبى جعفر محمد بن على الباقر قال «ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من المحرم وقال ابو معشر نجيع ولد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول قال الدمياطى والصحيح قول أبى جعفر».

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم وقيل لسبعة عشر خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة وقيل لثمان بقين منه^(١) نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضي من كما نقله عنه الحميدى وهو أثبت» وذكر ابن كثير القول بأنه ولد في رمضان فاستغربه جداً.

وقال القسطلانى في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣١-١٣٢ «اختلف في أى يوم من الشهر - أى شهر ربيع الأول - ولد - فقيل انه غير معين إنما ولد يوم الاثنين من ربيع الأول من غير تعيين والجمهور على أنه معين فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلانى وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن واختاره الحميدى وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف لإجماع أهل الزيج^(٢) عليه ورواه الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وأيام العرب أخذ ذلك عن أبيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثني عشر وعليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل إن هذين القولين غير صحيحين عن حكيا عنه بالكلية» ١٠١ هـ كلام القسطلانى ولمراعاة الخلاف في اليوم الذى ولد فيه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم من شهر ربيع الأول لمراعاته نوعا ما كان صاحب إربل يحتفل بالمولد النبوى سنة في ثامن شهر ربيع الأول وسنة في ثاني عشره جاء ذلك في وصف ابن خلكان في تاريخه «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لاحتفاله

(١) نقل الشيخ على بن برهان الدين الحلبي الشافعى في «إنسان العمون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية عن أبي الخطاب بن دحية أن القول بأن ولادة النبى صلى الله عليه وسلم كانت لثمان مضي من ربيع الأول هو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ».

(٢) الزيج بزاي مكسورة فتحتية ساكنة فجيم أى الميقات وهو لغة خيط البناء ثم نقل وجعل لقباً لعمل الميقات لقولهم علا الخيط في أحد استواء النجوم القاموس الزيج خيط البناء مغرب ومقتضاه فتح الزاى لأنه إذا أطلق أراد الفتح الا فيما اشتهر بخلافه كما قال في خطبته وقد ضبطه بعضهم بكسرهما فلعله مما اشتهر» ١٠١ هـ من شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ١ ص

١٣١-١٣٢.

بالمولد النبوى قال ج ١ ص ٤٣٧ «كان — أى صاحب إربل يعمله — أى عمل المولد — سنة في ثامن الشهر — أى شهر ربيع الأول — وسنة في ثانى عشره لأجل الاختلاف الذى فيه» ١٠١هـ.

يضاف إلى ذلك ان الشهر الذى ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم ابن الحاج والفاكهانى.

فقد قال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ١٦-١٧ في كلامه على عمل المولد قال العجب العجيب كيف يعملون المولد بالمغانى والفرح والسرور كما تقدم لأجل مولده عليه الصلاة والسلام كما تقدم في هذا الشهر الكريم وهو عليه الصلاة والسلام فيه انتقل الى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة وأصيب بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبدا فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير وانفراد كل إنسان بنفسه لما أصيب به لقوله عليه الصلاة والسلام ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي . فلما ذكر عليه الصلاة والسلام المصيبة به ذهب كل المصائب التي تصيب المرء في جميع أحواله وبقيت لاخطر لها ولقد أحسن حسان حين رثاه عليه الصلاة والسلام بقوله:

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

فانظر في هذا الشهر الكريم والحالة هذه كيف يلعبون فيه ويرقصون ولايبكون ولايحزنون ولو فعلوا ذلك لكان أقرب الى الحال لأجل اقتراف الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مذهبا للذنوب وممحيًا لآثارها مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان أيضا بدعة وإن كان الحزن عليه صلى الله عليه وسلم واجبا على كل مسلم دائما لكن لا يكون على سبيل الاجتماع لذلك والتباكى وإظهار التحزن بل ذلك أعنى الحزن في القلوب فإن دمعت العين فيأحبذا والا فلا حرج إذا كان القلب عامرا بالحزن والتأسف إذ هو المقصود بذلك كله وإنما وقع الذكر لهذا الفصل لكونهم فعلوا الطرب الذى للنفس فيه راحة وهو اللعب والرقص والدف والشبابة وغير ذلك مما تقدم بخلاف البكاء والحزن إذ إنه ليس للنفس فيه راحة بل الكمد وحبس النفوس عن شهواتها وملأوها. ولو قال قائل أنا أعمل المولد للفرح والسرور لولادته صلى الله عليه وسلم ثم أعمل يوما آخر للمأتم

والحزن والبكاء عليه فالجواب أنه قد تقدم أن من عمل طعاما بنية المولد ليس إلا
وجمع له الاخوان فإن ذلك بدعة هذا وهو فعل واحد ظاهره البر والتقرب ليس إلا
فكيف بهذا الذى جمع بدعا جملة في مرة واحدة فكيف إذا كرر ذلك مرتين مرة للفرح
ومرة للحزن فتزيد به البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع والله أعلم».

وقال الفاكهاني في رسالته «المورد في عمل المولد» إن الشهر الذى ولد فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعينه الشهر الذى توفى فيه فليس الفرع فيه بأولى
من الحزن فيه».

فصل في اثبات احتفال بنى عبيد القداح بالموالد قبل صاحب إربل وأَنهم أول من احتفل بها

قال تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقریزی في الجزء الأول من كتابه — «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ص ٤٩٠ تحت عنوان «ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم» قال «كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهى موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وإيام الركوبات» ثم بعد إيضاحه غاية الإيضاح تلك الأعياد والمواسم ذكر أن الموالد الستة كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء وبسط في ذلك الجزء من ذلك الكتاب «كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ٤٣٢ ص ٤٣٣ (١) الكلام على وصف جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب» قال «قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسائة وفي الثانى عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم في صحون وللفقراء على أرغفة السميز ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي

(١) طبعة دار صادر بيروت

والداعى والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلى باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وقرقت الصوانى بعدما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة وإلى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والأولاد وكاتب الدست ومتولى حجة الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأيمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف قال وخرج الأمر يعنى في سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق ما يخص المولد الأمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق ومايصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطر حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكناج وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الأرض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرءون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره.

قال «واستهل ربيع الأول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ماهو برسم الصدقات من مال النجاوي خاصة ستة آلاف درهم ومن الأصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد ومايتولى تفرقة سنا الملك بن ميسر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال «وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل امر الموالد الأربعة النبوى والعلوى والفاطمى والإمام الحاضر ومايهتم به وقدم العهد به حتى نسى ذكرها فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الأمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ما ذكر وقال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة ومايطلق فيها وهى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد

الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس في المنطرة التي هى أنزل المناظر وأقرب إلى الارض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول وهو يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — تقدم — بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها وتعبى في ثلاثمائة صينية من النحاس فتفرق تلك الصوانى في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب يدعو بخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فإذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه فإن كانت الدعوة مضافة إليه والاحضر الداعى معه بنقباء الرسائل فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمال الأصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالي القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنطرة ويرجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وماعليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كفه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين أحد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنطرة فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده إلى مامن الله به على ملة الإسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرءون فإذا

انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده في كفه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى».

وقال أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى في الجزء الثالث من صبح الأعشى في صناعة الانشاء» ص ٤٩٨-٤٩٩ في كلام له طويل في جلوسات الخليفة الفاطمي قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام الموالك وجلوسه ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه للقاضي والشهود في ليالى الوقود الاربع من كل سنة قال «الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف وتعباً في ثلاثمائة صينية نحاس فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق في أرباب الرسوم كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراء الحضرة والخطباء والمتصدرين بالجامع بالقاهرة ومصر وقومة المشاهد وغيرهم ممن له اسم ثابت بالديوان ويجلس الخليفة في منطرة قريبة من الأرض مقابل الدار القطبية المتقدمة الذكر «وهى البيمارستان المنصورى الآن» ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود الى الجامع الأزهر ومعههم أرباب تفرقة الصوانى المتقدمة الذكر فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة وتسد الطريق تحت القصر من جهة السيوفين وسويقة أمير الجيوش ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشا ويرش تحت المنطرة بالرمل الأصفر ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحضرون ويترجلون على القرب من المنطرة ويجتمعون تحتها وهم متشفون لانتظار ظهور الخليفة فيفتح إحدى طاقات المنطرة فيظهر منها وجهه ثم يخرج أحد الاستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام ويقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدم في ليالى الوقود(١) فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس الى بيوتهم وكذلك شأنهم في مولد على بن أبى طالب الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة.

ومن صرح من المتأخرين بأن أول من أحدث المولد المتسمون بالفاطميين مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بن بخيت المطيعى والشيخ على محفوظ والسيد على

(١) في كلامه على ليالى الوقود حيث قال «فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام».

فكرى فقد قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى مفتى الديار المصرية سابقا في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام» ص ٤٤-٤٥ «مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون وأولهم المعز لدين الله توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة ٣٦١ إحدى وستين وثلاثمائة هجرية فوصل إلى ثغر اسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان في تلك السنة فابتدعوا ستة موالد. المولد النبوى ، ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء ومولد الحسن ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش وكان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام إلى مصر في خلافة المستنصر بالله بناء على دعوة منه فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ٤٦٥ خمس وستين وأربعمائة هجرية فلما توجه لمحاربة أهل الشام استناب ولده الأفضل. وفي ربيع الآخر أو في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات أمير الجيوش فأقام الجند ولده الأفضل مقامه ثم مات المستنصر بالله لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ٤٨٧ سبع وثمانين وأربعمائة هجرية ومدة خلافته ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام فأقام الأفضل بعد المستنصر ابنه المستعلى بالله ثم مات المستعلى في ليلة ثلاث عشرة بقيت من صفر سنة ٤٩٥ خمس وتسعين وأربعمائة هجرية ومدة خلافته سبع سنين وشهران فأقام الأفضل بعده في يوم موته ابنه الأمر بأحكام الله ثم قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة ٥١٥ خمس عشرة سنة وخمسائة هجرية ثم قتل الأمر بأحكام الله في سنة ٥٢٤ خمسائة وأربعة وعشرين هجرية ثم قال المطيعى في بيان ما كان يعمل في المولد النبوى من الفاطميين ص ٤٥-٤٧ «وفي خلافة الأمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قبل بعد أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها وكان الخليفة يجلس في هذه الموالد في تواريخ مختلفة ويكون جلوسه كما في الخطط للمقرئى نقلا عن ابن الطوير في المنظرة التي هي أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض ففي المولد النبوى إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يعمل في دار الفطرة عشرون قطارا من السكر اليابس حلوى يابسة وتعبا في ثلاثمائة صينية من النحاس فتفرق تلك الصواني على أرباب الرسوم من ذوى الرتب من أول النهار إلى ظهره. فأولهم قاضى القضاة . ثم داعى الدعاة وقراء حضرة الخليفة والخطباء والمتصدرون بالجوامع فإذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني

فيجلسون فيه مدة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه بالأزهر فيركبون وقد كنست الطريق ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش ماتحت المنطرة بالرمل الأصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة كل ذلك ووالى مصر يغدو ويروح لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيقرب جميع المدعويين من المنطرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحتها دون الساعة الزمانية لانتظار الخليفة تفتح إحدى طاقات المنطرة فيظهر منها وجهه وماعليه من المنديل. وفوق رأسه عدة رجال يسمون بالأستاذين وغيرهم من الخواص ويفتح بعض الأستاذين طاقة أخرى ويخرج منها رأسه ويده في كفه ويشير به قائلا: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيبدأ بقاضى القضاة أولا فيسلم عليه بنعوته ثم بعده صاحب الباب ثم بالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين واحد فيستفتح قراء الحاضرة بالقراءة ويكونون وقوفا في الصدر وجوههم وظهورهم الى حائط المنطرة. فيتقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: إن هذا اليوم مولده صلى الله عليه وسلم وقد بعثه الله فيه برسالة عامة ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك . ثم خطيب الجامع الأحمر فيخطب كذلك والقراء في خلال الخطب يقرأون فاذا انتهت الخطب أخرج الاستاذ رأسه ويده في كفه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فينفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها من غير زيادة ولانقص الا فيما يتعلق بصاحب المولد في الخطب فإنه يكون في كل مولد بما يناسب صاحبه». ذكر المطيعي هذا كله ثم قال: ص ٤٧ «وقد استمر عمل الموالد الى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى حتى كادت الموالد الآن لاتحصى وزادوا على ماكان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها» ثم بعد ما نقل المطيعي ماكان يعمل مظهر الدين صاحب إربل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن خلكان ونقل عنه ايضا قضية ابن دحية معه وتأليفه له «التنوير في مولد السراج المنير» بعد ما نقل ذلك قال في ص ٥٢ «من ذلك تعلم أن مظهر الدين إنما أحدث المولد النبوى في مدينة إربل على الوجه الذى وصف فلانينا في ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبى محمد عبد الله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة هجرية. وماكانت الموالد تعرف في دولة الإسلام من قبل الفاطميين.

وأضاف الشيخ محمد بخيت المطيعي الى ذلك قوله «وأنت إذا علمت ماكان يعملهُ الفاطميون» ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لايمكن أن يحكم عليه كله بالحل»

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في «الابداع في مضار الابتداع» ص ١٢٦ (١) في فصل عقده لبدع الموالد وأول من أحدثها وأدوارها التاريخية (أول من أحدثها — أى الموالد — بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد المولد النبوي ومولد الامام على رضى الله عنه ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ومولد الحسن والحسين رضى الله عنهما ومولد الخليفة الحاضر وبقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعد ماكاد الناس ينسونها وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة إربل الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع» قال «وقد استمر العمل بالموالِد إلى يومنا هذا وتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ماتهواه أنفسهم ويوحيه اليهم الشيطان».

وقال الأستاذ السيد على فكرى في المحاضرة العاشرة من «المحاضرات الفكرية» ص ٨٤ تحت عنوان «البدع في الموالِد» «أول من أحدثها — أى الموالِد — بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة المولد النبوي ومولد الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء وسيدنا الحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وبقيت هذه الموالِد الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة ٥٢٤ وأول من أحدث المولد — أى بعد ذلك — الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع بمدينة إربل بالموصل وقد استمر العمل بالموالِد إلى يومنا هذا وتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ماتهواه أنفسهم ويزين لهم الشيطان».

ومن بحث في احتفالات بنى عبید القداح بالموالِد والأعياد الدكتوران حسن ابراهيم حسن مدير جامعة اسيوط سابقا وطه أحمد شرف مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية في كتابهما «المعز لدين الله» قالوا ص ٢٨٤ تحت عنوان «الحفلات والأعياد» عمل الفاطميون على كسب احترام رعاياهم وساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب وغلا خلفاؤهم في مصر في إقامة الحفلات التي طبعوها بطابع خاص وأقاموا المناظر وبخاصة في أنحاء القاهرة فكان المعز ومن أتى بعده من الخلفاء

(١) طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة للنمكاني.

يحتفلون بصلاة الجمعة على مارأينا وصلاة العيدين وتوديع الحملات الحربية كما كانوا يحتفلون بيوم عاشوراء ومولد بعض أئمتهم^(١) مثل على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء ابنة الرسول وزوجة على ومولد الحسن والحسين كما كانوا يحتفلون أيضا ببعض الأعياد الأخرى التي تميزهم عن السنيين مثل عيد الغدير ومولد الخليفة القائم بالأمر وكانوا يحتفلون كذلك بأعياد أخرى مثل ليلة أول رجب وليلة نصف رجب وليلة أول شعبان وليلة نصف شعبان وبعيد غرة رمضان وكانوا يشاركون الأهلىن فى الاحتفال ببعض أعيادهم مثل عيد جبر الخليج وعيد النوروز وشاركوا القبط فى الاحتفال بيوم الغطاس وخميس العهد وغيرها. ونلاحظ على هذه الاعياد أموراً منها أن المعز لدين الله كان أول من مهد لهذه الأعياد فى مصر وعمل على ترويجها باقامة الولائم الضخمة - احتفالاً بها فكان يقيم الأسطة فى قصور الخلافة وفى المساجد وحذا خلفاؤه حذوه فكانوا يقيمون الأسطة فى قاعة الذهب بالقصر الكبير طوال شهر رمضان وأيام العيدين وكانت هذه الأسطة آية فى الروعة والجلال وكان يدعى إليها قاضى القضاة وكبار القواد والموظفين ويمثل الخليفة فيها الوزير غالباً كما كانت الدولة تنفق عليها أموالاً طائلة مما يدل على وفرة ثروة مصر فى عهد الفاطميين وكان الفاطميون يتخذون هذه الأعياد وسيلة لجذب الرعايا اليهم لذلك شارك المعز القبط فى الاحتفال بعيد خميس العهد وعيد يوم الغطاس وعيد الميلاد وغيرها وقد نهج أبناؤه وأحفاده نهجه فى ذلك حقاً لم ينل عيد النوروز من تقدير المعز ماناله على يد الخلفاء الفاطميين الذين ولو الخلافة من بعده فقد أمر هذا الخليفة فى سنة ٣٦٢هـ بمنع الاحتفال بعيد النوروز وشهر بكل من حدثته نفسه بالابتهاج بلياليه. وإنما فعل المعز ذلك لما كان يصحب هذا العيد من عادات لم تنل رضا هذا الخليفة فقد كان الفساد والخلاعة يقترنان به كما يتبين ذلك مما أورده المقرئزى نقلاً عن ابن زولاق حيث يقول عند كلامه على حوادث سنة ٣٦٢هـ «منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز» ويقول فى حوادث سنة ٣٦٤هـ «وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام ثم اظهروا السماجات والحلى فى الأسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال» وليس معنى ذلك أن المعز كان يقف فى وجه رعاياه وإنما كان يعمل

(١) أى فيما يدعون والافعلى وفاطمة والحسن والحسين براء منهم.

على حفظ الأمن وبسط الطمأنينة والمحافظة على الآداب والفضيلة^(١) وسوف يصبح عيد النوروز من أهم أعياد الفاطميين. ومما يدل على أن المعز كان يتخذ من الاعياد وسيلة لجذب رعاياه اليه تلك الجهود التي كان يبذلها لاحياء بعض الاعياد القومية مثل عيد جبر الخليج فقد سن المعز لخلفائه من بعده سنة التودد الى المصريين في ذلك اليوم فكان الفاطميون ينفقون الأموال الجزلة للاحتفال به فتعطل الحكومة وتحتفل به الدولة احتفالا رسميا. أضف إلى ذلك أن المعز كان يشترك مع رعاياه في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية ومولد النبي صلى الله عليه وسلم وليلة أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه وموسم غرة رمضان حتى لا يثير نفوس السنين ويقرب مسافة الخلف بين المبادئ السنية والعقائد الشيعية وكذلك كان المعز لدين الله يستغل هذه الأعياد التي كان زخربها عهده في نشر خصائص المذهب الاسماعيلي وعقائده لذلك كان يحتفل بيوم عاشوراء ليحيى فيها ذكرى الحسين رضى الله عنه كما كان يحيى ذكرى مولد كثير من الأئمة وذكر مولد الخليفة القائم بالامر وهكذا اتخذ المعز من الاحتفال بهذه الاعياد وسيلة لجذب رعاياه اليه ونشر مبادئ المذهب الاسماعيلي ٥١هـ.

كما بحث في تلك الاحتفالات الدكتور أحمد مختار العبادى أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الاسكندرية وبيروت العربية في تأليفه في التاريخ العباسى والفاطمى ص ٢٦١-٢٦٢ قال في احتفالات المتسمين بالفاطميين بالأعياد مانصه «اما احتفالاتهم بالاعیاد الإسلامية فقد خرجت عن التقليد المعروف بالاحتفال بالعيدين فقط عيد الفطر وعيد الاضحى إذ تجاوزت ذلك الى الاحتفال بميلاد أهل البيت كالمولد النبوى ومولد الحسين ومولد السيدة زينب إلى جانب الاحتفال برؤيا هلال رمضان وبليلالى رمضان وليلة الاسراء والمعراج (٢٧ رجب) وليلة النصف من شعبان.. الخ وكان يصاحب ذلك بيع الحلوى واللعب وعرائس المولد.. الخ كل هذه الأشياء ابتدعها الفاطميون» ٥١هـ. المراد من كلامه.

(١) كيف يكون محافظا على الآداب والفضيلة من سيأتى في آخر هذه العبارة انه استغل الاعياد التي زخربها عهده في نشر خصائص المذهب الاسماعيلي وعقائده.

فصل في الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى

أما الاستدلال بقول الله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوى فمن قبيل حمل كلام الله تعالى على ما لم يحمله عليه السلف الصالح والدعاء إلى العمل به على غير الوجه الذى مضوا عليه في العمل به وهو أمر لا يليق لما بينه الإمام الشاطبى في كتاب الأدلة الشرعية من «الموافقات في أصول الشريعة ج ٣ ص ٧١ وهو أن الوجه الذى لم يثبت عن السلف الصالح العمل بالنص عليه لا يقبل ممن بعدهم دعوى دلالة النص الشرعى عليه قال «إذ لو كان دليلا عليه لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين ثم يفهم من بعدهم فعمل الأولين كيف كان مصادم لمقتضى هذا المفهوم ومعارض له ولو كان ترك العمل قال فما عمل به المتأخرون من هذا القسم مخالف لاجماع الأولين وكل من خالف الاجماع فهو مخطئ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة. فما كانوا عليه من فعل أو ترك فهو السنة والأمر المعبر وهو الهدى وليس ثم الاصواب أو خطأ فكل من خالف السلف الأولين فهو على خطأ وهذا كاف . والحديث الضعيف الذى لا يعمل العلماء بمثله جار هذا المجرى ومن هنالك لم يسمع أهل السنة دعوى الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي أنه الخليفة بعده لأن عمل كافة الصحابة على خلافه دليل على بطلانه أو عدم اعتباره لأن الصحابة لا تجتمع على خطأ» قال «وكثيرا ماتجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة يحملونهما مذاهبهم ويعبرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة ويطنون أنهم على شئ ولذلك أمثلة كثيرة كالاستدلالات الباطنية على سوء مذاهبهم بما هو شهير في النقل عنهم وسيأتى منه أشياء في دليل الكتاب ان شاء الله تعالى واستدلال التناسخية على صحة ما زعموا بقوله تعالى «(في أى صورة ماشاء ركبك)». وكثير من فرق الاعتقادات تعلق بظواهر من الكتاب والسنة في تصحيح مذهبها اليه مما لم يجر له ذكر ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين وحاشى لله من ذلك ومنه أيضا استدلال من أجاز قراءة القرآن بالادارة وذكر الله برفع الأصوات وبهيئة الاجتماع بقوله عليه الصلاة والسلام «ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم» الحديث. والحديث الآخر «ما اجتمع قوم يذكرون الله» الخ وبسائر ما جاء في فضل مجالس الذكر وكذلك

استدلال من استدل على جواز دعاء المؤذنين بالليل بقوله تعالى «يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية وقوله «ادعوا ربكم تضرعا وخفية» وبجهر قوام الليل بالقرآن. واستدلواهم على الرقص في المساجد وغيرها بحديث لعب الحبشة في المسجد بالدرق والحراب وقوله عليه الصلاة والسلام «دونكم يا بني أرفدة» واستدلال كل من اخترع بدعة أو استحسّن محدثة لم تكن في السلف الصالح بأن السلف اخترعوا أشياء لم تكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ككتب المصحف وتصنيف الكتب وتدوين الدواوين وتضمين الصناعات وسائر مآذير الأصوليون في أصل المصالح المرسلة فخلطوا وغلطوا واتبعوا ما تشابه من الشريعة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها وهو كله خطأ على الدين واتباع لسبيل الملحدين فإن هؤلاء الذين أدركوا هذه المآذير وعبروا على هذه المسالك إما أن يكونوا قد أدركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الأولون أو حادوا عن فهمها وهذا الأخير هو الصواب إذ المتقدمون من السلف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم ولم يفهموا من الأدلة المذكورة وما أشبهها إلا ما كانوا عليه وهذه المحدثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها فدل على أن تلك الأدلة لم تتضمن هذه المعاني المخترعة بحال وصار عملهم بخلاف ذلك دليلا إجماعيا على أن هؤلاء في استدلالهم وعملهم مخطئون ومغالون للسنة فيقال لمن استدل بأمثال ذلك هل وجد هذا المعنى الذي استنبطت في عمل الأولين أو لم يوجد فإن زعم أنه لم يوجد ولا بد من ذلك فيقال له: أفكانوا غافلين عما تنبّهت أو جاهلين به أم لا. ولا يسعه أن يقول بهذا لأنه فتح لباب الفضيحة على نفسه وخرق للإجماع. وإن قال أنهم كانوا عارفين بما أخذ هذه الأدلة كما كانوا عارفين بما أخذ غيرها قيل له فما الذي حال بينهم وبين العمل بمقتضاها على زعمك حتى خالفوها إلى غيرها ماذا إلا لأنهم اجتمعوا فيها على الخطأ دونك أيها المتقول. والبرهان الشرعي والعادي دال على عكس هذه القضية فكل ما جاء مخالفا لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه فإن زعم أن ما انتحلته من ذلك إنما هو من قبيل المسكوت عنه في الأولين وإذا كان مسكوتا عنه ووجد له في الأدلة مساع فلا مخالفة إنما المخالفة أن يعاند مانقل عنهم بضده وهو البدعة المنكرة قيل له بل هو مخالف لأن ما سككت عنه في الشريعة على وجهين: أحدهما أن تكون مظنة العمل به موجودة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشرع له أمر زائد على ماضى فيه فلا سبيل إلى مخالفته لأن تركهم لما عمل به هؤلاء مضادله فمن استلحقه صار مخالفا للسنة حسبما تبين في كتاب المقاصد: والثاني أن لا توجد مظنة العمل به ثم توجد فيشرع له أمر زائد يلائم تصرفات الشرع في مثله وهى المصالح

المرسلة وهى من أصول الشريعة المبني عليها إذ هى راجعة الى أدلة الشرع حسبما تبين في علم الأصول فلا يصح ادخال ذلك تحت جنس البدع. وأيضا فالمصالح المرسلة عند القائل بها لا تدخل في التبعيدات البتة وإنما هى راجعة الى حفظ أصل الملة وحياطة أهلها في تصرفاتهم العادية ولذلك تجب مالكا وهو المسترسل في القول بالمصالح المرسلة مشددا في العبادات أن لا تقع الا على ما كانت عليه في الأولين فلذلك نهى عن أشياء وكره أشياء وإن كان إطلاق الأدلة لا ينفىها بناء منه على أنها تقيدت مطلقاتها بالعمل فلا مزيد عليه وقد تمهد أيضا في الأصول أن المطلق إذا وقع العمل به على وجه لم يكن حجة في غيره. فالحاصل أن الأمر أو الاذن إذ اوقع على أمر له دليل مطلق فرأيت الأولين قد عنوا به على وجه واستمر عليه عملهم فلاحجة فيه على العمل على وجه آخر بل هو مفتقر الى دليل يتبعه في اعمال ذلك الوجه وذلك مبين في باب الأوامر والنواهي من هذا الكتاب لكن على وجه آخر فإذا ليس ما انتحل هذا المخالف العمل به من قبيل المسكوت عنه ولا من قبيل مأصله المصالح المرسلة فلم يبق إذا أن يكون إلا من قبيل المعارض لما مضى عليه عمل الأقدمين وكفى بذلك مزلة قدم» وبعد هذا عقد الشاطبي فصلا في المخالفة.

ذكر فيه أن المخالف على ضربين أحدهما أن يكون من أهل الاجتهاد فلا يخلو أن يبلغ في اجتهاده غاية الوسع أولا فإن كان كذلك فلا حرج عليه وهو مأجور على كل حال وإن لم يعط الاجتهاد حقه وقصر فيه فهو آثم حسبما بينه أهل الأصول والثاني أن لا يكون من أهل الاجتهاد وإنما أدخل نفسه فيه غلطا أو مغالطة إذ لم يشهد له بالاستحقاق أهل الرتبة ولا رآوه أهلا للدخول معهم فهذا مذموم. وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين الا من أهل هذا القسم لأن المجتهدين وإن اختلفوا في الأمر العام في المسائل التي اختلفوا فيها لا يختلفون إلا فيما اختلف فيه الأولون أو في مسألة موارد الظنون لا ذكر لهم فيها فالأول يلزم منه اختلاف الأولين في العمل والثاني يلزم منه الجريان على ماورد فيه عمل. أما القسم الثاني فإن أهله لا يعرفون ما في موافقة العمل من أوجه الرجحان فإن موافقته شاهد للدليل الذى استدل به ومصدق له على نحو ما يصدقه الاجماع فإنه نوع من الاجماع فعلى بخلاف ما إذا خالفه فإن المخالفة موهنة له أو مكذبة. وأيضا فإن العمل مخلص للأدلة من شوائب المحامل المقدرة الموهنة لأن المجتهد متى نظر في دليل على مسألة احتاج الى البحث عن أمور كثيرة لا يستقيم إعمال الدليل دونها. والنظر في أعمال المتقدمين قاطع لاحتمالاتها معا ومعين لنا نسخها من منسوخها ومبين لمجملها الى غير ذلك فهو عون في سلوك

الاجتهاد عظيم ولذلك اعتمده مالك بن أنس ومن قال بقوله وقد تقدم منه أمثلة. وأيضاً فإن ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فيها مؤدية الى التعارض والاختلاف وهو مشاهد معنى. ولأن تعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها ولذلك لا تجب فرقة من الفرق الضالة ولا أحداً من المختلفين في الاحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة بل قد رأينا من ذلك أمثلة بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها الى الشريعة المنزهة.

وفي كتب التواريخ والأخبار من ذلك أطراف ما أشنعها في الافتيات على الشريعة وانظر في مسألة التداوي من الخمار في درة الغواص للحريرى وأشباهها بل قد استدل بعض النصارى على صحة ما هم عليه الآن بالقرآن ثم تحيل فاستدل على أنهم مع ذلك كالمسلمين في التوحيد تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فلهذا يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل ، وبعد هذا التبيان الشافي من الشاطبي جزاه الله عن دين الإسلام خير الجزاء — ذكر في ص ٧٧—٧٨ سبب وجوب مراعاة ما فهم الأولون من الدليل وما كانوا عليه في العمل به وهو أن أخذ الأدلة على الأحكام يقع في الوجود على وجهين: أحدهما أن يؤخذ الدليل مأخذ الافتقار واقتباس ماتضمنه من الحكم ليعرض عليه النازلة المفروضة لتقع في الوجود على وفاق ما أعطى الدليل من الحكم أما قبل وقوعها فبأن توقع على وفقه. وأما بعد وقوعها فليتلافى الأمر ويستدرك الخطأ الواقع فيها بحيث يغلب على الظن أو يقطع بأن ذلك قصد الشارع قال وهذا الوجه هو شأن اقتباس السلف الصالح الأحكام من الأدلة. والثاني أن يؤخذ مأخذ الاستظهار على صحة غرضه في النازلة العارضة بأن يظهر بادي الرأي موافقة ذلك الغرض للدليل من غير تحرر لقصد الشارع بل المقصود منه تنزيل الدليل على وفق غرضه قال وهذا الوجه هو شأن اقتباس الزائغين الأحكام. من الأدلة. قال الشاطبي «ويظهر هذا المعنى من الآية الكرمة» «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» فليس مقصودهم الاقتباس منها وإنما مرادهم الفتنة بها بهوهم إذ هو السابق المعتبر وأخذ الأدلة فيه بالتبع لتكون لهم حجة في زيغهم والراسخون في العلم ليس لهم هوى يقدمونه على أحكام الأدلة فلذلك يقولون آمنا به كل من عند ربنا ويقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا فيتبرؤن إلى الله مما ارتكبه أولئك الزائغون فلذلك صار أهل الوجه الأول محكمين للدليل على أهواءهم

وهو أصل الشريعة لأنها إنما جاءت لتخرج المكلف عن هواه حتى يكون عبداً لله وأهل الوجه الثاني يحكمون أهواءهم على الأدلة حتى تكون الأدلة في أخذهم لها تبعا.

وقال في الجزء الأول من «الاعتصام» ص ٢٣١ «كل من اتبع المشابهات أو حرف المناطات أو حمل الآيات مالاتحمله عند السلف الصالح أو تمسك بالأحاديث الواهية أو أخذ الأدلة بباديء الرأي ليستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يفوز بذلك أصلاً والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف قال فمن طلب خلاص نفسه تثبت حتى يتضح له الطريق ومن تساهل رتمته أيدى الهوى في معاطب لا يخلص له منها إلا ماشاء الله» وجزم قبل ذلك بأن عدم الوقوف في فهم النصوص والعمل بها على مامضى عليه السلف الصالح هو طريق لأهل البدع يتأتى به لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره بأدلة الشرع حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة قال «فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه استدل على كفره بآيات «القرآن» وأورد الشاطبي لذلك امثلة يطول الكلام بايرادها.

وقال الحافظ ابن عبد الهادى في «الصارم المنكى في الرد على السبكي» بصدد رده تأويل السبكي آية من القرآن بآلهم يسبقه إليه أحد من السلف قال ص ٤٢٧ طبعة «الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد».

«هذا التأويل الذى تأول عليه المعارض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وارشاداً او نصيحة ولا يجوز احداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وصلوا عنه واهتدى إليه هذا المعارض المستأخر».

وقال الشيخ محمد بن الموصلى في مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم ج ٢ ص ١٢٨ ، إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذى كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين اما أن يكون خطأ في نفسه او تكون اقوال السلف المخالفة له خطأ ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف.

هذه ارشادات من الشاطبى وابن عبد الهادى وابن الموصلى لو مشى على ضوئها محمد بن علوى المالكي لم يقع فيما وقع فيه من تحميل قول الله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» ما لم يحمله السلف من الاحتفال بالمولد النبوى.

وقد أجاد الإمام شمس الدين بن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» في تفسير هذه الآية الكريمة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) حيث قال فيه ص ٥ ط مطبعة الإمام «وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته — أى في هذه الآية — الإسلام والسنة. وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص فرحا أحزن ما يكون الناس فإن السنة حصن الله الحصين الذى من دخله كان من الآمنين وبابه الأعظم الذى من دخله كان إليه من الواصلين تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين أيديهم إذا اطفئت لأهل البدع والتفاق أنوارهم. وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة قال تعالى «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق وهى — أى السنة — الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداية وفوزه قال تعالى «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» فصاحب السنة حى القلب مستنيره وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه» ١٠١ هـ كلام ابن القيم جزاء الله خير الجزاء.

وأما حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم «فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم، فصامه وأمر بصومه» فتخريج الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتواه عمل المولد عليه لا يمكن الجمع بينه وبين جزمه أول تلك الفتوى بأن ذلك العمل بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة فإن عدم عمل السلف الصالح بالنص على الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم يمنع اعتبار ذلك الفهم صحيحا إذ لو كان صحيحا لم يعزب عن فهم السلف الصالح ويفهمه من بعدهم كما يمنع اعتبار ذلك النص دليلا عليه إذ لو كان دليلا عليه لعمل به السلف الصالح فاستنباط ابن حجر الاحتفال بالمولد النبوى مادام الأمر كذلك من حديث صوم يوم عاشوراء أو من أى نص آخر مخالف لما أجمع عليه السلف من ناحية فهمه ومن ناحية العمل به وماخالف إجماعهم فهو خطأ لأنهم لا يجتمعون إلا على هدى وقد بسط الشاطبى الكلام على تقرير هذه القاعدة في كتابه الموافقات وأتى في كلامه بما لأشك في أن الحافظ ابن حجر العسقلاني لو تنبه له لما خرج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء مادام

السلف لم يفهموا تخریجه علیه منه ولم يعملوا به على ذلك الوجه الذي فهمه منه، وقد ذكرنا من كلام الإمام الشاطبي في ذلك بصدد الرد على استدلال محمد بن علوی بقول الله تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» ذكرنا منه ما يكفي ويشفی.

هذا مايرد به على استدلال العسقلانی للاحتفال بحديث صوم يوم عاشوراء وأما ماسوى ذلك مما يلاحظ على فتواه في عمل المولد فقد أجاد السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من فتاويه ص ٢١١٢ — ٢١١٣ في تعقبه بأمر نلخص منها مايلي:

١ — أن تصریحه في تلك الفتوى بأن أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة يكفي فقد قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

٢ — أن المحاسن التي ورد في فتوى الحافظ أن من تحراها في عمل المولد وتجنب ضدها كان عمل المولد بدعة حسنة لا تعد هي بنفسها من البدع وإنما البدعة فيها جعل ذلك الاجتماع المخصوص بالهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص واعتبار ذلك العمل من قبيل شعائر الإسلام التي لا تثبت الا بنص الشارع بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعا. وعمل المولد بهذه القيود بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعدد من شرع مالم يأذن به الله ومن الافتراء على الله والقول في دينه بغير علم.

٣ — أن أمر الاحتفال بالمولد قد وصل إلى تكفير تاركة فصار بذلك كأنه من قواعد العقائد المعلومة من الدين بالضرورة وبذلك يعتبر زيادة في ضروريات الدين القطعية والزيادة في ضروريات الدين القطعية وشعائره تخرج المزيد عن كونه من الدين الذى جاء به خاتم النبيين عن الله تعالى القائل فيه «اليوم أكملت لكم دينكم» فهو إذا تشريع ظاهر مخالف لنص إكمال الدين وناقض له ويقتضى أن مسلمى الصدر الأول كان دينهم ناقصا وكانوا هم كفارا فيجب مادام الأمر قد وصل الى ذلك ترك حضور الحفلات المولدية وإن خلت من القبائح واشتملت على المحاسن ليلا يظن العوام والجهال بالسنة أنها من الفرائض التي يكفر تاركها قلت — القائل اسماعيل الأنصارى «قد وصل الى السيد رشيد رضا سؤال عن وضع العلويين في جاوه وهو أنهم يعتقدون في كل سنة حفلات — أى للمولد النبوى — كثيرة في أماكن متعددة وأوقات مخصوصة

يذبحون لها الدبائح وتشد لها الرحال من أماكن بعيدة ويلقنون الناس في تلك الحفلات أن من لم يحضر المولد فهو كافر ومن لم يقيم عند سماعه — أثناء قراءة قصة المولد — «مرحبا» الخ فهو كافر فاذا سألم سائل هل هذا أمر من الله ورسوله أجابوه بقولهم أنت كافر اسكت لا تنازعنا في هذا فإننا أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب السيد رشيد رضا بجواب طويل لخصنامته ما هنا والذي أعتقد أنه الحافظ ابن حجر العسقلاني لو كان يعلم أن أمر الاحتفال بالمولد النبوي يصل إلى تكفير تاركه لما أفتى بتلك الفتوى التي صدرت منه فيه.

٤ — أن أكثر القصص التي اعتيد التغني بها في الحفلات المولدية يشتمل على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرته وأفعاله.

٥ — أن ابن حجر العسقلاني وإن كان أحفظ الحفاظ في عصره لم يؤت من قوة الاستنباط ما أوتيته الأئمة المجتهدون قلت — القائل اسماعيل الأنصارى — يدل على أنه لم يؤت قوة الاستنباط في مسألة عمل المولد بالخصوص محاولته تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء رغم تصريحه قبل ذلك بأن عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة لما قدمناه.

ويضاف إلى هذا التلخيص لكلام السيد رشيد رضا أن حديث صوم يوم عاشوراء لنجاة موسى عليه السلام فيه واغراق فرعون فيه ليس فيه سوى أن النبي صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصومه.

كما يضاف إليه أن الشرط الذي شرطه الحافظ ابن حجر للاحتفال بالمولد النبوي وهو تحرى ذلك اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام لاسبيل إليه وأن وصف البدعة في الدين بأنها حسنة مردود بالأدلة الشرعية كما سنبيه بعد إن شاء الله تعالى.

وأما ما رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم علق عن نفسه بعد النبوة، فتخريج السيوطي عمل المولد النبوي عليه ساقط لعدم ثبوت ذلك الحديث عند أهل العلم فقد قال مالك لمن سأله عما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن نفسه بعد مجاءته النبوة، قال له «أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يعق عنهم في الجاهلية — أعقوا عن أنفسهم في الإسلام، هذه الأباطيل» نقل ذلك ابن رشد في كتاب العقيدة من «المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام والتحصيلات المحكمات

الشرعيات لأمّهات مسائلها المشكلات» ج ٢ ص ١٥ ط مطبعة السعادة بجوار ديوان محافظة مصر عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وقال عبد الرزاق في مصنفه «أنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه بعد النبوة» ثم قال عبد الرزاق إنما تركوا ابن محرز لهذا الحديث (١) ذكر ذلك ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص ٦١ طبعة بمبى.

وقال أبو داود في مسائل الإمام أحمد روايته عنه «سمعت أحمد حدثهم بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه فقال أحمد: عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه» قال مهنا قال أحمد هذا منكر وضعف عبد الله بن المحرز ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد وقال في «تحفة المودود بأحكام المولود» ص ٥١ طبعة بمبى قال الخلال أنى أبو المثنى العنبرى أن أبا داود حدثهم قال سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه» قال أحمد: عبد الله بن المحرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه منكر — وضعف عبد الله بن محرز».

وقال ابن حبان في الجزء الثانى من «كتاب المجروحين» ص ٢٩ طبعة دائرة المعارف العثمانية في ترجمة عبد الله بن محرز (٢) (روى عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَ عن نفسه بعد ما بعثه الله عز وجل نبياً) حدثناه يعقوب ابن إسحاق العسقلانى بتسترتنا محمد بن حماد الطهرانى ثنا عبد الرزاق) — أى عن عبد الله بن محرز به — وقال ابن حبان في عبد الله بن محرز كان من خيار عباد الله إلا أنه كان ممن يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم حدثناه محمد بن عبد الرحمن

(١) عبارة إنما تركوا ابن محرز لهذا الحديث ليست في طبعة مصنف عبد الرزاق التي أشرف عليها الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى ، وفي ذلك دلالة على أن النسخة التي اعتمد عليها في الطبع ليست فيها تلك العبارة ولذلك احتاج الأعظمى حينما رأى كلام ابن القيم المحتوى على تلك العبارة إلى أن يعلق على ذلك الحديث بقوله في الجزء الرابع من مصنف عبد الرزاق ص ٣٢٥ مانصه (نقله ابن القيم عن مصنف عبد الرزاق ثم قال عبد الرزاق إنما تركوا عبد الله بن محرز لهذا الحديث كذا في تحفة المودود) ص ٢٨.

(٢) هكذا ورد لفظ (محرز) في «المجروحين» بالزأى في آخره وضبطه النووى والعسقلانى بحاء مهملة وراء مكسرة).

الدغولي ثنا ابن قهزاذ سمعت ابا إسحاق الطالقاني يقول سمعت ابن المبارك يقول: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرز لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بكرة أحب إلى منه^(١) سمعت الدارمي يقول سمعت يحيى ابن معين يقول «عبد الله بن محرز ليس بثقة».

وقال البزار حدثنا سهيل بن ابراهيم الجارودي أبو الخطاب ثنا عوف بن محمد المرادي ثنا عبد الله بن المحرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما بعث نبياً «تفرد به عبد الله بن المحرز وهو ضعيف جدا إنما يكتب عنه مالا يوجد عند غيره» ورد هذا في باب قضاء العقيقة من «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ الهيثمي وقال البيهقي في «باب العقيقة سنة» من «السنن الكبرى» ج ٩ ص ٣٠٠ «روى عبد الله بن محرز في عقيقة النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه حديثاً منكراً أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن دواد العلوي رحمه الله أنبأ حاجب بن أحمد بن سفيان الطوسي ثنا محمد بن حماد الأبيوردي ثنا عبد الرزاق أنبأ عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» قال عبد الرزاق إنما تركوا عبد الله ابن محرز لحال هذا الحديث وقد روى من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء» ١٠١ هـ كلام البيهقي الذي عزا إليه السيوطي ذلك الحديث الذي ادعى أنه ظهر له تخريج عمل المولد عليه وقد أساء السيوطي التصرف حيث لم يذكر كلام البيهقي في الحديث بل تركه ليوهم من يقرأ تخريجه أنه صالح للاستدلال به.

وقال النووي في الجزء الثامن من «المجموع شرح المذهب» ص ٣٣٠ في «باب العقيقة»

أما الحديث الذي ذكره — أي الشيرازي — في عق النبي صلى الله عليه وسلم — عن نفسه فرواه البيهقي بإسناده عن عبد الله بن محرز بالحاء المهملة والراء المكسرة عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة» وهذا حديث باطل قال البيهقي هو حديث منكرو وروى البيهقي بإسناده عن عبد الرزاق قال «إنما تركوا عبد الله بن محرز بسبب هذا الحديث قال البيهقي وقد روى

(١) من طريق محمد بن قهزاذ عن أبي إسحاق الطالقاني روى مسلم في مقدمة صحيحه هذا الكلام عن ابن المبارك ولفظه «وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ قال سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول «لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرز لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بكرة أحب إلى منه».

هذا الحديث من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء فهو حديث باطل وعبد الله بن محرز ضعيف متفق على ضعفه قال الحفاظ هو — أى عبد الله بن محرز — متروك».

وقال الحفاظ أبو الحجاج المزى في ترجمة عبد الله بن محرز من «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» بعد إيراده كلام أئمة الجرح والتعديل فيه قال قال عبد الرزاق عن عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عرق عن نفسه بعد النبوة قال عبد الرزاق إنما تركوه — أى عبد الله بن محرز — لحال هذا الحديث».

وقال الحفاظ الذهبي في ترجمة عبد الله بن محرز من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» من بلاياه — أى عبد الله بن محرز — «روى عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عرق عن نفسه بعد ما بعث» رواه شيخان عنه»، ذكر الذهبي ذلك بعد أن قال في عبد الله بن محرز (قال أحمد ترك الناس حديثه وقال الجوزجاني هالك وقال الدارقطني وجماعة متروك وقال ابن حبان كان من خيار عباد الله إلا أنه كان يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم وقد ولى الرقة للمنصور وقال هلال ابن العلاء ولاه أبو جعفر قضاء الرقة وقال ابن معين ليس بثقة» وذكر قول ابن المبارك المتقدم فيه:

— وقال الحفاظ ابن حجر العسقلاني في «كتاب العقيدة» من تلخيص الخبير ، ج ٤ ص ١٤٧ «قوله — أى الرافعى — روى أنه صلى الله عليه وسلم عرق عن نفسه بعد النبوة البيهقي من حديث قتادة عن أنس وقال: منكر وفيه عبد الله بن محرز وهو ضعيف جدا وقال عبد الرزاق إنما تكلموا فيه لأجل هذا الحديث قال البيهقي وروى من وجه آخر عن قتادة ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء قلت — القائل ابن حجر العسقلاني — أما الوجه الآخر عن قتادة فلم أره مرفوعا وإنما ورد أنه كان يفتي به كما حكاه ابن عبد البر بل جزم البزار وغيره بتفرد عبد الله بن محرز به عن قتادة. وأما الوجه الآخر عن أنس فأخرجه أبو الشيخ في الأضاحى وابن أئمن في مصنفه والخلال من طريق عبد الله بن المشنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبيه وقال النووي في شرح المهذب هذا حديث باطل» ١٠١ هـ كلام الحفاظ في تلخيص الخبير.

وذكر في الجزء التاسع من «فتح البارى» في شرح باب إمطة الأذى عن الصبى في العقيدة ، حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عرق عن نفسه بعد النبوة

وجزم بعدم ثبوته قال: «فقد أخرجه البزار من رواية عبد الله بن محرز وهو بمهمات عن قتادة عن أنس قال البزار تفرد به عبد الله وهو ضعيف». وأخرجه أبو الشيخ من وجهين آخرين أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتادة وإسماعيل ضعيف أيضا وقد قال عبد الرزاق إنهم تركوا عبد الله بن محرز من أجل هذا الحديث فلعل إسماعيل سرقه منه. ثانيهما من رواية أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل وداود ابن المحبر قالوا حدثنا عبد الله بن المثني عن ثمامة عن أنس وداود ضعيف لكن الهيثم ثقة وعبد الله من رجال البخاري فالحديث قوى الاسناد وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أيمن عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو الناقد وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل به وحده فلولاً مافي عبد الله بن المثني من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً لكن قد قال ابن معين ليس بشيء وقال النسائي ليس بقوى وقال أبو داود لا أخرج حديثه وقال الساجي فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث روى مناكير وقال العقيلي لا يتابع على أكثر حديثه وقال ابن حبان في الشقات ربما أخطأ ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجة قال وقد مشى الحافظ الضياء على ظاهر الإسناد فأخرج هذا الحديث في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين (١).

وقال الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني في الجزء الأول من شرح المواهب اللدنية» ص ١٤٠ تعليقا على قول السيوطي في الاحتفال بالمولد النبوي ظهر لي تخريجهم على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة قال «تعقبه النجم بأنه حديث منكر كما قاله الحافظ بل قال — أى النووى — في شرح المذهب إنه حديث باطل فالتخريج عليه ساقط».

وأما خبر عروة في شأن أبى لهب مع جاريته ثويبة فيمنع من قبول الاستدلال به على الاحتفال بالمولد النبوي أمور:

أولها: أنه مرسل كما يتبين من سياقه عند البخاري في باب «وأمهاتكم الاتى أرضعنكم» (ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) من صحيحه فقد قال «حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبى سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبى سفيان أخبرتها أنها قالت يا رسول الله انكح

(١) أى وذلك غلط منه.

أختى بنت أبى سفيان فقال أو تحبين ذلك فقلت نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركنى في خير أختى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ذلك لا يحل لى. قلت فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة قال: بنت أم سلمة؟ قلت نعم فقال «لو أنها لم تكن في حجرى ما حلت لى إنها لابنة أختى من الرضاعة أرضعتنى وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن قال عروة: وثويبة مولاة لأبى لهب وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشرحية قال له ماذا لقيت؟ قال أبو لهب لم ألق بعدكم غير أنى سقيت في هذه بعتاقتى ثويبة] ولهذا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى في الجزء التاسع من «فتح البارى» ص ١٤٥ ط المطبعة السلفية «إن الخبر — أى المتعلق بتلك القضية — مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به».

الثانى — أن ذلك الخبر لو كان موصولا لاحجة فيه لأنه رؤيا منام ذكر ذلك ايضا الحافظ ابن حجر.

الثالث : أن ما في مرسل عروة هذا من أن اعتاق أبى لهب ثويبة كان قبل إرضاعها النبي صلى الله عليه وسلم يخالف ما عند أهل السير من أن إعتاق أبى لهب إياها كان بعد ذلك الإرضاع بدهر طويل ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح البارى» وأوضحه في الجزء الرابع من «الإصابة في تمييز الصحابة» ص ٢٥٠ بقوله «قال ابن سعد أخبرنا الواقدى عن غير واحد من أهل العلم قالوا كانت ثويبة مرضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلها وهو بمكة وكانت خديجة تكرمها وهى على ملك أبى لهب وسألته أن يبيعهها لها فامتنع فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعتقها أبو لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إليها بصلة وبكسوة حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعه من خيبر ومات ابنها مسروح قبلها» انتهى كلام الحافظ ابن حجر في «الإصابة» وقد راجعت أنا إسماعيل الأنصارى كتاب طبقات ابن سعد للاطلاع على نقل الحافظ ابن حجر هذا فوجدته قال فيه تحت عنوان «ذكر من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمية إخوته وأخواته من الرضاعة» ج ١ ص ١٠٨.

قال بعد إيراد مرسل عروة بن الزبير مانصه (وأخبرنا محمد بن عمر عن غير واحد من أهل العلم قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها وهو بمكة وكانت خديجة تكرمها وهى يومئذ مملوكة وطلبت إلى أبى لهب أن تبتاعها منه لتعتقها

فأبى أبو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع مرجعه من خيبر فقال مافعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد» هذا نص طبقات ابن سعد ويظهر من صنيع الحافظين أبى عمر بن عبد البر وابن الجوزى الميل الى قول أهل السير الذى تعقب به ابن سعد في طبقاته مرسل عروة بن الزبير.

فقد قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب في أسماء الاصحاب» ج ١ ص ١٢ «ولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وولدت هالة لعبد المطلب حمزة فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة ثوية جارية أبى لهب وأرضعت معها أبا سلمة بن عبد الأسد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم ثوية وكانت تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت خديجة تكرمها وأعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر فبلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن ابنها مسروح وبلبنه أرضعتهم فقيل له قد مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد» (١).

وقال أبو الفرج بن الجوزى في «الوفا بأحوال المصطفى» ج ١ ص ١٠٦-١٠٧ في الباب السابع والعشرين في ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم «أول من أرضعه ثوية مولاة أبى لهب أياما ثم قدمت حليلة. وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف وزوج ابنة عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف في مجلس واحد فولد حمزة ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرضعتها ثوية بلبن ابنها مسروح أياما ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرضت عليه ابنة

(١) ومن طريق ابن عبد البر أورد المحب الطبرى في «ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى» ص ٢٥٩ طبعة مكتبة القدسي قول أهل السير الذى عورض به مرسل عروة في الفصل الذى عقده لبيان أمهات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع ولفظه «وأرضعته - أى النبي صلى الله عليه وسلم - أيضا ثوية جارية أبى لهب بلبن ابنها مسروح وكانت تدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فكانت خديجة رضى الله عنها تكرمها واعتقها أبو لهب لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر فبلغت وفاتها النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن ابنها مسروح فقيل مات فسأل عن قرابتها فقيل لم يبق منهم أحد ذكره أبو عمر بن عبد البر.

حزمة ليتزوجها إنها لا تحل لى إنها بنت أختى أَرْضَعْتَنِي وَأَبَاهُ ثَوْبِيَّةٌ وَكَانَتْ ثَوْبِيَّةٌ
تَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ فَيُكْرِمُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُكْرِمُهَا خَدِيجَةُ وَهِيَ يَوْمُئِذٍ أُمَةٌ ثُمَّ أَعْتَقَهَا أَبُو هَلْبٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ إِلَيْهَا بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِكِسْوَةٍ وَصَلَّةٍ حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ.

الرَّابِعُ أَنَّ مَرْسَلَ عُرْوَةَ الَّذِي خَرَجَ عَلَيْهِ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ وَابْنُ
الْجَزْرِيِّ عَمَلَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ مُخَالَفَ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ كَمَا أَوْضَحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ
الْعَسْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِي حَيْثُ قَالَ فِي كَلَامِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَرْسَلِ «وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ
الْكَافِرَ قَدْ يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي الْآخِرَةِ لَكِنَّهُ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
«وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» ۞ وَنَقَلَ عَنْ حَاشِيَةِ ابْنِ الْمُنِيرِ —
أَنَّ مَا فِي ذَلِكَ الْمَرْسَلِ مِنْ اعْتِبَارِ طَاعَةِ الْكَافِرِ مَعَ كُفْرِهِ مُحَالٌ لِأَنَّ شَرْطَ الطَّاعَةِ أَنْ تَقَعَ
بِقَصْدٍ صَحِيحٍ وَذَلِكَ مَفْقُودٌ مِنَ الْكَافِرِ . فَاعْتَقَ أَبُو هَلْبٍ لثَوْبِيَّةَ مَا دَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ قَرْبَةً مَعْتَبَرَةً فَإِنْ قِيلَ إِنَّ قِصَّةَ اعْتِقَاقِ أَبِي هَلْبٍ لثَوْبِيَّةَ مَخْصُوصَةٌ مِنْ ذَلِكَ
كَقِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ قُلْنَا إِنْ تَخْفِيفُ الْعَذَابِ عَنْ أَبِي طَالِبٍ ثَبَتَ بِنَصِّ صَحِيحٍ عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا مَا وَقَعَ لِأَبِي هَلْبٍ فِي ذَلِكَ الْمَرْسَلِ فَمُسْتَنْدَهُ مَجْرَدُ كَلَامِ
لِأَبِي هَلْبٍ فِي الْمَنَامِ فَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِهَذَا كُلِّهِ اتَّضَحَ بَطْلَانُ الْأَسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ
الْمَرْسَلِ عَلَى عَمَلِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ وَأَنَّ قَوْلَ ابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ فِي «مُورِدِ الصَّادِي فِي مَوْلِدِ
الْمَهَادِي» (وَقَدْ صَحَّ أَنَّ أَبَا هَلْبٍ يَخْفَفُ عَنْهُ عَذَابُ النَّارِ فِي مِثْلِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِاعْتِقَاقِهِ
ثَوْبِيَّةَ سُرُورًا بِمِيلَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وَقَوْلِ ابْنِ الْجَزْرِيِّ فِي عَرَفِ التَّعْرِيفِ
بِالْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ بَعْدَ ذِكْرِهِ قِصَّةَ أَبِي هَلْبٍ مَعَ ثَوْبِيَّةَ، فَإِذَا كَانَ أَبُو هَلْبٍ الْكَافِرَ الَّذِي
نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِمَّتِهِ جُوزِيَ فِي النَّارِ بِفَرْحِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ فَمَا
حَالُ الْمُسْلِمِ الْمَوْحَدِ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِرُ بِمَوْلَدِهِ وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ
قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمْرَى إِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءُهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يَدْخُلَهُ
بِفَضْلِهِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ». غَيْرَ صَحِيحٍ لَا مِنْ نَاحِيَةِ جَزْمِهِ بِمَضْمُونِ مَرْسَلِ عُرْوَةَ وَلَا مِنْ
نَاحِيَةِ ضَمَانِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ لِمَنْ احْتَفَلَ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ.

وَأَمَّا الْأَحْتِجَاجُ لِلْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ بِأَنَّ صَاحِبَ إِرْبِلَ أَبَا سَعِيدٍ كُوكْبُورِي
الَّذِي احْتَفَلَ بِهِ أَوَّلُ الْأَمْرِ هُوَ مَلِكٌ عَادِلٌ فَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ نَاحِيَةِ احْتِفَالِهِ بِهِ
مَا بَيْنَهُ سَمَاحَةٌ مَفْتَى الدِّيَارِ السَّعُودِيَّةِ وَرَأْسُ قَضَائِهَا الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي رِسَالَةٍ لَهُ فِي بَيَانِ حُكْمِ الْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ وَادِحَاضِ
شَبْهِ الدَّعَاةِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ ص ٧٧ (هَذَا أَى احْتِفَالِ صَاحِبِ إِرْبِلَ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ لَيْسَ

بحجة فإن البدعة في الدين لا تقبل من أى أحد كان لنصوص الأحاديث فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث المحذرة من الابتداع في الدين بعمل أبى سعيد كوكبورى بن أبى الحسن. على بن بكتكين الذى أحدث الاحتفال بالمولد — أى بإربل — في القرن السادس وعدالته لا توجب عصمته وقد ذكر ابن خلكان أنه يحب السماع ، انتهى كلام الإمام الشيخ محمد بن ابراهيم جزاه الله عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم خير الجزاء ونص عبارة ابن خلكان في حب صاحب إربل للسماع التى أشار إليها سماحته (يعمل السماع وإذا طاب خلع شيئا من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئا من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع) وقال (وبنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع أيام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب الانسان من كثرتهم ولهما أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها وكان — أى الملك المظفر — ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم السماعات في كثير من الأوقات) ٥١ هـ كلام ابن خلكان الذى أشار إليه سماحة الإمام محمد بن ابراهيم آل الشيخ ويضاف إلى ذلك ما ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ص ١٣٨ ونصه (طباع هذا الأمير — أى صاحب إربل مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في أخذ الأموال من غير وجهها وهو مع ذلك مفضل على القراء كثير الصدقات على الغرباء يسير الأموال الجملة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار وفي ذلك يقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى ٥١ هـ

وأما دعوى كون صاحب إربل أول من احتفل بالمولد النبوى فباطلة لأمرين أحدهما تصريحات أهل العلم المتقدمة — بأن أول من احتفل بالمولد النبوى بنو عبيد القداح المتسمون بالفاطميين الثانى ما بينه أبو عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة في «الباعث على انكار البدع والحوادث» في كلامه على الاحتفال ص ١٣ حيث قال «وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالى». ومن ذكر احتفال الشيخ عمر بن محمد الملا بالمولد في الموصل أبو المظفر يوسف بن فزاوغلى سبط ابن الجوزى في الجزء الثامن من «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ص ٣١٠ والحافظ ابن كثير في الجزء الثانى عشر من تاريخه «البداية والنهاية» ص ٢٦٣ قال سبط ابن الجوزى «كان — أى عمر بن محمد الملا — يعمل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سنة ويحضر عنده صاحب الموصل والأكابر

وكان نور الدين يحبه ويكاتبه» وقال ابن كثير «قد كانت له — أى الشيخ عمر الملا — زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والامراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك» كما ذكر سبط ابن الجوزى وابن كثير ما ابتلى الناس به من الاعتقاد في عمر الملا قال الأول «جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتبركون به» وقال الثاني أى ابن كثير — في الجزء المذكور ص ٢٨٣ «كان نور الدين يعتقد — أى الشيخ عمر الملا — ويعتقد أخاه أبا البيان وأتاه زائراً مرات ووقف عليه وقفا». فأصل ما وقع من صاحب إربل أبى سعيد كوكبورى ومن نور الدين قبله من الاحتفال بالمولد النبوى إذاً من ذلك الصوفي عمر الملا وكان الواجب على نور الدين أن يعمل معه في قضية المولد مثل ما عمل معه في قضية أخرى جرت بينهما ذكرها ابن كثير ج ١٢ من تاريخه ص ٢٨٢ — ٢٨٣ هى أن الشيخ عمر الملا كتب إلى نور الدين إن المفسدين قد كثروا ويحتاج إلى سياسة . ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه: إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ولو علم أن في الشريعة زيادة للمصلحة لشرعها لنا فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه. والعقول المظلمة لا تهتدى والله سبحانه يهدينا وإياك الى صراط مستقيم. فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك وكتاب الملك إلى الزاهد».

وأما ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» نتفاً من مظاهر احتفال صاحب إربل للمولد النبوى فلا اعتبار به فإنه قد أورد في تاريخه المذكور أمورا لم يرتضها أهل العلم كما نبه عليه ابن كثير وابن العماد الحنبلى فقد قال الحافظ ابن كثير في ترجمة الحضرمي بن نصر بن علي بن نصر الاربلى الفقيه الشافعى أول من درس بإربل قال في ترجمته من «البداية والنهاية» ج ١٢ ص ٢٨٧ «ترجمه ابن خلكان في الوفيات وقال: قبره يزار وقد زرته غير مرة ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به: وهذا الذى قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور».

وقال ابن كثير في ترجمة ابن الراوندى أحد مشاهير الزنادقة من البداية والنهاية ج ١١ ص ١١٣ «قد ذكره ابن خلكان في الوفيات وقلس عليه ولم يجرحه بشيء ولا كان الكلب أكل له عجينا على عادته في العلماء والشعراء فالشعراء يطيل

تراجمهم والعلماء يذكر لهم ترجمة سيرة والزنادقة يترك ذكر زندقته» ١٠١ هـ وابن الراوندى هذا الذى عاتب ابن كثير ابن خلكان على عدم تحريجه ذكر ابن كثير فيه قبل ذلك العتاب مانصه «كان أبوه يهوديا فأظهر الإسلام ويقال إنه حرف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه وصنف كتابا في الرد على القرآن سماه الدامغ وكتابا في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمردة وكتابا يقال له التاج في معنى ذلك وله كتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول الفاضل وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى شيخ المعتزلة في زمانه وقد أجاد في ذلك. وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبى على قال الشيخ أبو على قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفیه ابن الراوندى فلم أجد فيه الا السفه والكذب والافتراء قال وقد وضع كتابا في قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد ووضع كتابا في الرد على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعة عشر موضعا ونسبه إلى الكذب يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وطعن على القرآن ووضع كتابا لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام يحتج لهم فيها على ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام نقل ذلك ابن الجوزى عنه وقد أورد ابن الجوزى في منتظمه طرفا من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشريعة ورد عليه في ذلك (١) وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة وهذا كثير موجود فيمن يدعى الإسلام وهو منافق يتمسحون بالرسول ودينه وكتابه وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض

(١) مما قاله ابن الجوزى فيه ما في تلبیس ابليس ص ١١١-١١٢ ونصه (أبنأنا محمد بن أبى طاهر عن ابى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان ابن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الاتحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر ثم قال ابن الجوزى من تأمل حال ابن الراوندى وجده من كبار الملاحدة وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمه وهو في شرح الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن» ١٠١ هـ.

ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم»
الآية وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندى قبهما الله فلما علم الناس
بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات. وأما ابن الراوندى فلجأ
إلى ابن لاوى اليهودى وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذى سماه الدامغ
للقرآن فلم يلبث بعده إلا أياما يسيرة حتى مات لعنه الله. ويقال إنه أخذ وصلب.
قال أبو الوفاء بن عقيل ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستا وثلاثين سنة مع ما —
انتهى إليه من التوغل في المخازى في هذا العمر القصير لعنه الله وقبحه ولارحم
عظامه» ٥١هـ كلام ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١١٢—١١٣

وقال ابن العماد الحنبلى في ترجمة أحمد بن يحيى الراوندى بعد أن وصفه
بالاحاد قال ج ٢ ص ٢٣٥ من «شذرات الذهب» «والعجب من ابن خلكان
كيف يترجمه ترجمة العلماء ساكتا عن عواره مع سعة اطلاع ابن خلكان ووقوفه على
الحاده وقد اعترض جماعات كثيرة على ابن خلكان من أجل ذلك حتى قال العماد
ابن كثير هذا على عادته من تساهله وغضه عن غيوب مثل هذا الشقى والله
أعلم» ٥١هـ كلام ابن العماد.

قلت — القائل إسماعيل الأنصارى — لايضاح صنيع ابن خلكان في ابن
الراوندى الذى استنكره ابن كثير وابن العماد أستحسن ايراد ترجمة ابن الراوندى
كما وردت في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٧ فأقول قال ابن خلكان فيه «أبو
الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى العالم المشهور له مقالة في علم الكلام
وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتابا
منها كتاب فضيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمرد وكتاب القصب وغير ذلك
وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل
الكلام عنه في كتبهم توفي سنة خمس وأربعين ومائتين برجة مالك بن طوق الثعلبى
وقيل ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة وذكر في البستان أنه توفي سنة خمسين والله
أعلم رحمه الله تعالى» ٥١هـ كلام ابن خلكان.

وأما إيراد سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان، احتفال صاحب إربل بالمولد
النبوى فلايدل مجردة على أن ذلك معتبر لضعف الرجل واشتمال مصنفاته على الفث
والسمين، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الثانى من منهاج السنة ، ص
١٣٣ «هذا الرجل — أى يوسف بن غزاوغلى سبط ابن الجوزى صاحب «مرآة الزمان»

يذكر في مصنفاته أنواعا من الفث والسمن ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك ويصنف على مذهب أبى حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه فكانت طريقته طريقة الواعظ الذى قيل له مامذهبك قال في أى مدينة. ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة لأجل مذاهب من قصد بذلك من الشيعة ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم».

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ٤ ص ٤٧١ «يوسف بن قزلى الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزى روى عن جده وطائفة وألف كتاب مرآة الزمان فتراه يأتى فيه بمناكير الحكايات وماأظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق، قال الشيخ محيى الدين السوسى لما بلغ جدى موت سبط ابن الجوزى قال: لارحمه الله كان رافضيا».

وقد نقل العلامة ابو محمد عبد القادر بن أبى الوفاء محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفاء القرشى الحنفى المصرى في الجزء الثانى من الجواهر المضئية في طبقات الحنفية» ص ٢٣١ عن الحافظ الذهبى طعنه في سبط ابن الجوزى ونصه «قال الذهبى في الميزان وألف مرآة الزمان فرآه يأتى فيه بمناكير الحكايات وماأظنه ثقة فيما ينقله بل ينخس ويجازف ثم إنه يترفض وله مؤلف في ذلك».

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة سبط ابن الجوزى من «البداية والنهاية» ج ١٣ ص ١٩٤ بعد ذكره ثناء الشيخ شهاب الدين أبى شامة على سبط ابن الجوزى قال «لكنه — أى أبا شامة — قال قد كنت مريضا ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ورأيت في حالة منكرة ورآه غيرى أيضا فنسأل الله العافية».

وقال ابن العماد الحنبلى في «شذرات الذهب» ج ٥ ص ٢٦٧ في ترجمة سبط ابن الجوزى «كان — أى سبط ابن الجوزى — في شببته حنبليا وكان وافر الحرمة عند الملوك نقله الملك المعظم إلى مذهب أبى حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال وهو على المنبر إذا كان للرجل كبير مايرجع عنه إلا بعيب ظهر له فيه فأى شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه فقال له اسكت فقال له الفقير — أى الصوفى — أما أنا فسكت وأما أنت فتكلم فرام الكلام فلم يستطع فنزل عن المنبر» ذكر هذا ابن العماد في وفيات سنة اربع

وخمسين وستمائة من «شذرات الذهب».

وأما قول الرفاعي في رده (قد أكثر الإمام أبو شامة شيخ النووي الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل في هذه الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة) يعنى بذلك الثناء قول أبى شامة في «الباعث على انكار البدع والحوادث» ص ١٣ (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يفعل بمدينة إربل جبرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المرسلين) فالجواب عنه بأمور:

أولها أن أبا شامة ذكر في ذلك الثناء على صاحب إربل أن أول من احتفل بذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى — بالموصل الشيخ عمر الملا أحد الصالحين المشهورين وأنه هو الذى اقتدى به صاحب إربل في احتفاله به، فبين أبو شامة بهذا أن صاحب إربل إنما أخذ ذلك عن عمر الملا وعمر الملا هذا قال فيه سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ج ٨ ص ٣١٠ مانصه (كان — أى عمر ابن محمد الملا — يعمل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سنة يحضر عنده صاحب الموصل والأكابر وكان نور الدين يحبه ويكاتبه) وذكر أن جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتبركون به» وقال فيه الإمام الحافظ المؤرخ ابن كثير في الجزء الثاني عشر ص ٢٦٣ «قد كانت له — أى للشيخ عمر الملا — زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك» ثم قال في نفس الجزء ص ٢٨٣ (كان نور الدين يعتقده — أى الشيخ عمر الملا — ويعتقد أخاه أبا البيان وأتاه زائرا مرات ووقف عليه وفقاً) ٥١هـ، فالمسألة إذا صوفية بحتة^(١) وعلى فرض أن عمر الملا من الصالحين كما ذكره من ذكره فالقول في عمله ما قاله الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم» ص ٢٩١ بصدد كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها

(١) لا يستبعد أن يكون عمل المولد تسرب إلى الشيخ عمر الملا من بنى عبيد القداح المتسمين بالفاطميين فإنهم أخذوا الموصل سنة سبع وأربعين وثلاثمائة كما في الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية ص ٢٣٢.

حيث قال «إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهيتها وأنكرها قوم لذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فتد إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لأمع من رخص فيها. ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين.

الثاني أن استحسان أبي شامة احتفال صاحب إربل بالمولد النبوي إنما بناه على اعتباره ذلك الاحتفال من قبيل ما يسميه بالبدعة الحسنة التي عرفها بقوله (هي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها ولا يلزم من فعله محذور شرعي) ومن الواضح أن هذا التعريف لا ينطبق على احتفال صاحب إربل لكونه غير موافق للشريعة مادام بدعة ولوقوع المحذور الشرعي فيه كما بينه العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقا في كتابه (أحسن الكلام فيما يتعلق بالبدعة والسنة من الأحكام) ص ٥٢ ونصه (وأنت إذا علمت ما كان يعمل به الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمتم بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل) ١٠١هـ.

وأما الثناء على أبي الخطاب بن دحية الذي صنف «التنوير في مولد السراج المنير» للملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل بأنه كان عالما من الحفاظ فيرد عليه قدح أهل العلم فيه.

فقد قال سبط ابن الجوزي في ترجمة أبي الخطاب بن دحية من كتاب «مرآة الزمان» ج ٨ ص ٦٩٨ قال «كان — أي ابن دحية — في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يشلب علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين ويزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وكان الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانته فتوفي في ربيع الأول بالقاهرة — أي في السنة الثالثة والثلاثين وستمائة — ودفن بقرافة مصر وكان قدم دمشق وسأل الوزير بن شكر أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البحث في قول العرب «لقيته من وراء وراء» فقال ابن دحية لا «يقال «وراء» بالرفع بل بالنصب (١) فقال تاج الدين أخطأت بل الصحيح «وراء» بالرفع فسفه على شيخنا تاج الدين فقال له يامدعي أنت تكتب «وكتب ابن دحية» ودحية باجماع المحدثين

(١) مراده بالرفع الضم وبالنصب الفتح.

مأعقب وقد كذبت في نسبك^(١) قلت — القائل سبط ابن الجوزى — والصحيح مع تاج الدين وقد ذكرها الجوهرى فقال «وراء» بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وهو من الأضداد وأنشد :

إذا لم أومن عليك ولم يكن لقاءك إلا من وراء وراء

انتهى كلام سبط ابن الجوزى في «مرآة الزمان» وما فيه من أن النقاش بين أبى الخطاب بن دحية وبين تاج الدين الكندى جرى في قول العرب لقيته من وراء وراء مخالف لما في «ذيل الروضتين» من أن النقاش بينهما إنما وقع في قول ابراهيم الخليل عليه السلام الوارد في حديث الشفاعة «إنما كنت خليلا من وراء وراء ونصه في ص ٦٥ «قال العز ابن تاج الأمان في عشية ثالث عشر رجب جرى بين التاج الكندى وبين ابن دحية كلام ومشاقمة عند الوزير قلت — القائل أبو شامة — حكى لى من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطاب عمر بن دحية لما عاد من رحلته الخراسانية قصد مجلس الوزير صفى الدين عبد بن على المعروف بابن شكر وزير العادل وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندى جالسا إلى جنبه فأجلس ابن دحية إلى الجانب الآخر فشرع ابن دحية يورد حديث الشفاعة فلما وصل الى قول ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وقوله «إنما كنت خليلا من وراء وراء» لفظ باللفظتين بفتح الهمزة فيهما فقال الكندى «وراء وراء» بالضم فعز ذلك على ابن دحية وكان جريئا ذا أنفة من الرد عليه فقال الوزير من ذا الشيخ فقال له هذا تاج الدين الكندى فسمح ابن دحية في حقه بكلمات فلم يسمع من الكندى الا قوله «هو من كلب» فنبح . فهذه تورية حسنة من لفظ حلو وذلك أن ابن دحية كان ينسب إلى كلب من العرب وهى قبيلة دحية الصحابى رضى الله عنه. وفي صحة الانتساب إليه كلام ونظر فإن جماعة من المتقدمين قالوا لم يعقب على ما ذكرناه في ترجمته في تاريخ دمشق ووقع الناس في أبى الخطاب بسبب ذلك حتى قال بعضهم.

دحية لم يعقب فلانتسب إليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس شئ سوى أنك من كلب بلاشك

فأخذ الشاعر المعنى الذى أشار إليه الكندى بذلك اللفظ الوجيز أما اللفظتان المتنازعت فيهما فرأيت في أمالى أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما والجر أيضا وقد نظمت ذلك في كتاب مفصل الزمخشري وغيره من المسائل النحوية وبالله

(١) كلام العلماء في عدم صحة انتسابه إلى دحية الصحابى كثير يطول الكلام بذكره.

التوفيق» ١٠١ هـ كلام ابني شامة ويوافقه ما في حوادث سنة خمس وستمائة من «البداية والنهاية» ج ١٣ لابن كثير ص ٥١ ولفظه «فيها — أى في تلك السنة — عاد أبو الخطاب بن دحية الكلبى من رحلته العراقية فاجتاز بالشام فاجتمع في مجلس الوزير الصفى هو والشيخ تاج الدين ابو اليمن الكندى شيخ اللغة والحديث فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى قول ابراهيم عليه السلام «إنما كنت خليلا من وراء وراء» بفتح اللفظتين فقال الكندى «من وراء وراء» بضمهما فقال ابن دحية للوزير بن شكر من هذا فقال هذا أبو اليمن الكندى فنال منه ابن دحية وكان جريشا فقال الكندى : هو من كلب ينبج كما ينبج الكلب قال أبو شامة وكلتا اللفظتين محكية وحكى فيهما الجر أيضا» انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وقال الحافظ الضياء «لقيته — أى ابن دحية — بأصبهان ولم أسمع منه شيئا ولم يعجبني حاله كان كثير الوقعة في الأئمة أخبرني ابراهيم السنهورى أنه دخل المغرب وأن مشايخ أهل المغرب كتبوا له جرحه وتضعيفه ثم قال الضياء وقد رأيت منه غير شيء مما يدل على ذلك نقل ذلك عن الضياء الحافظ الذهبى في «تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢١ وكذلك ذكر في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» أن الحافظ الضياء قال في أبى الخطاب بن دحية لم يعجبني حاله كان كثير الوقعة في الأئمة ثم قال أخبرني ابراهيم السنهورى فذكر ماتقدم نقله من تذكرة الحفاظ.

وقال قاضى حمة ابن واصل : كان أبو الخطاب — أى ابن دحية — مع فرط معرفته وحفظه الكثير متهما بالمجازفة في النقل فبلغ ذلك الكامل فأمره أن يعلق شيئا على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أسانيده وأراه الكامل فقال له الكامل بعد أيام ضاع منى الكتاب فعلق لى مثله ففعل فجاء متنافيا للأول فعلم السلطان صحة ما قيل عنه وعزله عن دار الحديث فولى مكانه أخاه الإمام أبا عمرو اللغوى (١) ذكر ذلك الحافظ الذهبى في تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢١—١٤٢٢ وفي «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٧ وهذا اللفظ الذى ذكرناه لتذكرة الحفاظ.

(١) ذكر ابن خلكان في ترجمة أبى الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية عزله بأخيه أبى عمرو عثمان بن الحسن اللغوى هذا قال ج ١ ص ٣٨٢ «كان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب قيما بها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وله رسائل استعمل فيها حوشى اللغة».

وقال ابن نقطة في ابن دحية «كان موصوفا بالمعرفة والفضل الا أنه كان يدعى أشياء لاحقيقة لها — وذكر لى ثقة وهو أبو القاسم بن عبد السلام قال: أقام عندنا ابن دحية فكان يقول: أحفظ صحيح مسلم والترمذى قال فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت حديثا من الترمذى عليه فقال ليس بصحيح وآخر فقال لأعرفه ولم يعرف منها شيئا ذكر ذلك الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٨، كما ذكر في الجزء الرابع من «تذكرة الحفاظ» ص ١٤٢٢، أن ابن نقطة قال كان أبو الخطاب — أى ابن دحية — موصوفا بالمعرفة والفضل لم أره إلا أنه كان يدعى أشياء لاحقيقة لها فذكر لى أبو القاسم بن عبد السلام ثقة قال: نزل عندى ابن دحية فجعل يقول أحفظ صحيح مسلم وجامع الترمذى فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات وجعلتها جزءاً وعرضتها عليه فلم يعرف منها شيئا».

وقال ابن النجار «رأيت الناس مجتمعين على كذبه وضعفه وادعائه سماع مالم يسمعه ولقاء من لم يلقيه وكانت أمانة ذلك عليه لائحة وحدثنى بعض المصريين قال قال لى الحافظ أبو الحسن بن المفضل وكان من أئمة الدين قال كنا بحضرة السلطان في مجلس عام وهناك ابن دحية فسألنى السلطان عن حديث فذكرته له فقال لى من رواه؟ فلم يحضرنى اسناده في الحال فانفصلنا فاجتمع بى ابن دحية في الطريق فقال لى: ماضرك لما سألك السلطان عن اسناد ذلك الحديث لم لم تذكر له أى إسناد شئت فإنه ومن حضر مجلسه لا يعلمون هل هو صحيح أم لا وقد كنت وبحت قولك لأعلم وتعظم في عينيه وعين الحاضرين قال فعلمت أنه متهاون جرىء على الكذب. قال ابن النجار وذكر أنه سمع كتاب الصلة لابن بشكوال من مصنفه وكان القلب يأبى سماع كلامه — ويشهد بطلان قوله وكان الكامل يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه ويتبرك به حتى سمعت أنه كان يسوى له المداس إذا قام. قال وكان صديقنا ابراهيم السنهورى دخل إلى الأندلس فذكر لمشايخها حال ابن دحية ومايدعيه فأنكروا ذلك وأبطلوا لقاءه لهم وأنه إنما اشتغل بالطلب أخيرا وأن نسبه ليس بصحيح وكتب السنهورى بذلك محضرا وأخذ خطوطهم فيه فعلم ابن دحية بذلك فشكاه

للسلطان فأمر بالقبض عليه فضرب وجرس على حمار وأخرج من القاهرة (١) وأخذ ابن دحية المحضر فحرقه قال: وحضرت معه مجلس السلطان مرارا وكان يحضر في كل جمعة فيصلى عند السلطان ويقرأ عليه شيئا من مجموعاته وكان حافظا ماهرا في علم الحديث حسن الكلام فيه فصيح العبارة تام المعرفة بالنحو واللغة وله كتب نفيسة وكان ظاهري المذهب كثير الوقعة في الأئمة وفي السلف من العلماء خبيث اللسان أحق شديد الكبر قليل النظر في أمور الدين متهاونا» نقل ذلك الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ج ٤ ص ٢٩٥-٢٩٦ عن ابن النجار.

كما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في نفس المصدر «لسان الميزان» ج ٤ ص ٢٩٦ عن ابن النجار أيضا أنه قال في ترجمة ابن دحية (حدثني علي بن الحسن أبو العلاء الاصبهاني وناهيك به جلاله ونبله قال لما قدم ابن دحية علينا اصبهان ونزل على أبي في الخانكاه فكان يكرمه وييجله فدخل على والدى يوما ومعه سجادة فقبلها ووضعها بين يديه وقال صليت على هذه السجادة كذا وكذا ألف ركعة وختمت القرآن في جوف الكعبة مرات قال فأخذها والدى وقبلها ووضعها على رأسه وقبلها منه مبتهاجا بها فلما كان آخر النهار حضر عندنا رجل من أهل اصبهان فتحدث عندنا إلى أن اتفق أن قال: كان الفقيه المغربي الذى عندكم اليوم — يعنى ابن دحية — في السوق اشترى سجادة حسنة بكذا وكذا فأمر والدى باحضار السجادة فقال الرجل إى والله هذه فسكت والدى وسقط ابن دحية من عينه».

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن دحية من «تذكرة الحفاظ» ج ٤ ص ١٤٢١ «زعم — أى ابن دحية — ولم تدخل في الأذن دعواه أنه قرأ صحيح مسلم من حفظه على بعض شيوخه وكان معروفا على كثرة علمه وفضائله بالمجازفة والدعوى العريضة» ووصفه في ص ١٤٢٢ بأنه كان مدلسا يستعمل «حدثنا فيما هو إجازة» وذكر في ترجمة ابن دحية من «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٨٦-١٨٧ أن ابن دحية ذكر أنه حدثه بالموطأ عاليا أبو الحسن بن حنين الكتاني وابن خليل. قالوا حدثنا محمد بن فرح الطلاع — ثم تعقب ذلك بقوله «أقول فأما ابن خليل فإنه سكن

(١) اتهم أبو الحسن بن القطان إبراهيم السنهورى هذا بالمجازفة والكذب فاغتر بذلك الحافظ الذهبي فوصفه في الميزان ج ١ ص ٣٥ بأنه دجال فتعقبه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ج ١ ص ٥٥ بقول ابن عبد الملك في ذيل التكملة قد نزهه الله عن كل مارماه به وعدله كل من أخذ عنه ووثقوه وصححو نقله وقوله فيه «كان محدثاً حافظاً لتون الأحاديث ضابطاً لما يرويه ثقة في نقله متين الدين جميل المروءة».

مراكش وفاس وكان ابن دحية بالأندلس فكيف لقيه أو سمع منه وكذلك ابن حنين فإنه خرج عن الأندلس ولم يعد بل سكن مدينة فاس ومات بها سنة تسع وستين وخمسمائة فبالجهد أن يكون ابن دحية روى الموطأ عن هذين بالإجازة فالله أعلم واستباح ذلك على رأى من يسوغ قول «حدثنى بكذا» ويكون إجازة لكنه قد صرح بالسماع فيما أرى» ثم نقل الذهبي عن ابن مسدى أنه قال «رأيت بخطه أنه سمع بين الستين إلى السبعين وخمسمائة من جماعة كابى بكر بن خير واللواتى وأبى الحسين بن حنين وليس ينكر عليه وتعقب الذهبي ذلك بقوله «قلت بل ينكر عليه كما قدمنا» ونقل أيضا عن ابن مسدى أنه قال «وله — اى لابن دحية — تواليف تشهد باطلاعه، فتعقب ذلك بقوله «قلت وفي تواليفه أشياء تنقم عليه من تصحيح وتضعيف»، وقال الذهبي في الجزء الخامس من «العبر في خبر من غير» ص ١٣٥ وليس — اى ابن دحية — بالقوى ضعفه جماعة وله تصانيف ودعاو مدحضة وعبارات مقعرة مبغضة وقد نفق على الملك الكامل وجعله شيخ دار الحديث.

وقال الحافظ ابن كثير في الجزء الثالث عشر من «البدية والنهاية» ج ١٣ ص ١٤٥ بعد إيراده ترجمة ابن دحية من تاريخ ابن خلكان قال «قلت تكلم الناس فيه — اى في ابن دحية — بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر (١) والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه» ونقل ابن كثير قبل ذلك في ص ١٤٤ عن سبط ابن الجوزى أنه قال في ابن دحية «قد كان كابين عنين في ثلب المسلمين والوقية فيهم ويتزبد في كلامه فترك الناس الرواية عنه — وكذبوه وقد كان الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته» ١٠١هـ.

وابن عنين الذى شبه به سبط ابن الجوزى ابن دحية هو محمد بن نصر الدين ابن نصر بن الحسين بن عنين الملقب — شرف الدين الكوفي الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور وصفه ابن خلكان في الجزء الثاني من «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ص ٢٥ بأنه خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به» ثم قال «كان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق سماها مقراض الأعراض وكان السلطان صلاح

(١) نص كتاب الاجماع لابن المنذر ص ٤٢ طبعة «دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض (أجمعوا على أن لا يقصر في المغرب ولا في صلاة الصبح).

الدين رحمه الله قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس فلما خرج منها قال:
فعلام أبعدتم أخائقة لم يقترف ذنبا ولاسرقا
انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفى كل من صدقا
قال ابن خلكان (ولقد رأيته - أي ابن عنين - بمدينة إربل في سنة ثلاث
وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئا).

وقال عبد الرحمن السيوطي في «طبقات الحفاظ» ص ٤٩٨ بعد أن أثنى على
ابن دحية مانصه «وكان مع معرفته وحفظه مجازفا في النقل مع الدعاوى العريضة
ويستعمل «حدثنا» في الإجازة» ١٠١ هـ المراد من كلامه ولم يتعرض في «حسن
المقصد في عمل المولد» للطعن فيه رغم معرفته بحاله بل اكتفى بقول ابن خلكان فيه
كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء» وهذا من غرائب السيوطي.

بل الشيخ أحمد الشهير بابن خلكان الذي أثنى عليه اتهمه بسبب القصيدة
التي وضعها في آخر كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» على أساس أنها له يمدح بها
مظفر الدين الذي ألف له ذلك الكتاب يرى ابن خلكان أنها لاسعد بن مماتي لا
لابن دحية.

فقد قال ابن خلكان في ترجمة القاضي الأسعد أبي المكارم أسعد بن مماتي من
«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ج ١ ص ٦٩ «كان الحافظ أبو الخطاب بن
دحية المعروف بذى النسبين رحمه الله تعالى عند وصوله إلى مدينة إربل ورأى اهتمام
سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى بعمل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم حسبما هو مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب عند ذكر اسمه
صنف له كتابا سماه التنوير في مولد السراج المنير» وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة
مدح بها مظفر الدين أولها:

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما هموا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين في شعبان
سنة ست وعشرين وستمائة والقصيدة فيه ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها في
مجموعة منسوبة إلى الأسعد بن مماتي المذكور فقلت لعل الناقل غلط ثم بعد ذلك
رأيتها في ديوان الأسعد بكما لها مدح بها السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى فقوى
الظن ثم إنى رأيت أبا البركات بن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في تاريخ إربل
عند ذكر ابن دحية وقال سألته عن معنى قوله فيها:

نفديه من عطايا دى كفه المحرم

فما أحرار جوابا فقلت لعله مثل قول بعضهم

تسمى باسماء الشهور فكفه جمادى وماضمت عليه المحرم

قال فتبسّم وقال هذا أردت فلما وقفت على هذا ترجع عندى أن القصيدة للأسعد المذكور فإنها لو كانت لأبى الخطاب — أى ابن دحية — لما توقف في الجواب. وأيضا فإن انشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستمئة والأسعد المذكور توفى في هذه السنة كما سيأتى وهو مقيم بحلب لا تعلق له بالدولة العادلية وبالجملّة فالله أعلم لمن هى منهما» ٠١ هـ كلام ابن خلّكان وإليه أشار في ترجمة ابن دحية بقوله «كان الحافظ أبو الخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها:

لولا الوشاة وهم اعداؤنا ماوهوا

وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مماتى في حرف الهمزة حديث هذه القصيدة فليتأمل هناك» ٠١ هـ كلام ابن خلّكان وقد أقره الحافظ الذهبي على ذلك في ترجمة أبى الخطاب بن دحية من تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٢٣ قال ابن خلّكان قدم إربل فصنف للملكها كتاب المولد ومدحه بقصيدة مطلعها:

لولا الوشاة وهم اعداؤنا ماوهوا

ثم ظهرت القصيدة أنها في ديوان الأسعد بن مماتى.

والى كلام أهل العلم المذكورين وغيرهم في ابن دحية أشار الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته في حكم الاحتفال بالمولد النبوى بقوله (واما ابن دحية فلا يخفى كلام العلماء فيه وقد اتهموه بوضع حديث في قصر صلاة المغرب كما في تاريخ ابن كثير).

وأما العبارة التي نقلها محمد بن علوى المالكي عن شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» تحت عنوان «رأى الشيخ ابن تيمية يقول قد يثاب بعض الناس على فعل المولد» فالجواب عنها بأمر أحدها أن شيخ الإسلام صرح في أول تلك العبارة بأن الداعى للاحتفال بالمولد النبوى قد يكون مضاهاة للنصارى في مولد عيسى عليه السلام أى فيكون غير مشروع لتلك المضاهاة . وقد يكون الداعى إليه محبة النبي صلى الله عليه وسلم فيثاب المحتفل في هذه الحالة على محبته للنبي صلى الله عليه وسلم التي دعت به إلى ذلك الاحتفال لاعلى بدعة الاحتفال.

الثاني أنه فرق في تلك العبارة بين من يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه وبين المؤمن المسدد الذي ليس كذلك فذكر أن الذي يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه لا يدعى إلى تركه لما يترتب على ذلك من ارتكاب ما هو شر منه وأن المؤمن المسدد يستقبح منه الاحتفال بالمولد ويجب عليه الحرص على التمسك بالسنة ظاهرا وباطنا في خاصته وخاصة من يطيعه.

الثالث أن إثابة الواقع في المواسم المبتدعة من موالد وغيرها أوضح شيخ الإسلام بن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٢٩٠ أنها لما في تلك المواسم من المشروع وأنها لا تمنع النهى عن تلك المواسم والاعتياض عنها بالمشروع ولفظه «لاريب أن من فعلها — أى المواسم المبتدعة — متأولا مجتهدا أو مقلداً كان له أجر على حسن قصده وعلى عمله من حيث مافيه من المشروع وكان مافيه من المبتدع مغفورا له إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المذورين وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها إنما حصلت لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه كالصوم والذكر والقراءة والركوع والسجود وحسن القصد في عبادة الله وطاعته ودعائه وما اشتملت عليه من المكروه انتفى موجه بعفو الله لاجتهاد صاحبه أو تقليده. وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها والنهى عنها والاعتياض عنها بالمشروع الذى لا بدعة فيه كما أن الذين زادوا الأذان في العيدين هم كذلك بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضا فوائد وذلك لأنه لا بد أن تشتمل عباداتهم على نوع مامشروع في جنسه كما أن أقوالهم لا بد أن تشتمل على صدق مأثور عن الأنبياء ثم مع ذلك لا يوجب أن تفعل عباداتهم أو تروى كلماتهم لأن جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجع على مافيهما من الخير إذ لو كان خيرا راجحا لما أهملتها الشريعة فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها وذلك هو الموجب للنهى ثم قال الإمام ابن تيمية (وأقول — إن إثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض الاجتهاد أو غيره كما يزول إثم الربا والنبذ المختلف فيهما عن المجتهدين من السلف ثم مع ذلك يجب بيان حالها وأن لا يقتدى بمن استحلبها وأن لا يقصر في طلب العلم المين لحقيقتها قال وهذا الدليل كاف في بيان أن هذه البدع مشتملة على مفسد اعتقادية أو حالية مناقضة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما فيها من المنفعة مرجوح لا يصلح للمعارضة ولم يكتف الإمام ابن تيمية بهذا بل أضاف إليه بيان مافى المواسم المبتدعة من مفسد راجحة على مافيهما من المنفعة فقال «أما مافيهما — أى تلك المواسم المبتدعة من مولد وغيره

من المنفعة فيعارضه ما فيها من مفسد البدعة الراجعة منها مع ماتقدم عن المفسد الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغنى بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها مالا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفية وهذا عكس الدين فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والركة والطهارة والخشوع وإجابة الدعوة وحلاوة المناجاة إلى غير ذلك من الفوائد وإن لم يفته هذا كله فلا بد أن يفوته كماله. ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية ومنها اشتغالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل تأخير الفطور وأداء العشاء الآخرة بقلوب حاضرة والمبادرة إلى تعجيلها والسجود بعد السلام لغير سهو وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها إلى غير ذلك من المفسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته. ومنها مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله ماترك أحد شيئا من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنها ماتقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين النوع الذي فيه مشابهة والذي لامشابهة فيه» ١٠١ هـ.

الرابع أن محمد بن علوى قد أسقط من كلام شيخ الإسلام في الاحتفال بالمولد النبوى محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ما بينه فيه من اختلاف الناس في اليوم الموافق ليوم المولد النبوى وقوله في الاحتفال «إن هذا — أى الاحتفال به ذلك اليوم لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره وأحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هى طريقة السابقين الأولين من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به الثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلى فيه أو يصلى فيه قليلا وبمنزلة من يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء والكبر والإشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها كما جاء في الحديث «ما ساء عمل أمة قط إلا زخرفوا مساجدهم» أسقط السيد محمد بن علوى هذا كله من كلام شيخ الإسلام وكان الواجب عليه عدم اسقاطه لما ذكره من الأهمية.

الخامس أن ماتوهم محمد بن علوى من عبارة ابن تيمية التي ذكر منها ما ذكر وهو أنه يرى الاحتفال بيوم المولد النبوى يرده قوله في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩١ بصدد كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها مانصه «إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهتها وأنكرها قوم كذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فتد إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لامع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين».

وأما رحلة ابن بطوطة فليست من الكتب المعتمدة وليس مؤلفها ابن بطوطة من رجال هذا الميدان يتبين ذلك مما يلي:

١ - ما أوضحه الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة الشيخ خالد بن عيسى البلوى المسماة «تاج الفرق في تحلية علماء المشرق» وهو - أن ابن بطوطة يعنى بمعرفة أسماء العلماء ويوزورهم أحيانا في منازلهم زيارة تخلو من الحنين إلى الارتواء بعلمهم وتمكين السند فقد لقي ابن بطوطة عدة علماء ذكر أسماءهم وألقابهم غير حافل باختصاصاتهم وإنما يتبرك بهم وخصوصا إذا كانوا من المتصوفة وربما سمع باسم العالم فذكر اسمه في الرحلة ولو أنه لم يتصل به اتصالا شخصيا كما فعل في تونس حين ذكر من أعلامها ابن الغماز الذى لاشك أنه لم يتصل به لأنه توفي سنة ٦٩٣هـ وإنما اتصل بخلفه الربعى الذى ذكر له اسم شيخه فأثبتته في الأعلام المعاصرين كما ذكر أنه كان يلتقط المشاهد فيثبتها في رحلته

وأن اتصاله بالعلماء والمحدثين قليل لأنه إنما يرغب في زيارة الصوفية لاستدرار بركتهم كما ذكر أن املاء ابن بطوطة رحلته من ذاكرته عرضه لكثير من الأخطاء حتى إنه ارتكب أغلاطاً جغرافية تدل على عدم اطلاعه على كتب فن الجغرافيا وعلى أنه إنما يعتنى في رحلته بذكر مشاهداته للأماكن التي زارها بحسب.

٢ - أن في رحلة ابن بطوطة أشياء لا تمت للحقيقة بصلة منها ما ذكره في ص ٥٧-٥٨ ج ١ وهو أنه حضر حين كان في رحلته بدمشق وعظ تقي الدين بن تيمية يوم الجمعة على منبر الجامع بدمشق فكان من جملة كلام ابن تيمية أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر الخ. وقد أنكر الذين يعرفون شيخ الإسلام ابن تيمية حق المعرفة على ابن بطوطة حكايته لهذا وردوا عليه ومن أحسنهم ردا عليه الشيخ محمد منير الدمشقي في شرحه للاتحافات السنية بالأحاديث القدسية (١) الذى سماه بالنفحات السلفية فقد قال فيه في كلامه على حديث النزول ص ٢٢٣ بعد أن ذكر أن هذا الحديث أفرده شيخ الإسلام بن تيمية بالتأليف وشرحه شرحا لم يترك لغيره مجالا ولا كلاما وأنه حقق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل تشرح لها الصدور وذكر أن شرح حديث النزول من أمهات الكتب التي يؤخذ منها مذهب الإمام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنة وجماهير العلماء والمحققين فإنه تكلم على نزول الرب وأتى بأقوال علماء السلف والخلف وحل إشكالات كثيرة قال محمد منير بعد ذكر ذلك كله «ومما يستغرب منه أن أبا عبد الله بن بطوطة قال في رحلته المسماه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار إنه رأى عالم الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ماتكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وعززه بعد ذلك الخ، فأنظر أرشدك الله إلى قول الحق

(١) وهو تأليف زين الدين عبد الرؤف بن على بن زين العابدين الحدادى المناوى القاهرى.

والحجة البينة كيف يكون هذا النقل في نظرك ورأيك ألم يكن تخطأ من صاحب الرحلة فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام بن تيمية ولم يرد عليه قوله أو رفع أمره إلى حاكم تلك الجهة أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الإسلام التي تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وأمرائها وعلمائها ولا ريب أن من يصلى في مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل والعاقل والمتعصب والمنصف فحكاية ابن بطوطة لهذا تحامل منه ظاهر. وبعيد كل البعد فإن التلطف بهذا يعد كفرا فإن الله يقول في كتابه الحكيم «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» والإمام ابن تيمية يقول على زعم صاحب الرحلة إن الله له مثل وهذا كفر باجماع المسلمين فلو كان صحيحا لقام عليه علماء عصره وقتلوه وكفروه وشكوه إلى الحاكم ولألف في ذلك رسائل رد فيها على ابن تيمية وبيان كفره كل ذلك لم يحصل فدل على أنه خطأ في النقل وفي كلام صاحب الرحلة سقط وهو لا أي لا كنزولى هذا. ويشهد لذلك تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ولم نجد أنزه من ابن تيمية في عصره لله تعالى. وهذا السقط كثير في التأليف وواجب على العلماء أن يحترموا أنفسهم ويقدرُوا تفوق غيرهم ويقروا لهم بالفضل والسبق. وشيخ الإسلام بن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمون بوجود مثله في عصره فإنه كان هادما للتقاليد الضارة وداعية إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله. ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب أو رأى يرى ذلك ويتحقق» ١٠١ هـ. نص «النفحات السلفية» (١) ومن أنكر على ابن بطوطة هذه الفرية السيد رشيد رضا في الجزء السادس من فتاويه فقد قال في جوابه عن سؤال وجه إليه حول عزو ابن بطوطة في رحلته إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال وهو يعظ على منبر الجامع ويذكر «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارض فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء الخ». «هل صح في تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا وهل هناك شك في أن قائل هذا ينسب لله الجسمية وأنه بذلك انسلخ من الإيمان والإسلام» قال السيد رشيد رضا في الإجابة عن ذلك الاتهام لابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر. «هذه التهمة باطلة قطعاً كما يعلم من كتب شيخ الإسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول ، ولكن يظهر أن لها شبهة — أثارها فقد رأيت في بعض الكتب كتاب «الرد الوافر» أو غيره أنه كان يتكلم

(١) طبعة دار المعرفة ببيروت.

في حديث النزول ويخطب على المنبر و يقرر مذهب السلف في إثبات كل ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بغير تعطيل ولاتمثيل ولا تأويل فقال مامعناه أنا نؤمن بنزوله بالمعنى الذى أَراده الاثاق به بلا تشبيه «لا كنزولى هذا» فزعم بعض الناس أنه قال «كنزولى هذا» لأنه لم يسمع كلمة (لا) وربما كان منهم ابن بطوطة ثم أذاع هذا خصومه المخالفون للسلف ولو صح زعمهم لقامت عليه قيامة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهانا مذموما بكل لسان إلا أن يقال إنهم كانوا موافقين له على رأيه الا واحدا منهم هو ابن الزهراء الذى ذكره ابن بطوطة وكم في رحلة ابن بطوطة من الأكاذيب والخرافات.

قال «ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع إليه فأطال في الجواب عنه ومر السيد رشيد رضا في ثنائه على شرح حديث النزول إلى أن قال «جملة القول أن شيخ الإسلام قد بسط في هذا الكتاب — أى شرح حديث النزول — وغيره من الدلائل على تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ما لم يسبقه أحد إلى مثله»^(١) مع اثبات ما أثبتته لنفسه منها والمنع من تحكمنا بآرائنا فيها فإنه مما حرمه الله تعالى علينا بقوله «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون».

الثالث أن مما وصف به ابن بطوطة أهل مكة في زمانه مالا يليق مثل وصفه اياهم باعتقادهم في مجنون على أساس اعتباره ولياً من أولياء الله ونصه ج ١ ص ٩٨ «كان بمكة أيام مجاورتى بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل خديما لولى الله نجم الدين الإصبهاني أيام حياته حكاية كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقيرا يكثر الطواف ولا يراه بالنهار فلقيه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال يا حسن إن أمك تبكى عليك وهى مشتاقة إلى رؤيتك وكانت من إماء الله الصالحات أفتحب أن تراها قال نعم ولكنى لاقدرة لى على ذلك فقال له نجتمع هاهنا في الليلة المقبلة إن شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهى ليلة الجمعة وجده حيث واعدته فطافا بالبيت ماشاء الله ثم خرج وهو في أثره إلى باب المصلى فأمره أن يسد عينيه ويمسك بثوبه ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة اتعرف بلدك قال نعم قال هاهو ذا ففتح عينيه فإذا به على دار أمه فدخل عليها ولم يعلمها بشيء مما جرى وأقام عندها نصف شهر وأظن

(١) من أهل عصره والا ففقيده في الصفات هي عقيدة السلف الصالح.

أن بلده مدينة أسمى ثم خرج إلى الجبانة فوجد الفقير صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدى إننى اشتقت إلى رؤية الشيخ نجم الدين وكنت خرجت على عادتى وغبت عنه هذه الأيام وأحب أن تردنى إليه فقال له نعم وواعده الجبانة ليلاً فلما وافاه بها أمره أن يفعل كفعله في مكة المشرفة من تغميض عينيه والامساك بذيله ففعل ذلك فإذا به في مكة شرفها الله وأوصاه أن لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فأبى أن يخبره فعزم عليه فأخبره بالحكاية فقال ارنى الرجل فأتى معه ليلاً واتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له ياسيدى هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله وبقي بالحرم مؤلماً يطوف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس يتبركون به ويكسونه وإذا جاع خرج إلى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد حانوتاً من الحوانيت فيأكل منها ما أحب لا يصدده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئاً وتظهر له البركة والنماء في بيعه وربحه ومتى أتى السوق تطاول أهلها بأعناقهم إليه كل منهم يحرص على أن يأكل من عنده لما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب ولم يزل دأبه كذلك إلى سنة ثمان وعشرين فحج فيها الأمير سيف الدين يلملك فاستصحبه معه إلى ديار مصر فانقطع خبره نفع الله تعالى به» ١٠١هـ. كلامه والذي أراه أن أهل مكة في زماننا هذا لا يرضون لابن بطوطة أن ينسب هذه الخرافة وامثالها إلى أهل مكة في زمان ابن بطوطة هذا مما يشكك في كثير مما في رحلة ابن بطوطة وأما ما عراه إلى ذلك القاضي محمد بن محيي الدين الطبرى من الاحتفال بالمولد النبوى فهو على فرض ثبوته ليس بمقبول لأن الابتداع في الدين لا يقبل من أى أحد كان كما تقدم في جواب سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى عن الاحتجاج بعمل أبى سعيد كوكبورى.

وأما قياس الاحتفال بالمولد النبوى على ما يقام للرؤساء من الاحتفالات إحياءً للذكرى فقد أجاب عنه سماحة — مفتى الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله في رسالته في حكم الاحتفال بالمولد النبوى والرد على من دعا إليه بقوله رحمه الله تعالى ص ٧٢—٧٣ «النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله في حقه «ورفعنا لك ذكرك» فذكره مرفوع في الأذان والاقامة والخطب والصلوات وفي التشهد والصلاة عليه وفي قراءة الحديث واتباع ما جاء به فهو أجل من أن تكون ذكراه سنوية فقط قال ولكن الأمر كما قال السيد رشيد رضا في

كتاباه «ذكرى المولد النبوى» قال (١) إن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا لأن هذا التعظيم لامشقة فيه على النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه إن كان رسولا وملكه إن كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم ثم للخلفاء وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللسانى ولاشك أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم . وليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تبديل أو تغيير لأجل تعظيمه به. وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية. وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وحسن النية حتى صارت أديانهم غير ماجاءت به رسلهم ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضا ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل فالواجب علينا أن نرجع إليه ونعوض عليه بالنواجد»، وأضاف سماحة المفتى ورئيس القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى اضاف إلى ذلك قوله «إن الاحتفال بالمولد النبوى إذا كان بطريق القياس على الاحتفالات بالرؤساء صار للنبي صلى الله عليه وسلم ملحقا بغيره وهذا ما لا يرضاه عاقل».

وأما تبرير الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى إذا لم يقتصر فيه على يوم معين فمخالف لما قاله الحافظ ابن حجر العسقلانى في الحديث الذى ادعى أنه ظهر له تخريج عمل المولد النبوى عليه وهو ماثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمر بصيامه) فقد قال في فتواه في عمل المولد بعد ذكره أن هذا الحديث يستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة» قال «وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالى بعمل المولد في أى يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه مافيه».

(١) اى السيد رشيد رضا

وأما مادعاه صاحب المقال المنشور في عدد مجلة المجتمع ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني عام ١٤٠٢ هـ بصدد عده للمؤلفين في اباحة الاحتفال بالمولد النبوي ومؤلفاتهم من أن صاحب كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ذكر في ص ٣١٩ أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشريف أجزاءً عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاث مجلدات واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق وهو مختصر ومادعاه من أن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتابا سماه مورد الصادي في مولد الهادي وقوله بأن الحافظ السخاوي «له كتاب في المولد يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك» فكله غلط فاحش لأساس له من الصحة . أما جامع الآثار في مولد النبي المختار و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» فقد تتبعنا كشف الظنون للتأكد من كلامه فوجدنا في حرف الجيم منه ص ٥٣٣ مانصه «جامع الآثار في مولد المختار» للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة وهو ثلاث مجلدات أوله «الحمد لله الذي أبدى محمداً صلى الله عليه وسلم أزكى العالمين» (الخ) ووجدنا في باب اللام منه ص ١٥٥٩ مانصه «اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» كراسة مختصرة للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة ووجدنا في باب الميم منه ص ١٩١٠ مانصه «قد ذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع جماعة ممن ألف في مولد النبي عليه الصلاة والسلام منهم الحافظ .. ابن ناصر الدين الدمشقي له فيه «جامع الآثار في مولد النبي المختار في ثلاث مجلدات و«مورد الصادي في مولد الهادي» في كراسة و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» وهو أخصر من الذي قبله ٥١ هـ، مقاله صاحب كشف الظنون في جامع الآثار في مولد المختار» واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» ، وفي كلام ابن فهد والسخاوي والشوكانى ما يوافقه وأما «مورد الصادي في مولد الهادي» فدعوى كاتب ذلك المقال أن ابن فهد عزاه إلى ابن كثير لأساس لها من الصحة أيضا فإنه إنما قال في لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» ص ٣٢٠-٣٢١ في ترجمة ابن ناصر الدين الدمشقي «صنف فمن ذلك المولد النبوي - هو جامع الآثار في مولد المختار - في ثلاثة أسفار و«توضيح المشتبه» وافتتاح القارى لصحيح البخارى و«مورد الصادي في مولد الهادي» ومر في سرد مصنفاته إلى أن قال «واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق»، وبذلك الذى ذكره ابن فهد في «مورد الصادي» جزم السخاوي والشوكانى قال السخاوي في ترجمة ابن ناصر الدين من «الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع» ج ٨

ص ١٠٤ «ومن تصانيفه — أى ابن ناصر الدين — طبقات شيوخه وجعلهم ثمان طبقات و«جامع الآثار في مولد المختار» ثلاثة أسفار و«مورد الصادى في مولد الهادى» في كراسة و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» أخصر من الذى قبله ٥١هـ، وقال الشوكانى في الجزء الثانى من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ص ١٩٨ «صنف — أى ابن ناصر الدين — التصانيف منها طبقات شيوخه فجعلهم ثمان طبقات و«جامع الآثار في مولد المختار» في ثلاثة أسفار و«مورد الصادى في مولد الهادى» في كراسة و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» في أقل من كراسة ٥١هـ.

فتبين بهذا كله أن قول صاحب ذلك المقال المنشور في «المجتمع» ذكر صاحب كشف الظنون في أسامى الكتب والفنون أن الحافظ ابن كثير قد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها «جامع الآثار في مولد النبى المختار» في ثلاث مجلدات و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق» وهو مختصر وقوله إن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتابا يسمى «مورد الصادى في مولد الهادى» ليس لهما أى مستند. ثم إن ماكتبه الحافظ ابن كثير في المولد النبوى في قسم السيرة النبوية من «البداية والنهاية» وفي سيرته المطولة وفي الفصول في اختصار سيرة الرسول وفي مصنفه المستقل في المولد النبوى بتحقيق صلاح الدين المنجد وفي تهذيبه لما هذب به من مولد شيخه كمال الدين أبى المعالى محمد بن على الأنصارى وهو في قسم دلائل النبوة في الجزء السادس من «البداية والنهاية» لم يتعرض فيه للاحتفال بالمولد النبوى ولا للمنكرات التي أحدثت في العصور المتأخرة بمناسبة المولد فلا يسعنا مادام الأمر كذلك أن نسلم دعوى كاتب ذلك المقال على ابن كثير (١).

وأما قول صاحب المقال المنشور في المجتمع بان للسخاوى كتاباً في المولد يسمى «التبر المسبوك في ذيل السلوك» فغلط ايضا فإن السخاوى قد ذكر في ترجمة أحمد بن على المقرئ من «التبر المسبوك» ص ٢٣ «السلوك بمعرفة دول الملوك» من مؤلفات المقرئى ووصفه بأنه يشتمل على الحوادث إلى وفاة المقرئى ثم قال «وكتابى هذا — أى التبر المسبوك — كما أشرت إليه ذيل عليه» وقال السخاوى في ترجمته لنفسه من «الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع» ج ٨ ص ١٧ بصدد سرد مؤلفاته «والتبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقرئى السلوك يشتمل على الحوادث

(١) فما أومه محمد بن على المالكى في رسالته في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ص ٣٨ من أن مولد الحافظ ابن كثير من جنس الموالد التي تعرضت للاحتفال بالمولد النبوى غير صحيح.

والوفيات من سنة خمس وأربعين وإلى الآن في أربعة أسفار». فهذا ما أوضحه السخاوى نفسه وهو واضح الدلالة على أن موضوع كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» ليس هو في المولد وإن كان قد اورد فيه أشياء لها صلة بالمولد.

ومما غلط فيه صاحب ذلك المقال قوله بصدد عده للمؤلفين في الاحتفال بالمولد النبوى (السيوطى ألف كتاباً في المولد النبوى سماه حسن المقصد في عمل المولد وكتابه «الحاوى للفتاوى» يبين في أحد فصول الكتاب حكم الاحتفال بالمولد النبوى ويرد فيه على من قال بان المولد بدعة مذمومة) غلط في ذلك حيث فرق بين «حسن المقصد في عمل المولد» للسيوطى وبين ما فى الحاوى للسيوطى عن المولد فإن كلام السيوطى في الحاوى عن المولد هو ماتنطوى عليه رسالته «حسن المقصد في عمل المولد» لاشئ آخر يحتوى عليه الحاوى وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد النبوى بأنه أمر استحسنة العلماء وجرى به العمل في كل صقع فالجواب عنه بما بينه الإمام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» ص ٢٩١ في كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها حيث قال (إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكرهاتها وأنكرها قوم كذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر فترد إذن إلى الله والرسول وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لامع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين).

وهذا الجواب إنما هو عن الاحتفال بالمولد النبوى إذا سلم من المنكرات وسلامته من المنكرات معدومة منذ أحدث إلى عصرنا هذا كما بينه كثير من أهل العلم منهم في الزمن المتأخر صاحب الابداع في مضار الابتداع وصاحب «حسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الاحكام» قال الاول ص ١٢٩ - ١٣٠ في كلامه على الموالد التي تقام في زمانه مانصه (لاشبهة أنها لا تخلو من المحرمات والمكروهات وقد اصبحت مراتع للفسوق والفجور وأسواقا تباع فيها الاعراض وتنتهك محارم الله تعالى وتعطل فيها بيوت العبادة فلاريب في حرمتها). وقال الثاني وهو مفتى الديار المصرية سابقا الشيخ محمد بخيت المطيعى في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الاحكام ص ٥٢ قال: (وأنت إذا علمت ماكان يعمل به الفاطميون ومظفر الدين أي صاحب إربل في المولد النبوى جازمت بأنه لايمكن أن يحكم عليه كله بالحل» وقال أيضا ص ٤٧ (قد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن

الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى حتى كادت الموالد الآن لاتحصى وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها» ١٠١هـ.

وأما الاحتجاج للاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى بان المولد ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوى وهذه أمور مطلوبة شرعا وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها فالجواب عنه. بأمور أحدها ما أوضحه السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من «الفتاوى» وهو أن الابتداع فيما جمع من الموالد بين تلك الأشياء وبين الخلو من المنكرات يرجع إلى ذلك الاجتماع المخصوص بتلك الهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص وإلى اعتبار ذلك العمل من شعائر الإسلام التي لا تثبت الا بنص الشارع بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعا. وعمل المولد بهذه القيود بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعد من شرع مالم يأذن به الله ومن الافتراء على الله والقول في دينه بغير علم كما ذكر في الجزء الأول من تاريخ الأستاذ محمد عبده بصدد بحثه في التصوف ص ١٢٤ أن من الضلالات المتغلغلة في كتب الصوفية ما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة في ذاتها أو في كيفيةها ثم قال «ولا يخفى أنه ليس لأحد بعد زمن الوحي أن يجعل بعض العبادات التي لأصل لها في الدين شعائر تؤدى بطرق مخصوصة في أزمنة مخصوصة بكيفية مخصوصة إذا لم يرد هذا التخصيص في السنة المتبعة مثال ذلك صلاة رجب «الרגائب» وشعبان اللتين نص الفقهاء على كونهما من البدع المذمومة وقس عليهما ما هو دون الصلاة من شعائرهم كالاتحاد لقراءة الأوراد والدلائل والأذكار بالكيفيات المخصوصة في الأيام المعلومة والمواسم الموقته كالموالد وغيرها وما فيها من البدع والمنكرات الكثيرة ١٠١هـ.

قلت — القائل إسماعيل الأنصارى من الهيئات المبتدعة لذكر الله تعالى في الموالد بدعة «الصارى» وقد تناولها بالبحث السيد رشيد رضا والسيد حسنين مخلوف وعلى محفوظ فقد قال السيد رشيد رضا في الجزء الثالث من فتاويه ص ١٠٢٣ في الجواب عن سؤال وجه إليه عن ابتدع الصارى الذى يذكر الله حوله أهل الطرق قال «لانعرف من ابتدع نصب هذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه الموالد ولا أعرف مثل هذا إلا في هذه البلاد ولا أدري أ يوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الأخرى أم لا؟».

وقال الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة العلماء

في كتابه «فتاوى شرعية وبحوث إسلامية» ج ١ ص ١٣٥ في الجواب عن سؤال وجه إليه — نصه «يقوم رجال من المنتسبين للصوفية بمراسيم في الموالد الكبيرة حول «الصارى» وهى أن يقف أربعة منهم كل واحد قبل الآخر مشيرا بذراعيه قابضا باسطا محركا جسمه يمنة ويسرة قائلا يا الله يا الله بصوت مرتفع ثم يدور بعد ذلك طابوران يتقدمهم المنشد يصافح رجال كل طابور جميع من يقف في الحلقة يحدث ذلك ثلاث مرات فهل لذلك أصل في السنة أو في عمل السلف؟ قال في الجواب عنه مانصه؟ الجواب نحمد الله ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وبعد فاعلم أنه لا أصل في الدين لذكر الله تعالى بهذه الهيئات المذكورة بالسؤال ولم يعرف عن السلف الصالح ولادعا إليه العارفون من أئمة الصوفية بل هو من البدع السيئة التي استحدثها بعض أهل الطرق جهلا بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر ربه وهو من المحرم شرعا إذا أدى التزام هذه الهيئات في الذكر إلى اعتقاد مشروعيتها وطلبها ولو على سبيل النذب وقد استقر الآن في عقائد العامة من المداومة عليها ودعوة المشايخ إليها ودفاعهم عنها واستمسكهم بها أنها من الدين بل مما لا بد منه في الذكر ونيل الثواب والأجر وهذا مما يوجب التحريم ويوقع في الاثم العظيم. والواجب على كل قادر من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية أن ينهى عنها ويزجر من يأتي بها ويرشده إلى خطرها وإلى أن اقتران المعصية بالطاعة مؤثم ومحبط للثواب. أما الثواب الذى وعد الله به الذاكرين فإنما يكون لمن يذكره جل شأنه بخشوع القلب وخضوع الجوارح وحضور الفكر وشهود جلال ذى الجلال لابهذه الهيئات والحركات التي أنكرها الراسخون في العلم من السادة الصوفية منذ ابتدعت هى وأمثالها كما يعلم من الاطلاع على كثير من كتبهم وإن مقام العبودية هو المقام الأسنى الذى وصف الله تعالى به عباده المصطفين الأخيار وخاطبهم به وشرفهم بنسبته في كثير من آى القرآن الكريم ووصف به عباده الطائعين وعباده المخبتين ولا يمكن التحقق بهذا المقام إلا إذا وقف العبد بين يدى مولاه يذكره ويناجيه ويدعوه ويتهلل إليه بما شرعه سبحانه في عبادته وأرشد إليه على لسان رسله وهو الذى درج عليه القدوة من سلف الأمة وصلحائها وخروج العبد عن هذا المنهج والابتداع فيه من وسوسة الشيطان التي يبغى له بها الخذلان ويرديه بها في حمأة العصيان ومن العجب أن يسكت بعض المنتسبين للعلم عن إنكار هذه البدع وما إليها من الشعوذة والتدجيل الذى اعتاده بعضهم يشهدونها ويقرونها عليها ويجاورونها في فعلها ويقاومون المنكرين لها الذائدين عن حمى الدين والداعين إلى سبيل رب العالمين وهدى إمام العابدين نساء الله أن يهديهم سواء السبيل ١٠١ هـ.

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في (الإبداع في مضار الابتداع) ص ١٨٢-١٨٣ في الكلام على بدع أهل الطرق قال «ومن بدعهم ما يصنعونه في الموالد المسمى عندهم بركبة الخليفة وما يقع منهم حول «الصارى» من وقوفهم حلقة ويقولون كلاماً بأصوات مرتفعة لا يعرفه إلا من سألهم عنه لعدم بيان حروفه ويسمونه سلفية أو بنبا أو غير ذلك ثم يقف بعضهم في مقابلة بعض ويقولون يا الله يا الله برفع أصواتهم مع صعود أيديهم وهبوطها ثم يعودون للحالة الأولى وهكذا إلى ثلاث مرات ثم بعد ذلك يدور بعضهم واضعين أيديهم على مناكب بعض ويذكرون بأذكارهم المعلومة دائرين في وسط الحلقة يصفاحون أهلها وهكذا مرة بعد أخرى ويسمونه بالسلام كما هو مشاهد منهم في نحو مولد سيدى أحمد البدوى فكل هذا لا يخلو من محرم كما هو مشاهد عند ركة الخليفة وعلى فرض خلوها من المحرم فهى أمور مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان وقد انكر النبى صلى الله عليه وسلم على من يرفع صوته بالذكر فقال «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» رواه البخارى اربعوا بكسر الهمزة وفتح الموحدة أى ارفقوا على أنفسكم وأمسكوا عن الجهر. وإذا كان هذا حال رفع الصوت بالذكر وحده فما بالك به مع العبث بالأيدى وسنة المصافحة إنما تكون للمتلاقين لا للحاضرين والواجب تسمية ما ذكر خلفية لاسلفية إذ السلف براء منها».

الثاني ما قرره الشاطبى في فصل عقده في «الاعتصام» ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٢ للتحذير من تحريف الأدلة عن مواضعها وهو أن الدليل الشرعى إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلاً فأتى به المكلف في الجملة أيضاً كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة كان الدليل عاضداً لعمله من جهتين: من جهة معناه ومن جهة عمل السلف الصالح به فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو مقارناً بعبادة مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه فإذا ندب الشارع مثلاً إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم بل فيه ما يدل على خلافه لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنه أن يفهم التشريع وخصوصاً مع من يقتدى به في الجامع كالمساجد فإنها إذا أظهرت هذا الاظهار ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله صلى الله

عليه وسلم في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فهم منها بلا شك أنها سنن إذا لم تفهم منها الفرضية فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به فصارت من هذه الجهة بدعا محدثة بذلك وعلى ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندبا في مواضع كثيرة - حتى إنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات ما طلب من التكثير من الذكر كقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا» الآية وقوله «وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» بخلاف سائر العبادات. ومثل هذا الدعاء فإنه ذكر الله ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات ولا قيود بأوقات مخصوصة بحيث تشعر باختصاص التعبد بتلك الأوقات إلا ما عينه الدليل كالغداة والعشي ولا أظهروا إلا ما نص الشارع على إظهاره كالذكر في العيدين وشبهه. وماسوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه وسره ولذلك قال لهم حين رفعوا أصواتهم «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا» وأشباهه ولم يظهروه في الجماعات فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل لأنه قيد فيه بالرأى وخالف من كان أعرف منه بالشرعة وهم السلف الصالح رضى الله عنهم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفا أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وفي فضل من الموافقات جملة من هذا وهو مزلة قدم فقد يتوهم أن إطلاق اللفظ يشعر بجواز كل ما يمكن في مدلوله وقوعا وليس خصوصا في العبادات فإنها محمولة على التعبد على حسب ما تلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح كالصلوات حين وضعت بعيدة عن مدارك العقول في أركانها وترتيبها وأزمانها وكيفياتها ومقاديرها وسائر ما كان مثلها حسبما يذكر في باب المصالح المرسلة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فلا يدخل العبادات الرأى والاستحسان هكذا مطلقا لأنه كالمناfi لوضعها ولأن العقول لا تدرك معانيها على التفصيل وكذلك حافظ العلماء على ترك إجراء القياس فيها كمالك بن أنس رضى الله عنه فإنه حافظ على ترك الرأى جدا ولم يعمل فيها من أنواع القياس إلا قياس نفى الفارق حيث اضطر إليه وكذلك غيره من العلماء وإن تفاوتوا فهم محافظون جميعا في العبادات على الاتباع لنصوصها ومنقولاتها بخلاف غيرها فبحسبها لا مطلقا فإن الإنسان قد أمر بذلك في الجملة مثلا فالمخصص كالمخالف لمفهوم التوسعة وإن لم يفهم من ذلك توسعة فلا بد من الرجوع إلى أصل الوقف مع المنقول لأننا إن خرجنا عنه شككنا في كون العبادة على ذلك الوجه

مشروعة على الطريقتين المنبه عليهما في كتاب الموافقات فيتعين الرجوع إلى المنقول وقوفا معه من غير زيادة ولا نقصان ثم إذا فهمنا التوسعة فلا بد من اعتبار أمر آخر وهو أن يكون العمل بحيث لا يوهم التخصيص زمانا دون غيره أو مكاناً دون غيره أو كيفية دون غيرها أو يوهم انتقال الحكم من الاستحباب مثلا إلى السنة أو الفرض لأنه قد يكون الدوام على كيفية ما في مجامع الناس أو مساجد الجماعات أو نحو ذلك موهما لكونه سنة أو فرضا بل هو كذلك ١٠١هـ.

الثالث أن نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة كما بينه ابن الحاج في الجزء الثاني من «المدخل» ص ١١-١٢ وعلمه بقوله «إذ إن ذلك — أى نية المولد — زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه لأنهم أشد الناس اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد وهم تبع فيسعدنا ماوسعهم وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه وقد جاء في الخبر «لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً» وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتى بعد لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل فإننا لله وإنا إليه راجعون وقال أيضا وقد قال بعض الأدباء كلاماً منظوماً في وصف زماننا هذا كأنه شاهده.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكى بعضهم	بعضاً ليدفع معور عن معور
أبنى إن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله	فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله	من يسع في علم بلب يظفر

وذكر ابن الحاج فيمن اقتصر في عمل المولد على اطعام الاخوان ليس الاونوى بذلك المولد أن نيته تلك بدعة وقال فيمن يتورع عما يشتغل به قراء زمانه وفقراءه من أعمال لا تليق في الذكر فيعمل المولد عوضاً عن ذلك بقراءة البخارى قال ص ٢٦ (هذا — أى قراءة البخارى عوضاً عن تلك الأعمال بنية المولد — وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن

إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعى كما ينبغي لابنية المولد ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لها لكان مذموماً مخالفاً فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها) ١٠١ هـ.

وأما الاعتماد على دعوى تلقى أوامر نبوية في المنام بالاحتفال بالمولد النبوى فلا يعتبر لأن الرؤيا في المنام لا تثبت بها سنة لم تثبت ولا تبطل بها سنة ثبتت كما بينه أهل العلم.

فقد قال الإمام النووى في شرح قول مسلم في الكشف عن معاييب رواة الحديث من صحيحه ج ١ ص ١١٥ «حدثنا سويد بن سعيد حدثنا على بن مسهر قال سمعت أنا وحمزة الزيات من أبان بن أبي عياش نحواً من ألف حديث قال على فلقيت حمزة فأخبرنى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ماسم من أبان فما عرف منها إلا شيئاً يسيراً خمسة أو ستة» قال النووى في شرحه لذلك مانصه «قال القاضى عياض رحمه الله هذا ومثله استيناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا تثبت به سنة لم تثبت. وهذا باجماع العلماء. هذا كلام القاضى وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع قال «وليس هذا الذى ذكرناه مخالفاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من رآنى فى المنام فقد رآنى» فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبس الشيطان ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعى به لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سبىء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه. هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاية. أما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهى عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء والله أعلم»

وقال فى أوائل تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٤٣ ط المطبعة المنيرية فى كلامه على خصائص النبى صلى الله عليه وسلم (ومنه — أى مما اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم — أن من رآه فى المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يمثّل

بصورته ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه انتهى كلام النووى في «تهذيب الاسماء واللغات»:

وقال ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٣٠٢-٣٠٤ «ليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن من يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فيأمره بشيء أو ينهيه عن شيء ينتبه من نومه فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قواعد السلف رضى الله عنهم قال تعالى في كتابه العزيز «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» ومعنى قوله «فردوه إلى الله» أى إلى كتاب الله تعالى ومعنى قوله «والرسول» أى إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته على ما قاله العلماء رحمة الله عليهم وإن كانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حقا لا شك فيها لقوله عليه الصلاة والسلام «من رآنى في المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل في صورتى» على اختلاف الروايات لكن لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم قال عليه الصلاة والسلام «رفع القلم عن ثلاث» وعد منهم «النائم حتى يستيقظ ، لأنه إذا كان نائما فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في نومه. هذا وجه ووجه ثان وهو أن العلم والرواية لا يؤخذان إلا من متيقظ حاضر العقل والنائم ليس كذلك. ووجه ثالث وهو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه حيث قال «تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى».. فجعل عليه الصلاة والسلام النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الثقلين فقط لا ثالث لهما. ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زاد لهما ثالثا فعلى هذا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم في منامه وأمره بشيء أو نهاه عن شيء فيتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة إذ إنه عليه الصلاة والسلام إنما كلف أمته باتباعهما وقد قال عليه الصلاة والسلام «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» الحديث وروى أبو داود في سننه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم» ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وقوله عليه الصلاة والسلام «خذوا عني مناسككم» إلى غير ذلك فإذا عرضها على شريعته عليه الصلاة والسلام فإن وافقتها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتبقى الرؤيا تأنيسأله وإن خالفها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام الذي وقع له فيها القاء الشيطان له في ذهنه والنفس الأمانة لأنهما يوسوسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه

ولأجل هذا المعنى قال علماؤنا رحمة الله عليهم على ماسمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول غير مامرة نقلا عن العلماء إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا روى في المنام فأمر بشيء أو نهى عن شيء فالواجب فيه أن تعرض — أى الرؤيا — على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فإن وافقت علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتكون الرؤيا تأنيساً للرأى وبشارة له. وإن خالفت علم أن الرؤيا حق وأن الشيطان أوصل إلى سمع الرأى غير ماتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان المنام مما يتعبد به لبينه النبي صلى الله عليه وسلم أو نبه عليه أو أشار إليه ولو مرة واحدة كما فعل في غيره. وقد نقل الشيخ أبو زكريا يحيى النووى رحمه الله في أوائل كتاب تهذيب الأسماء واللغات في أثناء الكلام على خصائصه عليه الصلاة والسلام قال «منه أي ماخص به صلى الله عليه وسلم أن من رآه في المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورته. ولكن لا يعمل بما يسمعه الرأى منه في المنام مما يتعلق بالأحكام خلاف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرأى لا للشك في الرؤيا لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه وعلى هذا فمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وخاطبه وكلمه ووصل إلى ذهن الرأى لفظ أو الفاظ من العوائد التي هى واقعة في زمن الرأى أو قبله وتكون مخالفة لشرعته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز له ولا لغيره التدين بها ولا أن يعتقد أن ما وصل إلى ذهنه في منامه مما خالف الشريعة المطهرة أنه صحيح لأن تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن نسبة ذلك وماشاكله إليه واجب متعين إذ إن العصمة في رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام ليس إلا دون ما يكون من الزيادة والنقصان سيما وقد نقل القرافى في كتاب الذخيرة له قال: قال العلماء لا تصح رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم قطعا إلا لرجلين صحابى رآه أو حافظ لصفته حفظا يحصل له من السماع ما يحصل للرأى له عليه الصلاة والسلام من الرؤيا حتى لا يلتبس عليه مثاله من كونه أسود أو أبيض أو شيئا أو شابا إلى غير ذلك من صفات الرأى التي تظهر فيه كما تظهر في المرأة أحوال الرأى وتلك الأحوال صفة الرأى لصفة المرأة فإذا كانت رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام التي ضمن فيها عدم تلبس الشيطان على الرأى إذا رآها على غير ماهى عليه كان ذلك راجعا إلى صفة الرأى وحاله والجناب الكريم منزّه عن ذلك وأشباهه فما بالك بسماع الكلام الذى لم تضمن العصمة فيه للرأى فإن قال قائل: إن رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام قد تضمنت العصمة فيها للرأى فيقاس عليها سماع الكلام فالجواب ما قد علم من القواعد المقررة في الشرع الشريف أن

الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم ویوسوس له فی جمیع أحواله فی الیقظة والنمام فجاء النص فی عصمته إذا رأى الرائی صورته علیه الصلاة والسلام فی منامه وبقی ماعدا ذلك علی الأصل لایؤمن فیہ تلبیس الشیطان علی الرائی» ١٠١هـ، کلام ابن الحاج فی «المدخل» وقال الإمام الشاطبی فی الجزء الأول من «الاعتصام» ص ٢٠٩ فی عمل بعض المتصوفة بما یدعی أن النبی صلی الله علیه وسلم أمره به فی المنام أو تركه لما یدعی أنه صلی الله علیه وسلم أمره فی المنام بتركه معرضا عن الحدود الموضوعة فی الشریعة قال «هو أی العمل بذلك أو الترك به فیما یخالف الشریعة — خطأ — لأن الرؤیا من غیر الأنبیاء لایحکم بها شرعا علی حال إلا أن تعرض علی مافی أیدینا من الأحکام الشرعیة فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والاعراض عنها وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحکام فلا.. ومرا إلى أن قال ص ٢١١-٢١٢ «وأما الرؤیا التي یخبر فیها رسول الله صلی الله علیه وسلم الرائی بالحکم فلا بد من النظر فیها أيضا لأنه إذا أخبر بحکم موافق لشریعته فالحکم بما استقر. وإن أخبر بمخالف فمحال لأنه صلی الله علیه وسلم لاینسج بعد موته شریعته المستقرة فی حیاته لأن الدین لایتوقف استقراره بعد موته علی حصول المرائی النومیة لأن ذلك باطل بالاجماع فمن رأى شیئا من ذلك فلا عمل علیه وعند ذلك نقول إن رؤیاه غیر صحيحة إذ لو رآه حقا لم یخبره بما یخالف الشرع لكن یبقى النظر فی معنی قوله صلی الله علیه وسلم «من رآنی فی المنام فقد رآنی» وفیه تأویلان أحدهما ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاکم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة فی قضية فلما نام الحاکم ذكر أنه رأى النبی صلی الله علیه وسلم فقال له لایحکم بهذه الشهادة فإنها باطلة فأجاب بأنه لایحیل له أن یترك العمل بتلك الشهادة لأن ذلك إبطال لأحکام الشریعة بالرؤیا وذلك باطل لایصح أن یعتقد إذ لایعلم الغیب من ناحيتها إلا الأنبیاء الذین رؤیاهم وحی. ومن سواهم إنما رؤیاهم جزء من ستة وأربعین جزءا من النبوة ثم قال ولیس معنی قوله «من رآنی فقد رآنی حقا» أن کل من رأى فی منامه أنه رأى فقد رآه حقيقة بدلیل أن الرائی قد یراه مرات علی صور مختلفة ویراه الرائی علی صفة و غیره علی صفة أخرى ولا یجوز أن تختلف صور النبی صلی الله علیه وسلم ولا صفاته وإنما معنی الحديث من رآنی علی صورتي التي خلقت علیها فقد رآنی إذ لایتمثل الشیطان بی إذ لم یقل من رأى أنه رأى فقد رآنی وإنما قال «من رآنی فقد رآنی» وأنی لهذا الرائی الذی رأى أنه رآه علی صورته أنه رآه علیها وإن ظن أنه رآه مالم یعلم أن تلك الصورة صورته بعینها وهذا مالا

طريق لأحد إلى معرفته.

فهذا مانقل عن ابن رشد وحاصله يرجع إلى أن المرثى قد يكون غير النبي صلى الله عليه وسلم وإن اعتقد الرائي أنه هو والتأويل الثاني يقوله علماء التعبير أن الشيطان قد يأتى النائم في صورة مامن معارف الرائي وغيرهم فيشير له إلى رجل آخر: هذا فلان النبي وهذا الملك الفلانى أو من أشبه هؤلاء ممن لا يمثل الشيطان به فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عندهم. وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهى غير الموافقين للشرع فيظن الرائي أنه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكون كذلك فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى وما أخرى هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهى فيه مخالفا لكمال الأول تحقيق بأن يكون فيه موافقا وعند ذلك لا يبقى في المسألة إشكال. نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم لا يمكن اختلاط أحد — القسمين بالآخر. وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الاحكام الا ضعيف المنة. نعم يأتى المرثى تأنيسا وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكما ولا يبنون عليها أصلا وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم»، وذكر أيضا في الجزء الثانى من «الموافقات في أصول الشريعة» ص ٢٦٦ في كلامه على الرؤيا وما أشبهها من الخوارق ان الرؤيا والخوارق «لا يصح أن تراعى وتعتبر الا بشرط أن لا تخرم حكما شرعيا ولا قاعدة دينية قال فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم وإما من إلقاء الشيطان وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع وذلك أن التشريع الذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لا خاص وأصله لا ينخرم ولا ينعكس له اطراد ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلف وإذا كان كذلك فكل ما جاء من هذا القبيل الذى نحن بصدد مضادا لما تمهد في الشريعة فهو فاسد باطل. ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر. فرأى الحاكم في منامه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا تحكم بهذه الشهادة فانها باطلة فمثل هذا من الرؤيا لا يعتبر به في أمر ولا نهى ولا بشارة ولا نذارة لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة».

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» ج ١ ص ٩٤ تعليقا على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وهابيل واستحلف هابيل أن هذا — أى الدم الموجود بالمكان الذى

يقال — بأنه هو الذى قتل فيه قابيل أخاه هابيل المسمى بمغارة الدم بدمشق — دمه — أى هابيل — فحلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه إلى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس» قال ابن كثير تعليقا على ذلك مانصه «هذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى».

وقال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى في «الآداب الشرعية والمنح المرعية ج ٣ ص ٤٥٤ (١)» «قد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره في منامه أو نهاه، وتلخيصه أنه لا يغير ماتقرر في اليقظة شرعا إجماعا نظرا إلى ترجيح الدليلين. وأما ما ليس فيه أمر ولا نهى عنه عليه الصلاة والسلام في اليقظة فهل يلزم العمل به قال القاضى عياض فى أواخر مقدمة مسلم عن قول حمزة الزيات إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ماسمعه من أبان يعنى ابن عياش فما عرف منه الا شيئا يسيراً قال: وهذا ومثله استثناس واستظهار على ماتقرر من ضعف أبان لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا تثبت به سنة لم تثبت . وهذا باجماع العلماء انتهى كلامه قال أبو زكريا النواوى وكذا قال غيره من أصحابنا فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ماتقرر في الشرع ولا يخالف هذا قوله صلى الله عليه وسلم «من رآنى في المنام فقد رآنى» فإن معنى الحديث أن رؤياه صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبس الشيطان ولكن لا يجوز اثبات حكم شرعى بها لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل شهادته وروايته أن يكون متيقظا لامغفلا ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، أما إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بفعل مندوب إليه أو ينهيه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء انتهى كلامه وهذا كله معنى كلام الشيخ تقى الدين بن تيمية» ١٠١ هـ كلام ابن مفلح.

وقال الحافظ العراقي في كتابه «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» في كلامه على دعاوى المتصوفة المنحرفة «يدعى بعضهم أن النبي صلى الله

(١) طبعة مطبعة المنار بمصر.

عليه وسلم أذن له أن يتكلم على الناس ويجزم بأنه حق والنبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما نهى هو عنه ويعلم بهذا أن هذه المراثيات ليست بحق والرائى ليس من أهل التكليف في حال نومه ومثل هذا شبيه بما بلغنا عن القاضي الحسين من كبار الشافعية أنه أتاه سائل فقال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الثلاثين من شعبان وقال: غدا من رمضان ولم يكن الهلال رثى فقال له القاضي الحسين إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في اليقظة «لا تصوموا حتى تروا الهلال» فلا نصوم حتى نراه. وكثير من الناس يغتر بالمنامات وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة. فإذا كانت الرؤيا مخالفة لما أمر به أو نهى عنه أو لما كان معهودا في زمانه استدللنا بذلك على أن الرؤيا فيها اختلال وأنها تخيل قال الإمام أبو عبد الله المازري انه لو رآه يأمر بقتل من يحرم قتله ، كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية انتهى وأيضا فلا بد من اشتراط كون الرائي له من أهل الدين والعدالة ليميز بين الحق والباطل فلو كان غير ثقة أو مجهول الحال لم نثق بقوله فإنه لو روى حديثا في اليقظة من غير نوم لا يقبل قوله في هذه الحالة فكيف يقبل مع عدم الثقة به وانضم إلى ذلك أنه ليس من أهل التكليف في حالة نومه فلا يجب حينئذ عليه ما ادعى أنه أمره به ولا يحرم عليه ما أحل له لكن إذا وافق ذلك شريعته المقررة فيستحب حينئذ الاتيان بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه إن كان منها عنه في شريعته والاعتماد على كونه مشروعا ويتأكد ذلك بالرؤيا إذا كانت من أهل الصدق والامانة والتقوى والخوف من الله تعالى والا فقد كذب جماعة من الضعفاء عليه في أحاديث موضوعة واعترف بعضهم بوضعها وهو أشد من الكذب عليه في المنام لأن الكذب عليه في اليقظة مختلف في الكفر به. فذهب الشيخ أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين إلى التكفير به لقوله صلى الله عليه وسلم «إن كذبا علي ليس ككذب علي أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» اتفق على إخراجه البخارى ومسلم ولو قال قائل بعموم الحديث في الكذب عليه ولو في المنام لم يكن بعيداً وربما ظن الذى يزعم أنه رأى ذلك أن فيه تقوية لاعتقاد المريدين فيستحسنه فيكون مستحلاله فيقع في الكفر وقد تعرض لذلك الإمام العلامة أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسى في تفسيره المسمى بالبحر المحيط في سورة الأعراف فقال «وقد ظهر في هذا الزمان العجيب ناس يتسمون بالمشايخ يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح ويتركون الاكتساب ويرتبون لهم أذكارا لم ترد في الشريعة يجهرون بها

في المساجد ويجمعون لهم خداما يجلبون الناس اليهم لاستخدامهم وتتش أموالهم
ويذيعون عنهم كرامات ويرون لهم منامات يدونونها في أسفار. ويحضون على ترك
العلم والاشتغال بالسنة ويرون أن الوصول إلى الله تعالى بأموالهم يقررونها من خلوات
وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولأنبي مرسل ويتعاضمون على الناس بالانفراد على
سجادة ونصب أيديهم للتقيل وقلة الكلام وإطراق الرأس وتعيين خادم يقول: الشيخ
مشغول في الخلوة. رسم الشيخ: قال الشيخ رأى الشيخ الشيخ نظر اليك. الشيخ كان
البارحة يذكرك إلى نحو هذا اللفظ الذي يخشون به على العامة ويجلبون به عقول
الجهلة. هذا إن سلم الشيخ وخدامه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا
الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذا ذلك يكون منسلخا — عن شريعة
الإسلام بالكلية قال: والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب وتبنى لهم الربط
وتوقف عليهم الأوقاف ويخدمهم الناس مع عروهم عن سائر الفضائل ولكن الناس
أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم قال وقد أطلنا في هذا رجاء أن يقف عليه
مسلم فينتفع به. وقال الإمام أبو حيان في تفسيره في سورة «الأنعام» لقد يظهر من
هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب
أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم بذلك يذكرون ذلك على المنابر ولا ينكره
عليهم أحد. هذا مع خلوصهم عن جميع العلوم يدعون علم الغيب وقد كثرت بديار مصر
هذه الخرافات وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيخ ثم أنشد خمسة أبيات من
قصيدة له وهي:

عجزوا عن مدارك العقل والنقل	وأعياهم طلاب العلوم
فارتقوا يدعون أمرا عظيما	لم يكن للخليل لا والكليم
بينما المرء منهم في انسفال	أبصر اللوح مابه من رقم
فجنى العلم منه غضا طريا	ودرى ما يكون قبل الهجوم
إن عقلي لفى عقل إذا ما	أنا صدقت بافتراء عظيم

انتهى كلام الحافظ العراقي في الباعث على الخلاص من حوادث القصاص.
وقال الحافظ أبو زرعة العراقي في «طرح الثريب في شرح التقريب» ج ٨
ص ٢١٥ في شرح حديث «رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من
النسبة، مانصه «لو أخبر صادق عن النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بحكم شرعى
مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتد به وذكر بعضهم أن سبب ذلك نقص الرائي لعدم

ضبطه وقد حكى عن القاضي حسين أن شخصا قال له ليلة شك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي صم غدا أو نحو ذلك فقال له القاضي قد قال لنا في اليقظة لا تصوموا غدا فنحن نعتمد ذلك أو ما هذا معناه وحكى القاضي عياض الاجماع على عدم اعتماد المنام في ذلك وقال شيخنا الإمام جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى ورأيت في مجموع عتيق منسوب لابن الصلاح عن كتاب آداب الجدل للأستاذ أبي إسحاق الاسفراييني حكاية وجهين في وجوب امتثال الأوامر المحكية عنه — أى عن النبى صلى الله عليه وسلم — في المنام قلت — القائل أبو زرعة العراقي — ولا شك في أن محلها مالم يخالف شرعا مقررًا» أى اذا خالف شرعا مقررًا يرفض بلا خلاف. وقال السخاوى في «فتح المغيث» شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث ج ٣ ص ٨٩ في تعريف الصحبة مانصه «لا يدخل — أى في الصحبة — من رآه في المنام — أى فلا يعتبر صحابيا — كما جزم به البلقينى ثم شيخنا وإن كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع إلى الأمور عنوية لا الأحكام الدنيوية حتى لا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة».

وقال الشيخ ملا على قارى في الجزء الخامس من «مرقاة المفاتيح» شرح مشكاة المصابيح» ص ١٨٤ مانصه (لا يخفى أن مبنى الاعتقاد لا يكون إلا على الأدلة اليقينية) قال «ولهذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الأمور الكشفية أو من الحالات المنامية ولو كانت منسوبة إلى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية».

وأما الاستدلال للاحتفال بالمولد النبوى بأن السيوطى نقل عن الكمال الأذفوى أنه قال في (الطالع السعيد) الجامع لأسماء نجباء الصعيد «حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن ابراهيم السبتي المالكي نزيل قوص كان يجوز بالمكتب في اليوم الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم فيقول يافقيه هذا يوم سرور إصرف الصبيان فيصرفنا. ثم قال: أبو الطيب فقيه مالكي متورع أخذ عنه أبو حيان وغيره فالجواب عنه بأمور يتعلق بعضها بذلك المرجع «الطالع السعيد» وبعضها بالاحتجاج بكون السبتي شيخ أبى حيان وبعضها بكلام السبتي الذي استدل به السيوطى ومن حذا حذوه في الدعوة إلى الاحتفال بالمولد وبعضها. بإيراد السيوطى تلك القصة في «حسن المقصد في عمل المولد هل يقتضى قبولها أم لا وبعضها بتصرف السيوطى في «الطالع السعيد» فأقول وبالله التوفيق.

أما «الطالع السعيد» فقد انحرف فيه مؤلفه الأدفوى انحرافا يوجب عدم الاعتماد عليه وذلك في أمور نذكر منها مايلي:

١ - قال في ترجمة ابراهيم بن علي الأندلسي ثم القنائي بعد أن وصفه بأنه من المشهورين بالكرامات والمكاشفات قال فيه وفي زوجته ص ٦٠ (يقال إنه جرب من وقف بين قبريهما ودعا وسأل حاجة تقضى).

٢ - قال في ترجمة جبريل بن عبد الرحمن الأقصرى بعد أن وصفه بأنه مشهور بالكرامات معروف بالمكاشفات قال ص ١٧٧ حكى لي بعض العدول بالأقصر أنه زار قبره فوجد عنده أوساخا وقمامات قال فقلت ما هذا ياسيدي ما ينبغي أن يكون ذلك عند قبرك ثم عدت إلى زيارته ثانيا يوم فوجدت المكان مكنوسا مرشوشا نظيفا وذكر لي جماعة أن الشيخ أبا الحجاج كان يكثر زيارة قبره ويدعو عنده ثم قال الأدفوى زرت قبره ووجدت عنده انشراحا.

٣ - قال في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي ص ٢٩٩ - ٣٠٠ حكى لي الشيخ الصالح الفاضل الثقة العدل ضياء الدين منتصر بن الحسن خطيب أدفو عن الشيخ العالم العارف كمال الدين علي بن محمد بن عبد الظاهر نزيل اخيم وحكى لي أيضا ابنه الشيخ العارف أبو العباس بن الشيخ كمال الدين المشار إليه أنهما سمعا الشيخ كمال الدين يقول زرت جبانة قنا وجلست عند سيدي الشيخ عبد الرحيم وإذا يد خرجت لي من قبره وصافحتني قال وقال لي يا بني لاتعص الله طرفة عين فإنني في أعلى عليين وأنا أقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وأهل بلاده متفقون على تجربة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء يمشی الإنسان حافيا مكشوف الرأس وقت الظهر ويدعو بالدعاء الذي سنذكره ويدعون أنه ما حصلت لانسان ضائقة وفعل ذلك الا وفرج الله عنه وهم يروونه عن الشيخ أبي عبد الله القرشي وقالوا قال القرشي من فعل ذلك ودعا ولم تقض حاجته فليسب القرشي قال يصلي ركعتين ويقرأ شيئا من القرآن ويقول اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبأبينا آدم وأمنا حواء وما بينهما من الأنبياء والمرسلين وبعبدك عبد الرحيم اقض حاجتي ويذكر حاجته (١) حكى لي الشيخ محمد بن حسن القزويني المحتد قال (١) تسليم الأدفوى أن قضاء حاجة الداعي بذلك الدعاء كان نتيجة توسله بعبد الرحيم دون غيره ممن جاء في ذلك الدعاء التوسل بهم من الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتم الأنبياء يقتضي أن التوسل بعبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي عنده ارفع من التوسل بجميع الأنبياء والمرسلين وذلك غلو مضاف إلى جهله بأن الوضع الذي ورد به التوسل في ذلك الدعاء غير مشروع.

كان بقوص وال يقال له الزردكاش فحمل على ابني فضربه فجثت إلى أمه بنت أخى الشيخ أبى عبد الله الاسوانى فأخبرتها فتألمت كثيرا فذكرت لها هذا الدعاء فتوجهت إلى قنا وفعلت ذلك فلم يقم الوالى إلا أياما يسيرة وتوفى. وجماعة كثيرة يذكرون مثل ذلك حتى حكى لى بعض الفقهاء الحكام وكانت به حمى الربع وقلق منها أنه توجه إلى قنا وطلع إلى الجبانة وفعل ما ذكره وأن الحمى أفلعت عنه وله ولأمثاله من العارفين أحوال تتلقى بالقبول والتسليم وفوق كل ذى علم عليم» قال الأدفوى ومما نظمته وقد جرى بينى وبين شخص محاورة في ذلك فقلت:

ألا إن أرباب المعارف سادة	سرائرهم لله في طيها نشر
هم القوم حازوا مايعز وجوده	وجازوا بحارا دونها وقف الفكر
أطاعوا إله العرش سرا وجهرة	فمكنهم حتى غدا لهم الأمر
فهم في الثرى غيث الورى معدن القرى	وهم في سماء المجد أنجمها الزهر
فطف بحماهم واسع بين خيامهم	ولا تستمع ما قال زيد ولا عمرو
إذا طفت بين الحي تحمى وتتقى	بأسياف عزم دونها البيض والسمر
ومن يعترض يوما عليهم فإنه	يعود ومن نيل المنى كفه صفر

ثم قال الأدفوى وإذا وقعت العناية وثبتت الولاية وصحت الرواية ونازع منازع بعد ذلك في أمر أجازه العقل ولم يمنعه الشرع كان النزاع غواية فنسأل الله التوفيق والهداية» ومرة الأدفوى إلى أن قال «وكانت وفاته بقنا وقبره بجبانته يزار ولا يكاد يخلو من زائر قاصد أو عابر تقصده العباد من أقصى البلاد وتأتى إليه الخلائق من كل فج وواد وتزدحم الناس في الدفن عنده ليستمنحوا رفته حتى ان القاضي الرضى بن أبى المنى أعطى جملة على ذلك قيل ألف دينار ولكل امرئ مانوى زرتة مرات كثيرة والله الحمد والمنة وعلى تلك الجبانة نور وبهجة يدركان بالبصر وفيها روح يعرف بالفكر والنظر.

٤ — قال الأدفوى في ترجمة على بن حميد بن الصباغ القوصى ص ٣٨٦ — ٣٨٧ دفن بقنا تحت رجلى شيخه سيدى عبد الرحيم القناوى زرتة مرات كثيرة ودعوت عنده بدعوات وطلبت حاجات فقضيت والحمد لله على نعمه.

٥ — قال في ترجمة أبى بكر محمد بن على بن أحمد بن محمد الأدفوى ص ٥٥٤ — ٥٥٥ كان أبو بكر من العلماء الصالحين ممن تعتقد بركته ويزار قبره ويقال إن

الدعاء عنده مستجاب رأيت شيخنا تقى الدين محمد بن أحمد المقرئ الشهير بالصائغ مرة وعنده الم وفكرة ثم إنه ركب دابة وتوجه ثم اجتمعت به بعد في بقية النهار فرأيته منشراحا وقال لى ركبت الدابة وقصدت القرافة للزيارة والدعاء وتركت الدابة تمشى ولا أتعرض لها فقلت في أى موضع وقفت الدابة دعوت فلم تزل ماشية إلى قبر أبى بكر الأدفوى فوقفت فدعوت ورجعت وحصل عندى سرور ثم اجتمعت به بعد ذلك بيوم وقال لى قضيت الحاجة».

٦ — قال في ترجمة مفرج بن موفق الدماينى ص ٦٥٦ قبره يزار زرتة مرات ودعوت عنده ورجوت بركته».

٧ — قال في ترجمة يوسف بن عبد الرحيم الأقصرى ص ٧٢٤ «له قبر مشهور بالأقصر يزار وان بعد على الزائر المزار ويرجى أن تحط عنه الأوزار زرتة غير مرة وعدت إليه كرة بعد كرة نفع الله به».

فقد خالف ما ذكره الأدفوى في تراجم هؤلاء الأشخاص هدى النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فإن هديه في زيارتها أن يقول الزائر ويفعل عند زيارتها—أى القبور — من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار ، كما بينه ابن القيم في زاد المعاد في هدى خير العباد واتبعه قوله «وأبى المشركون إلا دعاء الميت والاشراك به والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه بعكس هديه صلى الله عليه وسلم فإنه هدى توحيد وإحسان إلى الميت. وهدى هؤلاء شرك واساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام. إما أن يدعو الميت أو يدعوا به أو عنده ويرون الدعاء عنده أو جب وأولى من الدعاء في المساجد. ومن تأمل هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين وبالله التوفيق».

ولم يقتصر صاحب الطالع السعيد على هذا النوع من الغلو المتمثل فى التعلق بقبور أولياء كتابه بل أضاف إليه دعوى أن بعضهم يتصرف فى الكون ودعوى أن بعضهم يعلم الغيب ودعوى اجتماع بعضهم بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة.

فقد قال فى ترجمة على بن حميد بن الصباغ القوصى ص ٣٨٤ مانصه «الاتفاق على أنه القطب الذى عليه المعارف فى زمنه تدور وأنه له تصرف وتمكن وتضلع فى المكارم وتيقن والذى اختص فى زمنه بهذه الطرائق ودارت عليه الحقائق

وانتفع ببركته الخلائق»^(١).

وقال في ترجمة كمال الدين علي بن محمد بن جعفر القوصي ص ٣٩٥
«حكى لي صاحبنا جمال الدين محمد بن علي بن معلى أحد الأكابر العدول بقوص
قال: حضرنا في إخميم في شهر رمضان في العشر الأخير من الشهر ليلة عند الشيخ
كمال الدين ونحن جمع كثير وفيما شرف الدين بن والي الليل فقرأ شخص بحضرة
الشيخ كمال الدين «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن
الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم» فقال الشيخ: أنا قلت: إن الله قد غفر
لكم أجمعين، قال جمال الدين فقلت في نفسي: وشرف الدين بن والي الليل قد غفر
له — فالتفت الشيخ إلي وقال: الرحمة إذا جاءت جاءت كالسيل لا تبقى حجرا
ولامدراً ولا قدرا».

وقال في ترجمة كمال الدين المذكور ص ٣٩٥-٣٩٦ «حكى شيخنا الفقيه
العالم تاج الدين محمد ابن الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي قال: كنت عند
الشيخ بإخميم وكنت يوما في خلوة وعندى بعض ضعف أجده في نفسي والشيخ كمال
الدين يتكلم في الميعاد فقلت: إن كان هذا الشيخ رجلا صالحا يرسل إلي الساعة
قطعة سكر ونارنجة من هذه الشجرة وإذا بابنه الشيخ أبي العباس أحمد أحضر إلي
زبدية وفيها سكر ومعها نارنجة فسألته عن ذلك فقال نحن في الميعاد والشيخ أسر إلى
أن آخذ سكرًا وآخذ من هذه الشجرة نارنجة — وأحضر ذلك اليك. وحكى القاضي
الفقيه العالم سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرميني قاضي قوص قال لما وليت
إخميم اجتمعت بالشيخ كمال الدين فأعطاني تفاحة فقلت ياسيدي كأنني ما أعجبتك
فإن هذه إشارة إلى سنة فتبسم وأعطاني أربع تفاحات فأقمت بإخميم أربع سنين قال
ولما كان في عيد الأضحى أثبت ناصر الدين القاسم رؤية هلال ذي الحجة فقصدوا
أن يعيدوا فارسل الوالي إلي فقلت نجتمع عند الشيخ فاجتمعنا وتحدثنا في أن نعبد
على حكم الثبوت فتحدثنا مع الشيخ في ذلك فسكت ساعة ثم قال: ما يعيد غدا أحد
في بلد ولا قرية ثم قال وأكشف لكم عرفة والله ما وقف أحد فبطل العيد ثم بعد ذلك
سئل من يرد من البلاد فكان كما قال الشيخ وجاء الحجاج ووافقوا على ما قال.
وقال لي الشيخ أبو العباس ابنه زيادة على ما حكاها الشيخ سراج الدين سألت أبي

(١) ومن غرائب صاحب «الطالع السعيد» روايته في ترجمة هذا الشيخ ص ٣٨٥ عن أبي عبد
الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المراغي عن الشيخ أبي الحسن بن الصباغ أنه — أعنى على بن
حميد الصباغ — سئل عن التوحيد فقال «إثبات الذات بنفى الجهة وإثبات الصفات بنفى
التشبيه».

كيف قال ذلك. قال: يابنى الضرورات تبيح المحظورات لاشك أن أهل المعاصي يتوقون عشر ذى الحجة فإذا عيدوا أخذ بعضهم في المعاصي وقد اتفق باخيم أن شخصاً زنى بامرأة يوم عرفة فالتصقا وأخرجوا ملتصقين وماتا وعمل بذلك محضر على الحاكم فبهذا السبب أظهرت هذا الحال.

وقال في ترجمة الشيخ على بن وهب بن دقيق العيد القشيري ص ٤٣٥ «كان من الأولياء حكى تلميذه البرهان المالكي أنه توجه في خدمته إلى الأقصر لزيارة الشيخ أبي الحجاج فقدموا وقت المساء فقال الشيخ مانقدم على الفقراء عشاء فنزلوا في مكان فلما كان بعد ليل طرق الباب فخرجوا فوجدوه الشيخ أبا الحجاج فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الفقيه أبو الحسن قدم قم فسلم عليه وقد حكاها الشيخ عبد الغفار في كتابه» وقال في ترجمة محمد بن يحيى الصفي أبي عبد الله الاسواني ص ٦٤٠ مانصه «كان من أصحاب أبي يحيى بن شافع وكان يدعى أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع به» ١٠١هـ.

هذه دعاوى أخرى يدعيها أولياء كتاب الأدفوى أنفسهم ويتقبلها منهم الأدفوى من دون عرضها على الكتاب والسنة ولو اتبع الأدفوى ما في تفسير شيخه أبي حيان البحر المحيط» من ردود على غلاة المتصوفة الذين يدعون تلك الدعاوى معتمداً في تلك الردود على كتاب الله تعالى لما نشر تلك الدعاوى ولاقبلها ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.

وأما كون أبي الطيب السبتي شيخ أبي حيان فلا يوجب اعتبار ما ليس بصواب من كلامه بل لا يوجب اعتبار ذلك الشيخ نفسه إذ كم من شيخ لمن هو أعلم من أبي حيان وأجل منه غير معتبر كما لا يخفى على من له أدنى صلة بكتب الجرح والتعديل بل إن سبب خروج أبي حيان من الأندلس عدم رضاه عن على بن الطباع أحد مشايخه — يقول المقرئ في ترجمته من نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ج ٢ ص ٥٨٣-٥٨٤ في بيان ذلك مانصه (أفاد غير واحد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان من الأندلس أنه نشأ شربينه وبين شيخه أحمد بن على ابن الطباع فألف أبو حيان كتاباً سماه «الإلماح في إفساد إجازة ابن الطباع فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك) قال «وخرج أبو حيان من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة».

وأما قول أبي الطيب السبتي حينما يجوز بالمكتب في اليوم الذي يقال بأنه

يوافق يوم المولد النبوى يافقيه هذا يوم سرور اصرف الصبيان فانما بناء على اعتباره ذلك اليوم يوم عيد وهو اعتبار مصادم للأدلة كما بينه الامامان ابن تيمية والشاطبى جزاهما الله عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خير الجزاء.

واما ايراد السيوطى في حسن المقصد في عمل المولد قصة ابى الطيب السبتي فلايوجب قبولها فإنه يورد في مولفاته أمورا لايسع طالب الحق سوى رفضها لمخالفتها النصوص من ضمنها مايلي:

١ — قوله في الجزء الثانى من «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ص ١٤ بعد أن نقل عن ابن الجوزى أن الحاكم العبيدى وصل به ظلمه إلى أن يدعى الربوبية فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون ياواحد ياأحد ياعمى ياميت قال بعد أن ذكر ذلك مانصه «قلت كان في عصرنا أمير يقال له ازدمر الطويل اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا وكان يروم أن يتولى المملكة فلو قدرالله ذلك فعل نحو ما فعله الحاكم وقد أطلعنى على مافى ضميره وطلب منى أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة فيقوم في الخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده فضقت بذلك ذرعا ومازلت أتضرع إلى الله تعالى في هلاكه وأن لا يوليه على المسلمين وأستغيث بالنبى صلى الله عليه وسلم وأسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله فله الحمد على ذلك.

٢ — أنه ذكر في ذلك الجزء من «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ص ١٠١ ماجرى بين القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعز وبين وزير الملك الأشرف ابن السلعوس حتى عزل عن القضاء وتولى القضاء بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة وذلك في رمضان سنة تسعين وستمائة ذكر السيوطى ذلك ثم قال «فتوجه القاضى تقى الدين إلى الحجاز ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدة وكشف رأسه ووقف بين يدى الحجرة الشريفة واستغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم وأقسم عليه أن لا يصل إلى وطنه الا وقد عاد إلى منصبه فلم يصل إلى القاهرة الا والسلطان الأشرف قد قتل وكذلك وزيره فأعيد إلى القضاء ووصل إليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة وذلك في أول سنة ثلاث وتسعين فأقام في القضاء إلى أن مات في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين.

٣ - قوله في رسالته «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» (١) وهى من محتويات المجلد الثانى من «الحاوى للفتاوى» ص ٢٦١ مانصه (في كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان قال سمعت يوسف بن على الزنانى يحكى عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلاً من الروضة يقول أمالك في اسوة فاصبرى كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عني ماكنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذوننى» ١٠١هـ، ومن الواضح كون هذه الحكايات التي يذكرها السيوطى في الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مخالفة غاية المخالفة لنصوص كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأكثر اعتماد المنحرفين في ذلك على محمد بن النعمان صاحب كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنام الذى جاء في كتاب تلخيص كتاب «الاستغاثة» المعروف بالرد على البكرى فيه وفي أمثاله ج ١ ص ٢٥١ مانصه (ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بأقوالهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس معهم دليل شرعى ولانقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها» وجاء فيه في ص ٢٩٥ من نفس الجزء بصدد كلامه على المنحرفين في شأن القبور مانصه (وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحجاً فالمعنى واحد فمن هؤلاء من يقول وحق النبي الذى تحج إليه المطايا فيجعل الحج إلى النبي لا إلى بيت الله عز وجل وكثير من هؤلاء اعظم قصده من الحج قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاحق البيت) ١٠١هـ.

(١) سبب تأليف السيوطى لهذه الرسالة ما ذكره الشيخ نجم الدين الغزى في الجزء الأول من «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» ص ٢٢٨ - ٢٢٩ طبعه دار الأفاق البيروتية حيث قال «ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلى في كتاب ترجمته - أى السيوطى أنه - أى السيوطى - كان يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لى ياشيخ الحديث فقلت له يارسول الله أمن أهل الجنة أنا قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال صلى الله عليه وسلم لك ذلك وألف في ذلك كتابه تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك».

ولسوء تصرف السيوطى في مؤلفاته أمثلة كثيرة غير تلك التي ذكرنا وقد حله ظهور بعض ذلك له في بعض مؤلفاته على غسله والرجوع عنه كما صرح به في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ونص عبارته التي تدل على ذلك (بلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ماغسلته ورجعت عنه. هذا مقالته ويحتاج الكثير مما بقي إلى نفس ذلك العمل بما في ذلك تأليفه في المولد الذى سماه حسن المقصد في عمل المولد الذى أساء التصرف فيه في أمور كثيرة منها أنه قال في كلامه على المولد ص ١٩٣ «قد تكلم الإمام أبو عبد الله بن الحاج في كتابه المدخل على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدا وحاصله مدح ماكان فيه من اظهار شعار وشكر وذم مااحتوى عليه من محرمات ومنكرات» وذكر قوله في عمل المولد إذا خلا من السماع وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الاخوان وسلم من كل ماتقدم ذكره — أى من المحرمات والمنكرات هو بدعة بنفس نيته فقط لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسعدنا ماوسعهم. ثم بعد ذلك كله أتى بما يدل على أنه لايدرى هل كلام ابن الحاج معه أو عليه ونص ماأتى به (وحاصل ماذكره أنه لم يذم المولد بل ذم مايمحتوى عليه من المحرمات والمنكرات. وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد الذى استحسناه فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن واطعام الطعام وذلك خير وبر وقربة. وأما قوله آخره إنه بدعة فإما أن يكون مناقضا لما تقدم أو يحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدم تقريره في صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله «فهو بدعة بنفس نيته فقط وبقوله ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الاخوان إليه وهذا إذا حقق النظر لايجتمع مع أول كلامه لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وماذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذا أوجد في هذا الشهر الشريف سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهذا هو معنى نية المولد فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولا وأما مجرد فعل البر وماذكر معه من غير نية أصلا فإنه لايكاد يتصور ولو تصور لم يكن عبادة ولاثواب فيه إذ لاعمل إلا بنية ولانية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف وهذا معنى نية المولد فهى نية مستحسنة بلاشك فتأمل» ١٠١ هـ كلام السيوطى ومنه يظهر ان لاوجه لاستدلاله لعمل المولد بكلام ابن الحاج مادام لايعرف

مراده به.

وأما صنيع السيوطى في كتاب «الطالع السعيد» الجامع لأسماء نجباء الصعید فهو أنه يقبل منه ما يوافق اتجاهه ويرفض ما لا يوافقها بل بلغ من القوة يتبين ذلك من صنيعه في «المنجلى في تطور الولي» حيث قال في تلك الرسالة وهي من محتويات الجزء الأول من «الحاوى للفتاوى» في ص ٢١٩ «قال الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى في ترجمة أبي العباس المثلث كان من أصحاب الكرامات والأحوال ومن أخص الناس بصحبته تلميذه الشيخ الصالح عبد الغفار بن نوح صاحب كتاب الوحيد في علم التوحيد وقد حكى في كتابه كثيراً من كراماته من ذلك قال: كنا عنده يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث وكان حديثه يلذ للمسامع فبينما نحن في الحديث والغلام يتوضأ فقال له الشيخ إلى أين يا مبارك فقال: إلى الجامع فقال: وحياتى صليت فخرج الغلام وجاء فوجد الناس قد خرجوا من الجامع قال عبد الغفار فخرجت فسألت الناس فقالوا كان الشيخ أبو العباس في الجامع والناس تسلم عليه فرجعت إليه فسألته فقال أنا أعطيت التبذل» ساق السيوطى في تلك الرسالة هذه القصة مستدلاً بها على أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين رغم اطلاعه في «الطالع السعيد» ص ١٣٢ - ١٣٦ على قول مؤلفه الأدفوى في هذه الحكاية مانصه: (ذكرتها لغرابتها وكيف يعقل أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين يتكلم في هذا ويصلى في ذلك وهذا مفرع على أن النفس تدبر جسدين ولقد أحسن شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان حين يقول في قصيدة له إن عقلى لفى عقال إذا ما

انا صدقت بافتراء عظيم
وقولى أنا في مقامتى اللبانية من سياقة كلام ذكرته فيها منه قولى:

فقل لمن قد هام في حبه وكاد من قول له يصرع
دع عنك قولاً قاله واتشد فالتيس من صدق ما يسمع

وحكى لى الشيخ الثقة أثير الدين المذكور قال كان الشيخ كريم الدين شيخ الخانقاه عند قاضى القضاة الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد وخرج من عنده وقال: هذا الكريم مجنون كان الساعة يبحث ويقرر أنه يكون الشخص في مكان وجسده في مكان آخر ذا مجنون وفي الطائفة الصوفية جماعة تثبت ما تنكره بداهة العقول . وتوجد ماتنفيه العادات التي يقضى باعتبار حكمها في شرع الرسول والايمان بها عندى بدعة وضلالة أفضي إليها فرط الجهالة نعم لا ارتياب في حصول الكرامات لمن خصه الله

بعنايته ووفقه لطاعته لكن الكرامة جنس تحته أنواع. منها ماثبتته إذا ثبت لنا بمشاهدة أو نقل من يعتمد عليه كإجابة دعوة وظهور بركة ونحوها، ومنها مااتفقه كروية الباري في الدنيا وإن ثبت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وقد صرح بتعزيز من يدعى ذلك الامامان أبو محمد بن عبد السلام وأبو عمرو بن الصلاح وسبقهما الإمام أبو الحسن الواحدى إلى إنكار ذلك وإن كان الاستاذ القشيري حكى عن امكانه أن فيه خلافا عن الأشعرى ومنها ماانتوقف في إثباته وفيه خلاف بين الأئمة كاحياء الموتى كما وقع للسيد المسيح وماشبه ذلك مما وقع معجزة لنبي ومن منع من وقوع ذلك الاستاذ أبو إسحاق الإسفرايينى والله أعلم» كما يتبين رفض السيوطى مالا يوافق هواه في «الطالع السعيد» من عدم اعتباره في «المنجلى في تطور الولي» ماعلق به الادفوى على مارواه في ترجمة مفرج بن موفق الدماينى بسنده عن موسى بن إسماعيل بن هارون الحفاظي الدماينى أنه قال حدثنا والدى قال خبزت والدتى كعكا بدمامين وكنا يوم عرفة وكان والدى مقيما بمكة فأحبت والدتى أن يأكل والدى منه فقالت للشيخ مفرج لو أكل زوجى منه فقال: اكتبى كتابا إليه وهاتى الكعك فهنا من يتوجه فكتبت كتابا وجعلت الكعك في منديل وناولته له فأخذه وكان والدى يطوف بين المغرب والعشاء فناوله المنديل والكتاب ورجع فصلى الصبح بدمامين مع الجماعة فلما رجع والدى أحضر المنديل» فقد علق الأدفوى في ٦٥٠-٦٥١ على هذه القصة بقوله «قلت ولاشك في وقوع مثل ذلك عقلا ولاورد من الشرع مايمنع الوقوع ولكن اطردت العادة المستمرة والقاعدة المستقرة بعدم وقوع ذلك. والعوائد يقضى بها في حكم الشرع باتفاق أئمة الاجتهاد وبنوا عليها أحكاما كثيرة وجعلوها ضابطا يرجع إليه وحاكما يعول عليه حتى قال بعض الفقهاء إذا قال الرجل لزوجته إن طرت أو صعدت السماء فأنت طالق طلقت في الحال لاستحالتها عادة ولايتوقف على وجود المشروط بل يحكم بالوقوع في الحال. وكذا لو تزوج امرأة بالمغرب وهو بالمشرق وأنت بولد لايلحق به عند جماهير العلماء والفقهاء وإن كان النسب يلحق بالإمكان والشرع متشوف إلى الإلحاق ولافرق بين من هو من أهل الكرامات أولا وألحقوا النسب بالاحتمالات المرجوحة الضعيفة وكذلك قال أرباب الأصول إنه يقطع بكذب الخبر إذا أثبتته واحد بعد أن دونت الكتب وفتش فيها فلم يوجد ومع جواز ذلك كله شرعا وعقلا فقطعوا بالكذب مع الاحتمال العقلى وعدم المانع الشرعى وقد قال الإمام ابن الخطيب في المحصل إن من الجائز العقلى مايقطع بعدم وقوعه فإننا نجوز عقلا أن الله يخلق جبلا وبحرا من زئبق ومع هذا فنقطع بعدم الوقوع وقد حكى

صاحب المحيط من الحنفية وكذا صاحب الذخيرة أنه لو قال رجل إنه كان يوم التروية بالبصرة وأنه وجد ذلك اليوم بمكة إن هذا القائل يكفر عند محمد بن يوسف أبى حنيفة الأصغر وقال شمس الأئمة لا يكفر بل يجهل وقال أصحابنا لو قال لعبده إن لم أحج في هذا العام فأنت حر وتنازعا وأقام العبد بينته أنه كان يوم النحر بالبصرة مثلاً عتق العبد وقال بعض أصحابنا إنه لو علق الطلاق بأحياء الموتى وقع الطلاق في الحال وإن لم يوقعه في مسألة التعليق بالصعود وكل ذلك أن الأمور البعيدة لها حكم المعلوم فكلما كان أبعد وقوعاً كان أبعد قبولاً. وأيضاً فإن الله تعالى قال «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» وسبحان تقع عند أهل العربية للتعجب وصيغة التعجب الواردة في القرآن يقصد بها المخاطبون بمعنى أنه أمر يتعجب منه فأمر يتعجب منه بالنسبة إلى الرسول الكريم صاحب الآيات الباهرة. والمعجزات الظاهرة صلى الله عليه وسلم لانشئته بخبر واحد تروج عليه القضايا فذلك عندى من الرزايا لاسيما من امرأة لا يدرى أنسيّت أم حفظت أم توهمت أو اختلقت. والأمور البعيدة في العادة يتعجب من وقوعها ويتوقف في قبولها إلا إذا علم صدق المخبر كما في القصص المذكورة بعد وفي قصة زكريا عليه السلام من سؤاله كيف يوجد له ذرية بعد كبره وكبر زوجته بعد دعائه بذلك وإخبار الملائكة له عن الله تعالى بذلك ما يشهد بأن الأمور التي تجري على خلاف العادة لا تسلم بمجرد دعواها ولا بمجرد الإخبار، وكذلك في قصة مريم وفي قصة امرأة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وتصريحها بأن هذا الشيء عجيب والسؤال والتعجب من الجميع إنما هو لبعده عادة والا فالقدرة الإلهية صالحة ولا يتعجب مما يفعله.

وذكر الأدفوى أن ظهور الكرامة على أيدي الصحابة أدعى إلى إيمان الكافرين وأقرب إلى وفاق المنافقين قال ومع ذلك فقد قال تعالى «ولاعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً» الآية قال فلم تطو لهم الأرض حتى ساروا ولا خفت أجسامهم حتى طاروا وقصدهم الجهاد وردع أهل الفساد وهم رؤوس الأولياء وصفوة الأصفياء ولو وقع ذلك لقص علينا أنهم لما حزنوا وبكوا ساروا أو طاروا، ولكان في ذلك مسرة للنفوس، وزينة للطروس، وداعية للإيمان، وردع لبعض أهل العصيان والله تعالى أعلم والخير كله في اتباع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم» ومر الأدفوى إلى أن قال «لانشئت الكرامة باشتهاؤها واستفاضتها عند الفقراء فإن الكذب فيها كثير، وكثير منهم جاهل بشروط صحة النقل وتحرير الأمر. وكثير منهم مغفل يروى ما يسمعه ويحسن الظن

بناقله وقال الإمام الحافظ يحيى بن سعيد القطان إذا رأيت في السند رجلاً صالحاً فانفض يدك منه فإنني لم أر أكذب من الصالحين في الحديث» ثم إن أكثرها مرسلة وبعضها يبنى على التوهم فإذا سلمت من ذلك ورواها لنا عدل متيقظ ضابط يروى عن مشاهدة أو عن خبر من يقبل ممن وصفته ويسند ذلك إلى مشاهدة الناقل قبلنا ذلك كما يقبل سائر الأخبار بالشرط المتقدم وهو أن لا يكون بعيداً في العادة أو وقع هو أو مثله معجزة كما قال الأستاذ ومن يقول بقوله وقد قال إمام الحرمين في «الشامل» إنه يمنع إثبات بعض ما يجوز عقلاً كرامة ونقله عن القاضي وصححه . وقد ذكرت شيئاً من ذلك في كتاب «الإمتاع في أحكام السماع»^(١)، رفض السيوطي في رسالته «المنجلى في تطور الولي» مضمون تعليق الأدفوي في تلك القصة لأنه جزم فيها بوقوع أمور يمنعها تعليق الادفوي حتى صرح بأن الكعبة تطوف بالأولياء وهي في مكانها.

وأما الاستدلال لما اعتاده أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من زيارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكاني^(٢) والاحتفال به بأن جبريل أمر محمداً صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين ببيت لحم مولد عيسى عليه السلام، فالجواب عنه أن أمر جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك ورد من رواية شداد

(١) هو كتاب للأدفوي ذكر ابن حجر الهيتمي في «كف الرعاع عن محرمات السماع» ص ٤٧ بهامش الزواجر عن اقتراح الكبائر أنه تابع فيه ابن طاهر في جميع كذباته يعتمد عليها ويجعلها حجة له على ما يريد الانتصار به للصوفية المبرئين من ذلك السفساف الأغنياء عن الانتصار لهم.

(٢) مولد النبي صلى الله عليه وسلم المكاني بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١٥٦ - ١٥٧ ط مكتبة تاج بطنطا قال «وقد ذكر أهل العلم بالسير منهم أبو الوليد الأزرقى أن رباع عبد المطلب بمكة صارت لبنى عبد المطلب فمناها شعب ابن يوسف وبعض دار ابن يوسف لأبي طالب والجو الذي بينه وبين دار ابن يوسف دار المولد مولد النبي صلى الله عليه وسلم وماحوله لأبي النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب ولأريب أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له هذه الدار ورثها من أبيه وبها ولد وكان له دار ورثها هو وولده من خديجة رضى الله تعالى عنها قال الأزرقى وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنيه كليهما مسكنه الذي ولد فيه ومسكنه الذي ابنتى فيه بخديجة بنت خويلد وولد فيه ولده جميعاً قال وكان عقيل ابن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه وأما بيت خديجة فأخذته معتب بن أبي لهب وكان أقرب الناس إليه جواراً فباعه بعد من معاوية ١٠١ هـ.

ابن أوس وأنس بن مالك وأبى هريرة رضى الله عنهم لقصة — الإسراء لكنه مستنكر كما يتبين فيما يلي.

أما رواية شداد بن أوس رضى الله عنه فقد قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدى حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعرى عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا يارسول الله كيف أسرى بك قال صليت بأصحابي صلاة العتمة بمكة معتما فأتانى جبريل عليه السلام بدابة أبيض أو قال بيضاء — فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فرازا بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلنى فقال صل فصليت ثم ركبت فقال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بيثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت قلت: الله أعلم قال: صليت بمدين عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم . قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ماأخذنى فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل أرسل إلي بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هدانى الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرفت به جبينى وبين يدى شيخ متكئ على مئذنة له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى ، ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى الذى فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابى قلت يارسول الله كيف وجدتھا قال وجدتھا مثل الحمرة السخنة ثم انصرف بى فمررنا بغير لقریش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر رضى الله عنه فقال يارسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في مكانك فقال علمت أنى أتيت بيت المقدس الليلة فقال يارسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لى قال ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه لايسألنى عن شئ إلا أنبأته به فقال أبو بكر أشهد إنك لرسول الله وقال المشركون انظروا إلى ابن أبى

كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة قال فقال إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعمرلكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بغيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جل آدم عليه مسح أسود وغارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن طريق أبى إسماعيل — هذا بسنده ومثته روى البيهقى هذه الرواية كما بينه ابن كثير في تفسيره وهذه الرواية تكلم فيها الحافظان الذهبي وابن كثير متعقبن بكلامهما قول البيهقى في إسنادها «هذا إسناد صحيح».

فقد قال الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخ الإسلام ومشاهير طبقات الأعلام» بعد إيراد كلام البيهقى هذا في إسنادها ص ١٤٢ «قلت: ابن زبريق — أى روى تلك الرواية — تكلم فيه النسائي» ١٠١ هـ. كلامه

وذكر في ترجمة ابن زبريق من «ميزان الاعتدال» ج ١ ص ١٨١ أن النسائي قال ليس بثقة ثم قال قال أبو داود ليس بشيء وكذبه محدث حمص محمد ابن عوف الطائي» (١) تعقب الذهبي بهذا قول أبى حاتم في ابن زبريق «لابأس به سمعت ابن معين يثنى عليه».

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة الإسراء تحت عنوان «ذكر الأحاديث الواردة في الاسراء» بعد إيراد حديث شداد بن أوس هذا من طريق أبى إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى» رواه البيهقى من طريقين عن أبى إسماعيل الترمذى به ثم قال بعد تمامه «هذا إسناد صحيح قال وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى به» ذكر ابن كثير هذا كله ثم قال «ولاشك أن هذا الحديث أعني الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقى ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم».

وأما رواية أنس رضى الله عنه لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء

(١) روى الآجري عن أبى داود أن محمد بن عوف قال ما أشك أن إسحاق بن زبريق يكذب» أفاد ذلك الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ج ١ ص ٢١٦

بيت لحم بأمر جبريل عليه السلام فعند النسائي في كتاب الصلاة تحت عنوان فرض
 الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك واختلاف ألفاظهم
 فيه» من «المجتبى» ج ١ ص ٢٢١ طبعة المطبعة المصرية بالأزهر قال أخبرنا عمرو
 ابن هشام قال حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد
 ابن أبي مالك قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل
 عليه السلام فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صليت صليت بطيبة
 واليها المهاجر ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدرى أين صليت صليت بطور سيناء
 حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت فقال
 أتدرى أين صليت صليت بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم دخلت بيت
 المقدس فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل حتى أمتهم ثم صعد بى إلى
 السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا
 الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف
 عليه السلام ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ثم صعد
 بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام ثم صعد بى إلى السماء
 السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ثم صعد بى إلى السماء السابعة فإذا فيها
 ابراهيم عليه السلام ثم صعد بى فوق سبع سموات فأتينا سدة المنتهى فغشيتنى
 ضبابة فخررت ساجدا فقل لى إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى
 أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت إلى ابراهيم فلم يسألنى عن شئ ثم
 أتيت على موسى فقال كم فرض الله عليك وعلى أمتك قلت خمسين صلاة قال فانك
 لاتستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت إلى
 ربى فخفف عنى عشرا ثم أتيت موسى فأمرنى بالرجوع فرجعت فخفف عنى عشرا
 ثم ردت إلى خمس صلوات قال فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإنه فرض على بنى
 اسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربى عز وجل فسألته التخفيف فقال
 إنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس
 بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت انها من الله تبارك وتعالى صرئى فرجعت الى
 موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله صرئى أى حتم فلم أرجع». ومن

طريق المجتبى للنسائي هذا أورد ابن كثير هذه الرواية في تفسيره (١) ج ٣ ص ٦ ضمن أحاديث الاسراء وقال في ص ٥ «فيها غرابة ونكارة جدا». وقال في «الفصول في اختصار سيرة الرسول في حديث أنس هذا الذي رواه النسائي في «المجتبى» غريب منكر جدا وإسناده مقارب وفي الأحاديث الصحيحة مايدل على نكارتة والله أعلم».

وأما رواية أبى هريرة رضى الله عنه لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بيت لحم بأمر جبريل فعند ابن حبان في الجزء الأول من كتاب المجروحين ص ١٨٧-١٨٨ في ترجمة بكر بن زياد الباهلى قال أبو حاتم بن حبان بعد أن ذكر أنه شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب الاعلى سبيل القدر فيه قال روى عن بكر بن زياد عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن زارة بن أوفى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل بقبر أبى ابراهيم عليه السلام فقال يا محمد انزل فصل هنا ركعتين هذا قبر أبىك ابراهيم ثم مر بى بيت لحم فقال انزل فصل هاهنا ركعتين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى إلى الصخرة فقال يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء وذكر كلاما طويلا أكره ذكره ثناء محمد بن أحمد بن ابراهيم بالرملة ثناء عبد الله بن سليمان بن عميرة البلوى المقدسى ثناء بكر بن زياد الباهلى وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البزل في هذا الشأن» ١٠١ هـ كلام ابن حبان.

وقد تلقاه ابن الجوزى في «الموضوعات» والسبكى في «شفاء السقام في زيارة خير الانام» والذهبي في ترجمة بكر بن زياد من ميزان الاعتدال وابن كثير في الفصول في اختصار سيرة الرسول والشوكانى في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» بالقبول.

فقد قال ابن الجوزى ج ١ ص ١١٣-١١٤ في باب ماروى ان الله تعالى عرج إلى السماء مانصه «أنبانا أبو منصور بن خيرون قال أنبانا أبو محمد الحسين بن على بن الجوهري عن أبى الحسن على بن عمر الدارقطنى عن أبى حاتم بن حبان الحافظ قال حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن سليمان بن عميرة قال حدثنا بكر بن زياد الباهلى قال حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن أبى

(١) وقال «هى في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير».

عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل بقبر أبى ابراهيم فقال يا محمد انزل فصل هنا ركعتين ثم مر بى ببيت لحم فقال انزل فصل هنا ركعتين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى ثم أتى بى إلى الصخرة فقال يا محمد من هنا عرج ربك إلى السماء.

وذكر كلاما طويلا أكره ذكره» قال أبو حاتم هذا حديث لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف باليزل في هذا الشأن وكان بكر بن زياد دجالا يضع الحديث على الثقات».

وقال السبكي في «شفاء السقام» ص ١٣٣ تعليقا على قول شيخ الإسلام ابن تيمية «في الحديث الذى فيه هذا قبر أبىك ابراهيم انزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه» كذب لاحقيقة له (١)» قال السبكي تعليقا على ذلك مانصه «أما قوله — أى شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية — إن الحديث الذى فيه هذا قبر أبىك ابراهيم فانزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه كذب لاحقيقة له، فصدق فيما قال وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباهلى قال ابن حبان شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب الاعلى سبيل القدح فيه وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور وفيه «ثم أتى بى إلى الصخرة فقال يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء» وذكر كلاما طويلا كره ابن حبان ذكره قال ابن حبان وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف باليزل في هذا الشأن هذا كلام ابن حبان ثم قال السبكي «وقد

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك قوله في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٤٣٨-٤٣٩ «وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين ولم يصل بمكان غيره ولا زاره وحديث المعراج فيه ماهو في الصحيح وفيه ماهو في السنن أو في المسانيد وفيه ماهو ضعيف وفيه ماهو من الموضوعات المختلقات مثل ما يرويه بعضهم في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له جبريل هذا قبر أبىك ابراهيم انزل فصل فيه وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه، وأعجب من ذلك أنه قد روى فيه أنه قيل له في المدينة انزل فصل هاهنا، قبل أن يبنى مسجده وإنما كان المكان مقبرة المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إنما نزل هناك لما بركت ناقته هناك فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة. وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في آياتها فضيلة عند المسلمين سواء كان مولد عيسى أو لم يكن.

ذكر هذا الحديث أبو القاسم المكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم المقدسي الرميلي في كتاب صنفه في فضائل زيارة قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال: ناالشيخ الصالح الثقة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن ابراهيم المقدسي قراءة عليه رحمه الله أنا محمد بن أحمد أبو بكر بن محمد الواسطي الخطيب قراءة عليه ثنا أبو القاسم عيسى بن عبيد الله بن عبد العزيز الموصلي المعروف بالمصاحفي ثنا أبو الحسن على بن جعفر بن محمد الرازي وكيل المسجد الأقصى ثنا العباس بن أحمد بن عبد الله وأنا سألته ثنا عبد الله بن أبي عميرة المقدسي ثنا بكر بن زياد الباهلي عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل إلى قبر ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال انزل صل هاهنا ركعتين فإن هاهنا قبر أبيك ابراهيم عليه السلام ثم مر بى إلى بيت لحم فقال انزل صل هاهنا ركعتين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى إلى الصخرة قال وذكر الحديث. ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن أبي عميرة ثنا بكر بن زياد» انتهى المراد من كلام السبكي على هذه الرواية.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة بكر بن زياد الباهلي من «ميزان الاعتدال» ج ١ ص ٣٤٥ قال ابن حبان — أى في بكر بن زياد الباهلي — دجال يضع الحديث ثم ساق عنه عن ابن المبارك عن سعيد عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة مرفوعا «مر بى جبريل ببيت لحم فقال انزل فصل هاهنا ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى ثم أتى بى قبر ابراهيم فقال صل هنا ثم أتى بى الصخرة فقال من هنا عرج ربك إلى السماء الحديث وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البزل في هذا الشأن قلت — القائل الذهبي — صدق ابن حبان» انتهى كلام الحافظ الذهبي.

وقال ابن كثير في «الفصول في اختصار سيرة الرسول» ص ١٢٢ بعد أن ذكر حديث أنس المتقدم وذكر أنه غريب منكر جداً قال «وكذلك الحديث الذى تفرد به بكر بن زياد الباهلي المتروك عن عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليلة أسرى بى قال لى جبريل هذا قبر أبيك ابراهيم انزل فصل فيه» لا يثبت أيضا لحال بكر بن زياد المذكور».

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص ٤٤١
«حديث» لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل بقبر أبى ابراهيم فقال انزل
يا محمد فصل هنا ركعتين ثم مر بى ببيت لحم فقال انزل فصل هاهنا وذكر حديثا
طويلا. رواه ابن حبان عن أبى هريرة مرفوعا وفي اسناده بكر بن زياد قال ابن
حبان دجال يضع الحديث قال الذهبي صدق ابن حبان» ١٠١هـ.

هذا كلام أولئك العلماء في روايات أمر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الإسراء بأن يصلى ركعتين ببيت لحم وبه يتضح قول شيخ الإسلام بن تيمية في
تفسير سورة الاخلاص ص ١٦٩ مانصه «الذى يرويه بعضهم في حديث الإسراء أنه
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه طيبة انزل فصل فنزل فصلى هذا مكان أبيك
إنزل فصل كذب موضوع لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة إلا في
المسجد الأقصى خاصة كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه» وقول ابن القيم
في الفصل الذى عقده للإسراء من «زاد المعاد في هدى خير العباد» «قد قيل إنه أى
النبي صلى الله عليه وسلم — نزل ببيت لحم وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة»
كما يتضح بما نقلناه عن أهل العلم في رواية بكر بن زياد الباهلى بطلان دعوى
الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ج ٢ ص ٥٠-٥١ أن الموضوع من حديث بكر
بن زياد هو من قوله «ثم أتى بي الصخرة» وأما باقيه فقد جاء في طريق أخرى فيها
الصلاة ببيت لحم وردت من حديث شداد بن أوس» فدعوى أن ماروى في أن
جبريل أمر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أن يصلى ركعتين ببيت لحم أصل
لما يصنعه أهل مكة كل عام في ليلة الثانى عشر من ربيع الأول دعوى باطلة مادام
الأمر كما بينا.

وقد أجاد ابن ظهيرة حيث بين في كتابه «الجامع اللطيف في فضل مكة
وأهلها وبناء البيت الشريف» أن ما يصنعه أهل مكة ليلة الثانى عشر من ربيع
الأول كل عام لم يقف له على أصل ونص كلامه في ذلك بصدد الكلام على مكان
مولد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة. (جرت العادة بمكة في ليلة الثانى عشر من
ربيع الأول في كل عام أن قاضى مكة الشافعى يتبها لزيارة هذا المحل الشريف بعد
صلاة المغرب في جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء
وذوى البيوت بفوانيس كثيرة وشموع عظيمة وزحام عظيم ويدعى فيه للسلطان ولأمير
مكة وللقاضى الشافعى بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام ثم يعود منه إلى المسجد الحرام
قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بازاء قبة الفراشين ويدعو الداعى

لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء ثم يصلون العشاء وينصرفون ولم أقف على أول من سن ذلك وسألت مؤرخى العصر فلم أجد عندهم علما بذلك ١٠هـ.

وأما حديث (من سن سنة حسنة كان له أجرها) الحديث فقد أجاب الإمام الشاطبى في ج ١ من «الاعتصام» ص ١٤٢—١٤٥ عن قول من قال بأن معنى «من سن سنة حسنة» من اخترع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة وزعم أن معناه ليس من عمل بسنة ثابتة أجاب عن ذلك بوجهين أحدهما أن قوله — صلى الله عليه وسلم — (من سن سنة حسنة) ليس المراد به الاختراع البتة والالزم من ذلك التعارض بين الأدلة القطعية إن زعم مدعى ذلك أن ما ذكره من الدليل مقطوع به فإن زعم أنه مظنون فما تقدم من الدليل على ذم البدع مقطوع به فيلزم التعارض بين القطعى والظنى والاتفاق من المحققين على تقديم القطعى على الظنى قال ولكن فيه بحثا من وجهين^(١) أحدهما أن يقال إنه من قبيل المتعارضين إذ تقدم أولا أن أدلة الذم تكرر عمومها في أحاديث كثيرة من غير تخصيص وإذا تعارضت أدلة العموم والتخصيص لم يقبل بعد ذلك التخصيص والثاني على التناول لفقد التعارض فليس المراد بالحديث الاستئنان بمعنى الاختراع وإنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية وذلك لوجهين: أحدهما أن السبب الذى جاء لأجله الحديث هو الصدقة المشروعة بدليل ما في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة» إلى آخر الآية «إن الله كان عليكم رقيبا» والآية التي في الحشر «اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد» تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال «ولو بشق تمر» قال «فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب جتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتהלل كأنه مذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شئ» فتأملوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) عبارة الأصل، «والاتفاق من المحققين ولكن فيه من وجهين» وهى ناقصة غير مستقيمة.

«من سن سنة حسنة» تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه حتى بتلك الصرة فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال «من سن في الإسلام سنة حسنة» الحديث فدل على أن السنة هاهنا مثل ما فعل ذلك الصحابي وهو العمل بما ثبت كونه سنة وأن الحديث مطابق لقوله في الآخر «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى» الحديث إلى قوله «ومن ابتدع بدعة ضلالة» وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ومن أحيا سنتي فقد أحسنى» ووجه ذلك في الحديث الأول ظاهر لأنه صلى الله عليه وسلم لما حض على الصدقة أولا ثم جاء بعد ذلك الانصارى بما جاء به فانتال بعده العطاء إلى الكفاية فكأنها كانت سنة أيقظها رضى الله عنه بفعله فليس معناه من اخترع سنة وابتدعها ولم تكن ثابتة. ونحو هذا الحديث في رقائق ابن المبارك (١) ما يوضح معناه عن حذيفة رضى الله عنه قال قام سائل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل فسكت القوم ثم إن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استن خيرا فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم شيء، ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ووزر من اتبعه غير منتقص من أوزارهم شيء» فإذا قوله «من سن سنة حسنة» معناه من عمل بسنة لا من اخترع سنة.

الوجه الثانى من وجهى الجواب — عن قوله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة حسنة» الخ. أن قوله «من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة» لا يمكن حمله على الاختراع من غير أصل لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع، فلزم أن تكون السنة في الحديث إما حسنة في الشرع وإما قبيحة بالشرع فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة وما أشبهها من السنن المشروعة وتبقى السنة السيئة منزلة على المعاصى التي ثبت بالشرع كونها معاصى كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم حيث قال عليه السلام «لأنه أول من سن القتل» وعلى البدع لأنه قد ثبت ذمها والنهى عنها بالشرع.

وأضاف الشاطبى إلى جوابه هذا عن قوله «من سن سنة حسنة» أضاف إليه الجواب عن قوله في حديث بلال بن الحارث عند الترمذى الذى ورد في الاعتراض (ومن ابتدع بدعة ضلالة» بما نصه «أما قوله «من ابتدع بدعة ضلالة» فهو على ظاهره لأن سبب الحديث لم يقيده بشيء فلا بد من حمله على ظاهر اللفظ

كالعمومات المبتدأة التي لم تثبت لها أسباب. ويصح أن يحمل على نحو ذلك قوله «ومن سن سنة سيئة» أى من اخترعها وشمل ما كان منها مخترعا ابتداء من المعاصي كالقتل من أحد ابنى آدم وما كان مخترعا بحكم الحال إذ كانت قبل مهمة — متناساة فآثارها عمل هذا العامل فقد عاد الحديث والحمد لله حجة على أهل البدع من جهة لفظه وشرح الأحاديث الأخر له وإنما يبقى النظر في قوله «ومن ابتدع بدعة ضلالة» فإن تقييد البدعة بالضلالة يفيد مفهوما والأمر فيه قريب لأن الإضافة فيه لم تفد مفهوما. وإن قلنا بالمفهوم على رأى طائفة من أهل الأصول فإن الدليل دل على تعطيله في هذا الموضع كما دل دليل تحريم الربا قليله وكثيره على تعطيل المفهوم في قول الله تعالى «لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة» ولأن الضلالة لازمة للبدعة باطلاق بالأدلة المتقدمة فلا مفهوم أيضا».

وأما حديث «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» الحديث فالجواب عن الاستدلال به بأمر: أولها أن المراد بالمسلمين فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يدل على ذلك ما رواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة من «المستدرک» ج ٣ ص ٧٨ قال: أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ثنا أبى وأحمد بن منيع قالوا ثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله — أى ابن مسعود — قال: مارأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه» هكذا رواه الحاكم في المستدرک ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالا. أخبرناه أبو العباس المحبوبي ثنا سعيد ابن مسعود ثنا يزيد بن هارون أنبا داود بن أبى هند عن الشعبي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «لما قبض النبى صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع المهاجرون والأنصار إلى سقيفة بنى ساعدة في بيعة أبى بكر فأتيت أم سلمة فقلت لها بايع الناس أبا بكر» وقد وافق الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرک» الحاكم على تصحيح اثر ابن مسعود (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) الخ وجاء في ترجمة أحمد بن حنبل — من «البداية والنهاية» لابن كثير ج ١٠ ص ٣٢٧-٣٢٨ مانصه «قال الإمام احمد حدثنا ابو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوه سيئا فهو عند الله سيئ» وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه» ثم قال ابن كثير «قلت: وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق والأمر كما قاله ابن

مسعود» قلت — القائل إسماعيل الانصارى لذلك ترى الإمام ابن تيمية يحتاج بأثر ابن مسعود هذا على خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه وذلك في «منهاج السنة» ج ١ ص ١٦٦-١٦٧ قال في دفاعه عن مبايعة الصحابة رضوان الله عليهم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه «روى ابن بطة وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بن حبیش قال قال عبد الله بن مسعود «إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فمارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء» وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الرواى لهذا الأثر عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه «وقد رأى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جميعا أن يستخلفوا أبا بكر» ١٠١هـ، نص منهاج السنة كما استدل به الإمام ابن القيم في الجزء الرابع من «إعلام الموقعين على أن الأخذ بفتاوى الصحابة رضى الله عنهم أولى من الأخذ بفتاوى غيرهم ونصه ص ١٣٨ روى أبو داود الطيالسى ثنا المسعودى عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح» ومن المحال أن يخطيء الحق في حكم الله خير قلوب العباد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظفر به من بعدهم».

الثاني من الأجوبة عن قول ابن مسعود في أثره هذا «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» أن المراد به ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسنا لا مارآه بعضهم واستحسنه ذكر هذا الجواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبى وفيما يلي نصوصهم.

قال ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام ج ٦ ص ١٨-١٩» «حدثنا المهلب التميمى عن محمد بن عيسى بن مناس عن محمد بن مسرور عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب أخبرنى عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عاصم بن بهدلة عن شقيق عن عبد الله فذكر كلاما فيه «فما رآه المسلمون

حسنا فهو عند الله حسن» ثم قال ابن حزم «فهذا هو الاجماع الذى لا يجوز خلافه لو تيقن وليس مارآه بعض المسلمين أولى بالاتباع ممارآه غيرهم من المسلمين ولو كان ذلك لكننا مأمورين بالشئ وضده وبفعل شئ وتركه معا وهذا محال لاسبيل إليه» ١٠١هـ. كلام ابن حزم.

وقال ابن قدامة في روضة الناظر ص ٨٦ في الجواب عن خبر (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) مانصه (الخبر دليل على أن الاجماع حجة ولاخلف فيه).

وقال ابن القيم في كتابه «الفروسية» ص ٦٠ طبعة مطبعة الأنوار في أثر ابن مسعود هذا «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاختره لرسالته ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبته فمارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن».

قال (هو — أى مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) في هذا الأثر — دليل على أن ماأجمع عليه المسلمون ورأوه حسنا فهو عند الله حسن لا مارآه بعضهم فهو حجة عليكم».

وقال الشاطبى في كلامه على الاستحسان في «الاعتصام» ج ٢ ص ١٣٠ قال في الجواب عن حديث (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن^(١)) «إن ظاهره يدل على أن مارآه المسلمون حسنا فهو حسن. والأمة لا تجتمع على باطل فاجتماعهم على حسن شئ يدل على حسنه شرعا لأن الاجماع يتضمن دليلا شرعيا فالحديث دليل عليكم لا لكم» ولم يقتصر الشاطبى على هذا بل أضاف إليه قوله ص ١٣١ «إنه إذا لم يرد به أهل الاجماع وأريد بعضهم يلزم عليه قبول استحسان العوام وهو باطل بإجماع» ثم قال «لا يقال إن المراد استحسان أهل الاجتهاد لأننا نقول: هذا ترك للظاهر فيبطل الاستدلال ثم إنه لافائدة في اشتراط الاجتهاد لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في الأدلة فأى حاجة إلى اشتراط الاجتهاد» قال «فإن قيل إنما يشترط حذرا من مخالفة الأدلة فإن العامى لا يعرفها قيل بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة بدليل أن الصحابة رضى الله عنهم قصروا أحكامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشرع»

(١) مورد هذا الأثر الذي أجابه الشاطبى عزاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلط لأنه من قول ابن مسعود لا من قوله صلى الله عليه وسلم.

وجزم الشاطبي بأن تعلق المبتدعة بهذا الخبر تعلق بما لا يغنى ولا ينفع البتة» ويقرب من كلام الشاطبي هنا قوله ج ٢ من الاعتصام ص ٣٠٧ - ٣٠٨ في معنى «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» إنما معناه عند العلماء أن علماء الإسلام إذا نظروا في مسألة مجتهد فيها فمارأوه فيها حسنا فهو عند الله حسن لأنه جار على أصول الشريعة قال «والدليل على ذلك الاتفاق على أن العوام لو نظروا فأداهم اجتهداهم إلى استحسان حكم شرعى لم يكن عند الله حسنا حتى يوافق الشريعة» قال «والذين نتكلم معهم في المسألة ليسوا من المجتهدين باتفاق منا ومنهم فلا اعتبار بالاحتجاج بالحديث على استحسان شيء واستقباحه بغير دليل شرعى ومنهم من ترقى في الدعوى حتى يدعى فيها الاجماع من أهل الأقطار وهو لم يبرح من قطره ولا بحث عن علماء أهل الاقطار ولا عن تبيانهم فيما عليه الجمهور ولا عرف من أخبار الاقطار خبرا فهو ممن يسأل عن ذلك يوم القيامة. وهذا الاضطراب كله منشأ تحسين الظن بأعمال المتأخرين وإن جاءت الشريعة بخلاف ذلك والوقوف مع الرجال دون التحرر للحق».

هذا وما يتعلق بالبحث في «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» امران هاما أحدهما قول العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج ٢ ص ١٨٨ مانصه «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» رواه أحمد في كتاب السنة وليس في مسنده كما وهم عن ابن مسعود بلفظ إن الله نظر في قلوب العباد فاختر محمدأ صلى الله عليه وسلم فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فاختر له أصحابا فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فمارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح».

الثاني جزم بعض أهل العلم برفع الأثر الذى ورد فيه «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» جزم بذلك ابن قدامة في «روضة الناظر» والشاطبي في «الاعتصام» حيث عبر كل واحد منهما بأنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الملا على قارى في «الموضوعات الكبرى» ص ١٠٦ طبعة بيروت مانصه «قد صح عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» ونقل الشيخ محمد أحمد العدوى الشافعى أحد علماء الأزهر في كتابه «طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول ص ٢٥-٢٦ عن الشيخ محمد عبد الحى اللكنوى أنه قال في تحفة الأخيار» قال سعيد الرومى في المجلس الثامن عشر من كتاب مجالس الأبرار» مانصه «قد نسب جماعة هذا الحديث منهم الرازى في التفسير الكبير والعينى

في شرح الهداية وغيره من شراحها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن». وفي الإجابة عن هذين الأمرين الهامين نقول: أما دعوى العجلوني أن أثر ابن مسعود الذي ورد فيه (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) ليس في مسند الإمام أحمد بن حنبل فغير صحيحة فقد جاء في الجزء الخامس من مسند الإمام أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاکر ص ٣٦٥١ مانصه «حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوا سيئا فهو عند الله سيء». ومن طريق الإمام أحمد بن حنبل أورده ابن كثير في تفسيره وفي تاريخه قال في تفسيره ج ٢ ص ١٧٣ في تفسير الآية الكريمة «الله أعلم حيث يجعل رسالته» «قال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوه سيئا فهو عند الله سيء»

وقال في الجزء العاشر من «البداية والنهاية» ص ٣٢٧-٣٢٨ في ترجمة الإمام أحمد قال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال: مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوه سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه اسناد صحيح ، قلت - القائل ابن كثير - وهذا الأثر فيه حكاية اجماع عن الصحابة في تقديم الصديق والأمر كما قاله ابن مسعود ٥١هـ.

وأما رفع الأثر الذى ورد فيه (مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد جزم ابن الجوزى وابن القيم وابن عبد الهادى بطلانه واستغربه الزيلعى قال ابن الجوزى في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» ج ١ ص ٢٨٠ «أنا القزاز قال أخبرنا أبو بكر بن ثابت قال أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي أخبرنا يوسف بن عمر البجلي قال قرئ على أحمد بن أبى زهير البخارى وأنا أسمع قيل له حدثكم على بن إسماعيل قال نا أبو معاذ رجاء بن سعيد قال نا

سليمان بن عمرو النخعي وأنا أسمع قال حدثنا أبان بن أبي عياش وحيد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلبا أتقى من أصحابي ولذلك اختارهم فجعلهم أصحابا فما استحسنوا فهو عند الله حسن وما استقبحوا فهو عند الله قبيح» قال ابن الجوزي «تفرد به النخعي قال أحمد بن حنبل كان يضع الحديث وقال أيضا «هذا الحديث إنما يعرف من كلام ابن مسعود» (١٠١) م. كلام ابن الجوزي وأبو بكر بن ثابت الذي ورد في سنده هو الخطيب البغدادي وقد روى هذا الحديث في الجزء الرابع من «تاريخ بغداد» ص ١٦٥ قال «أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي أخبرنا يوسف بن عمر القواس قال قرئ على أحمد بن أبي زهير البخاري وأنا اسمع وأصله في كتابي قيل له حدثكم على بن إسماعيل حدثنا أبو معاذ رجاء بن معبد حدثنا سليمان بن عمرو النخعي حدثنا أبان بن أبي عياش وحيد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلبا أتقى من أصحابي ولذلك اختارهم فجعلهم أصحابا فما استحسنوا فهو عند الله حسن وما استقبحوا فهو عند الله قبيح» تفرد به أبو داود النخعي» ورد هذا في ترجمة أحمد بن أبي زهير البخاري من تاريخ بغداد وقال ابن القيم في «الفروسية» في الكلام على أثر ابن مسعود «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» مانصه «ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث وإنما هو ثابت عن ابن مسعود قوله ذكره الإمام أحمد وغيره موقوفا عليه.

وقال الحافظ ابن عبد الهادي «روى — أى أثر ابن مسعود — مرفوعا عن انس باسناد ساقط والأصح وقفه على ابن مسعود» نقل ذلك عن ابن عبد الهادي صاحب كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس الشيخ إسماعيل العجلوني وقال العلامة الحافظ الزيلعي في «باب الاجارة الفاسدة» من نصب الراية تعليقا على قول صاحب الهداية (قال عليه السلام «مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن») قال ج ٤ ص ١٣٣—١٣٤ قلت : غريب مرفوعا ولم أجده إلا موقوفا على ابن مسعود وله طرق أحدها رواه أحمد في مسنده حدثنا أبو بكر ابن عياش ثنا عاصم عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود قال «إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن (١) فما جاء في رفعه إذا مع ضعفه ليس من رواية ابن مسعود وإنما هو من رواية أنس.

ومارأوه سيثا فهو عند الله سييء» انتهى ومن طريق أحمد رواه الحاكم في المستدرک في فضائل الصحابة وزاد فيه «وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلف أبو بكر» انتهى وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه انتهى ، وكذلك رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب «المدخل» وقال لا نعلم رواه من حديث زر عن عبد الله غير أبي بكر بن عياش وغير أبي بكر يرويه عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، زاد البيهقي : ورواية ابن عياش أشبه انتهى طريق آخر رواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود فذكره إلا أنه قال عوض سييء، قبيح ، ومن بطريق أبي داود رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابن مسعود والبيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك رواه الطبراني في معجمه والمسعودي ضعيف» طريق آخر رواه البيهقي أيضا في المدخل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس الأصم ثنا محمد بن إسحاق الصغاني ثنا أبو الجواب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله فذكره.

وقد جمع العلائي في كلامه على أثر ابن مسعود هذا مارأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن بين ذكر عدم رفعه وبين عزوه إلى مسند أحد ولفظه حسبما في الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٩ لم أجده مرفوعا في شيء من كتب الحديث أصلا ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو من قول عبد الله ابن مسعود موقوفا عليه أخرجه أحمد في مسنده.

وأما جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه فقد أجاب الشاطبي في «الاعتصام» ج ١ ص ١٤٥-١٤٧ عن إirاده في البدع المستحدثة بأنه ليس من قبيلها وإنما هو من المصالح المرسله والمصالح المرسله عمل بمقتضاها السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم يقول في ذلك، «أما جمع المصحف وقصر الناس عليه فهو على الحقيقة من هذا الباب — أى باب المصالح المرسله — إذ أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف تسهلا على العرب المختلفات اللغات فكانت المصلحة في ذلك ظاهرة إلا أنه عرض في إباحة ذلك بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح لباب الاختلاف في القرآن حيث اختلفوا في القراءة فخاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اختلاف الأمة في ينبوع الملة فقصروا الناس على ما ثبت منها في مصاحف عثمان رضى الله عنه واطرحوا ما سوى ذلك علما بأن ما طرحوه مضمن فيما أثبتوه لأنه من قبيل القراءات التي يؤدي بها القرآن ثم ضبطوا ذلك بالرواية حين فسدت الألسنة ودخل في الإسلام أهل العجمة خوفا من فتح باب آخر من

الفساد وهو أن يدخل أهل الإلحاد في القرآن أو في القراءات مالمس منها فيستعينوا بذلك في بث الحادهم ألا ترى أنه لما لم يمكنهم الدخول من هذا الباب دخلوا من جهة التأويل والدعوى في معانى القرآن فحق ما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن له أصلاً يشهد له في الجملة وهو الأمر بتبليغ الشريعة وذلك لاختلاف فيه لقوله تعالى «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وأتمته مثله. وفي الحديث (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) وأشباهه، والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة لأنه من قبيل المعقول المعنى فيصح بأى شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها كذلك لا يتقيد حفظه عن التحريف والزيف بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بالابطال كمسألة المصحف ولذلك أجمع عليه السلف الصالح» وبعد أن أجاب الشاطبي بهذا قال «وان تعلق — أى المعارض — بما ورد من الخلاف في المصالح المرسلة وأن البناء عليها غير صحيح عند جماعة من الأصوليين فالحجة عليهم إجماع الصحابة على المصحف والرجوع إليه وإذا ثبت اعتبارها في صورة ثبت اعتبارها مطلقاً ولا يبقى بين المختلفين نزاع إلا في الفروع. وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور) فأعطى الحديث كما ترى أن ماسنه الخلفاء الراشدون لاحق بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ماسنوه لا يعدو أحد أمرين إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعى فذلك سنة لا بدعة وإما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك ولكن هذا الحديث دليل على إثباته سنة إذ قد أثبتته كذلك صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة ولذلك أردف اتباعهم بالنهى عن البدع باطلاق ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع.

وقال في الجزء الثاني من «الموافقات» ص ٣٤١—٣٤٢ في جمع المصحف إن جمع المصحف لم يكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستغناء عنه بالحفظ في الصدور ولأنه لم يقع في القرآن اختلاف يخاف بسببه الاختلاف في الدين وإنما وقعت فيه نازلتان أو ثلاثه كحديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضى الله عنهما وقصة أبى بن كعب مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما وفيه قال عليه الصلاة والسلام «لاتماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر» فحاصل الأمر أن جمع المصحف كان مسكوتاً عنه في زمانه عليه الصلاة والسلام ثم لما وقع الاختلاف في القرآن وكثر حتى صار أحدهم يقول لصاحبه أنا كافر بما تقرأ به صار جمع المصحف واجباً ورأياً رشيداً في واقعة لم يتقدم بها عهد فلم يكن فيها مخالفة والالزم أن يكون

النظر في كل واقعة لم تحدث في الزمان المتقدم بدعة وهو باطل باتفاق لكن مثل هذا النظر من باب الاجتهاد الملائم لقواعد الشريعة وإن لم يشهد له أصل معين وهو الذى يسمى المصالح المرسلة. وكل ما أحدثه السلف الصالح من هذا القبيل لا يتخلف عنه بوجه وليس من المخالف لمقصد الشارع أصلاً كيف وهو يقول (١) «مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» «ولا تجتمع أمتى على ضلالة» فثبت أن هذا المجمع عليه موافق لمقصد الشارع فقد خرج هذا الضرب عن أن يكون فيه الفعل أو الترك مخالفاً للشارع وأما البدعة المذمومة فهى التى خالفت ما وضع الشارع من الأفعال والتروك ١٠١ هـ.

وأما كتابة العلم فقد أجاب الإمام الشاطبى في الاعتصام ج ١ ص ١٤٦ عن دعوى كونها من البدع المحدثه بما نصه.

«قد ثبت في السنة كتابة العلم ففى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم «أكتبوا لأبى شاه» وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال «ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً منى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله ابن عمرو فانه كان يكتبُ وكنت لا أكتب» وذكر أهل السير أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون له الوحي وغيره منهم عثمان وعلى ومعاوية والمغيرة بن شعبة وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم. وأيضاً فإن الكتابة من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به إذا تعين لضعف الحفظ وخوف اندراس العلم كما خيف دروسه حينئذ وهو الذى نبه عليه اللخمي قال الشاطبى وإنما كره المتقدمون كتب العلم لأمر آخر لا لكونه بدعة فكل من سمي كتب العلم بدعة فإما متجاوز وإما غير عارف بوضع لفظ البدعة فلا يصح الاستدلال بهذه الأشياء على صحة العمل بالبدع».

وأما تقسيم القرافى في كلامه البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة فقد تعقبه الإمام الشاطبى في الجزء الأول من «الاعتصام» ١٥٠-١٥٥ بقوله «إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى لا من نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل

(١) لم يثبت ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ثبت من قول ابن مسعود رضى الله عنه.

داخلا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها فالجمع بين عدتلك الأشياء بدعا
 وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو نذرها أو إباحتها جمع بين متنافيين أما المكروه
 منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعا لامن جهة أخرى إذ لو دل دليل على منع
 أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية كالقتل والسرقة
 وشرب الخمر ونحوها فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة الا الكراهية والتحريم
 حسبما يذكر في بابه. فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على انكار البدع
 صحيح وما قسمه فيها غير صحيح ومن العجب حكاية الاتفاق مع المصادمة بالخلاف
 ومع معرفته بما يلزمه في خرق الاجماع وكأنه إنما اتبع في هذا التقسيم شيخه — أى
 العز — من غير تأمل فإن ابن عبد السلام ظاهر منه أنه سمى المصالح المرسله بدعا
 بناء والله أعلم على أنها لم تدخل أعيانها تحت النصوص المعينة وإن كانت تلائم
 قواعد الشرع. فمن هنالك جعل القواعد هى الدالة على استحسانها بتسميته لها بلفظ
 البدع وهو من حيث فقدان الدليل المعين على المسألة. واستحسانها من حيث دخولها
 تحت القواعد. ولما بنى على اعتماد تلك القواعد استوت عنده مع الأعمال الداخلة
 تحت النصوص المعينة وصار من القائلين بالمصالح المرسله وسماها بدعا في اللفظ كما
 سمي عمر رضى الله عنه الجمع في قيام رمضان في المسجد بدعة» وجزم الشاطبي بأن
 القرافي لا عذرله في نقل تلك الأقسام على غير مراد شيخه وعلى غير مراد الناس لأنه
 خالف الكل في ذلك التقسيم فصار مخالفا للاجماع» هذا ما أجاب به الشاطبي على
 سبيل الإجمال وأجاب على سبيل التفصيل بقوله «أما قسم الواجب فقد تقدم مافيه
 أنفا(١) فلا نعيده، وأما قسم التحريم فليس فيه ماهو بدعة هكذا بإطلاق بل ذلك
 كله مخالفة للأمر المشروع فلا يزيد على تحريم أكل المال بالاطل إلا من جهة كونه
 موضوعا على وزان الأحكام الشرعية اللازمة كالزكوات المفروضة والنفقات المقدرة قال
 «فإذا لا يصح أن يطلق القول في هذا القسم بأنه بدعة دون أن يقسم الأمر في ذلك ،
 وأما قسم المندوب فليس من البدع بحال وتبيين ذلك بالنظر في الأمثلة التي مثل بها
 كصلاة التراويح في رمضان جماعة في المسجد فقد قام بها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في المسجد واجتمع الناس خلفه فخرج أبو داود عن أبي ذر قال: صمنا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقى سبع
 فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم بنا فلما كانت الخامسة
 قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلنا يارسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة قال فقال

(١) وهو أن الجمع بين كون الشيء بدعة وبين كون الدليل يدل على وجوبه جمع بين متنافيين.

«إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة» قال فلما كانت الرابعة لم يقيم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح قال قلت وما الفلاح قال: السحور ثم لم يقم بنا بقية الشهر» ونحوه في الترمذي وقال فيه «حسن صحيح» لكنه صلى الله عليه وسلم لما خاف افتراضه على الأمة أمسك عن ذلك ففى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى القابلة فكثرت الناس ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال «قد رأيت الذى صنعتكم فلم يمنعنى من الخروج إلا أنى خشيت أن يفرض عليكم» وذلك فى رمضان خرج به مالك فى الموطن. فتأملوا ففى هذا الحديث ما يدل على كونها سنة فإن قيامه أولا بهم دليل على صحة القيام فى المسجد جماعة فى رمضان وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية من الافتراض لا يدل على امتناعه مطلقا لأن زمانه كان زمان وحى وتشريع فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالالتزام فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الأمر إلى أصله وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له، وإنما لم يقم ذلك أبو بكر رضى الله عنه لأحد أمرين إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وماهم به عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل ذكره الطرطوشى^(١) وإما لضيق زمانه رضى الله عنه عن النظر فى هذه الفروع مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح فلما تمهد الإسلام فى زمن عمر رضى الله عنه ورأى الناس فى المسجد أو زاعا كما جاء فى الخبر قال لوجعت الناس على قارئ واحد لكان أمثل فلما تم له ذلك نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل ثم اتفق السلف على صحة ذلك وإقراره والأمة لا تجتمع على ضلالة وقد نص الأصوليون على أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل شرعى» ثم قال الشاطبى «فإن قيل فقد سماها — أى صلاة التراويح — عمر رضى الله عنه بدعة وحسنها بقوله «نعمت البدعة هذه» وإذا ثبتت بدعة مستحسنة فى الشرع ثبت مطلق الاستحسان فى البدع فالجواب: إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق أن لم تقع فى زمان أبى بكر رضى الله عنه لا أنها بدعة فى المعنى فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة فى الأسامى، وعند

(١) فى كتابه «الحوادث والبدع» ص ٥٢ طبعة دار الاصفهاني وشركاءه بجدة ولفظه «يحتمل — أى عدم صلاة أبى بكر رضى الله عنه التراويح مع الناس — أن يكون رأى من قيام الناس فى آخر الليل وقوتهم عليه ما كان أفضل عنده من جمعهم على إمام فى أول الليل».

ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه فقد قالت عائشة رضى الله عنها «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يجب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم» وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة بالأمة وقال «إني لست كهيتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وواصل الناس بعده لعلهم بوجه علة النهي.

وأجاب الشاطبي عن تمثيل القرافي للمندوب من البدع حسب تقسيمه بإقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الأمور بقوله «ليس ذلك من قبيل البدع بسبيل أما أولا فإن التجمل بالنسبة إلى ذوى الهيئات والمناصب الرفيعة مطلوب وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حلة يتجمل بها للوفود ومن العلة في ذلك ما قاله القرافي من أن ذلك أهيب وأوقع في النفوس من تعظيم العظماء ومثله التجمل للقاء العظماء كما جاء في حديث أشج عبد القيس وأما ثانياً فإن سلمنا أن لادليل عليه بخصوصه فهو من قبيل المصالح المرسلة وما قاله من أن عمر كان يأكل خبز الشعير ويفرض لعامله نصف شاة فليس فيه تفخيم صورة الإمام ولا عدمه بل فرض له ما يحتاج إليه خاصة وإلا فنصف شاة لبعض العمال قد لا يكفيه لكثرة عيال وطروق ضيف، وسائر ما يحتاج إليه من لباس وركوب وغيرها فذلك قريب من أكل الشعير في المعنى وأيضاً فإن ما يرجع إلى المأكول والمشروب لا يتجمل فيه بالنسبة إلى الظهور للناس» وعلق الشاطبي على قول القرافي فكذلك يحتاجون إلى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديمة وربما وجبت في بعض الأحوال» علق عليه بأنه مفتقر إلى التأمل ففيه على الجملة أنه مناقض لقوله في آخر الفصل الخير كله في الاتباع والشركه في الابتداع، مع ما ذكر قبله فهذا كلام يقتضى أن الابتداع شركه فلا يمكن أن يجتمع مع فرض الوجوب وهو قد ذكر أن البدع قد تجب وإذا وجبت لزم العمل بها وهى لما كانت ضمن الشركه فقد اجتمع فيها الأمر بها والأمر بتركها ولا يمكن فيهما الانفكاك وإن كانا من جهتين لأن الوقوع يستلزم الاجتماع وليس كالأصالة في الدار المغصوبة لأن الانفكاك عن الوقوع ممكن وهاهنا إذا وجبت فإنما تجب على الخصوص وقد فرض أن الشر فيها على الخصوص فلزم التناقض وأما على التفصيل فإن تجديد الزخارف فيه من الخطأ مالا يخفى وأما السياسات فإن كانت جارية على مقتضى الدليل الشرعى فليست ببدع وإن خرجت عن ذلك فكيف يندب إليها وهى مسألة النزاع».

وأجاب عن الأشياء التي أوردتها القرافي في قسم المكروه بأنها هي من قبيل البدع في الجملة ولا كلام فيها أو من قبيل الاحتياط على العبادات المحضة أن لايزاد فيها ولاينقص منها وذلك صحيح لأن الزيادة فيها والنقصان منها بدع منكرة فحالاتها وذرائعها محتاط بها في جانب النهي.

وأجاب عن إيراد القرافي في قسم المباح مسألة المناخل بأنها ليست في الحقيقة من البدع بل هي من باب التنعم ولايقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الاسراف في المأكولات لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية فالمناخل لا تعدو القسمين فإن كان الإسراف من ماله فإن كرهه والا اغتفر مع أن الأصل الجواز. وما يحكيه أهل التذكير من الآثار أن أول ما أحدث الناس أربعة أشياء : المناخل ، والشيع ، وغسل اليدين بالأشنان بعد الطعام والأكل على الموائد وهذا كله إن ثبت نقلا ليس ببدعة وإنما يرجع إلى أمر آخر وإن سلم أنه بدعة فلانسلم أنها مباحة بل هي ضلالة ومنهى عنها ولكننا لا نقول بذلك ، هذا ما أجاب به الشاطبي عن كلام القرافي اجمالا وتفصيلا وقد أجاد فيه وأما تقسيم العز بن عبد السلام شيخ القرافي البدعة إلى الاقسام الخمسة فقد أجاب عنه العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي في الجزء الأول من الاعتصام ص ١٥٥-١٦٧ قال في الجواب عن أمثلة الواجب مانصه فأمثلة الواجب منها من قبيل ما لا يتم الواجب الا به كما قال فلا يشترط أن يكون معمولاً به في السلف ولا أن يكون له أصل في الشريعة على الخصوص لأنه من باب المصالح المرسلة لا البدع أما هذا الثاني فقد تقدم وأما الأول فلأنه لو كان ثم من يسير إلى فريضة الحج طيرانا في الهواء او مشيا على الماء لم يعد مبتدعا بمشيه كذلك لأن المقصود إنما هو التوصل إلى مكة لأداء الفرض وقد حصل على الكمال فكذلك هذا على أن هذه أشياء قد ذمها بعض من تقدم من المصنفين في طريقة التصوف وعدها من جملة ما ابتدع الناس وذلك غير صحيح ويكفي في رده اجماع الناس قبله على خلاف ما قال على أنه نقل عن القاسم بن غيمرة أنه ذكرت عنده العربية فقال: أولها كبر وآخرها بغى وحكى أن بعض السلف قال: النحو يذهب الخشوع من القلب ومن أراد أن يزدرى الناس كلهم فلينظر في النحو ونقل نحو من هذه وهذه كلها لادليل فيها على الذم لأنه لم يذم النحو من حيث هو بدعة بل من حيث يكتسب به أمر زائد كما يذم سائر علماء السوء لا لأجل علومهم بل لأجل ما يحدث لهم بالعرض من الكبر به والعجب وغيرهما ولايلزم من ذلك كون العلم بدعة فتسمية العلوم التي يكتسب بها

أمر مذموم بدعا إما على المجاز المحض من حيث لم يحتاج إليها أولا ثم احتيج بعد أو من عدم المعرفة بموضوع البدعة إذ من العلوم الشرعية ما يداخل صاحبها الكبر والزهو وغيرهما ولا يعود ذلك عليها بدم ومما حكى بعض هذه المتصوفة عن بعض علماء الخلف أنه قال: العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف. فأما الأربعة المعروفة فعلم الإيمان وعلم القرآن وعلم الآثار والفتاوى، وأما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر. وهذا إن صح نقله فليس أولا كما قال فإن أهل العربية يحكون عن أبي الأسود الدؤلي أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه هو الذى أشار عليه بوضع شيء في النحو حين سمع أعرابيا قارئا «ان الله برىء من المشركين ورسوله» بالجر. وقد روى عن ابن ابي مليكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر أن لا يقرأ القرآن الا عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو والعروض من جنس النحو. وإذا كانت الإشارة من واحد من الخلفاء الراشدين صار النحو والنظر في الكلام العربى من سنة الخلفاء الراشدين وإن سلم أنه ليس كذلك فقاعدة المصالح تعم علوم العربية أى تكون من قبيل المشروع فهى من جنس كتب المصحف وتدوين الشرائع. وما ذكر عن القاسم بن غيمرة قد رجع عنه قال أحمد بن يحيى ثعلب قال كان أحد الأئمة في الدين يعيب النحو ويقول أول تعلمه شغل وآخره يزدري العالم به الناس فقراً يوماً «إنما يخشى الله من عباده العلماء» برفع «الله» ونصب «العلماء» فقليل له كفرت من حيث لا تعلم تجعل الله يخشى العلماء فقال لاطنعت عن علم يدل إلى معرفة هذا أبداً «قال عثمان بن سعيد الداني الإمام الذى ذكره أحمد بن يحيى هو القاسم بن غيمرة قال «وقد جرى لعبد الله بن أبى إسحاق مع محمد بن سيرين كلام وكان ابن سيرين يتنقص النحويين فاجتمعا في جنازة فقراً ابن سيرين «إنما يخشى الله من عباده العلماء» برفع اسم الله فقال له ابن أبى إسحاق كفرت يا أبا بكر تعيب على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله فقال ابن سيرين إن كنت أخطأت فأستغفر الله.

وأجاب الشاطبى عما ذكره العز بن عبد السلام في شأن احداث المدارس بقوله (أما المدارس فلم يتعلق بها أمر تعبدى يقال في مثله بدعة الاعلى فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم الا في المساجد وهذا لا يوجد بل العلم كان في الزمان الأول يبث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر أو غير ذلك حتى في الأسواق فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعنى باعدادها الطلبة فلا يزيد

ذلك على اعداده له منزلا من منازل أو حائطا من حوائطه أو غير ذلك ، قال «وإن قيل ان البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره فالتخصيص هاهنا ليس بتخصيص تعبدى وإنما هو تعيين بالحبس كما تتعين سائر الأمور المحبسة وتخصيصها ليس ببدعة فكذلك مانحن فيه بخلاف الربط فانها خصت تشبيها بالصفة بها للتعبد فصارت تعبدية بالقصد والعرف حتى إن ساكنيها مباينون لغيرهم في النحلة والمذهب والزى والاعتقاد».

وأجاب عما ذكره العز بن عبد السلام في بناء القناطر بأنه راجع إلى اصلاح الطرق وإزالة المشقة عن سالكها قال «وله أصل في شعب الايمان وهو إمالة الأذى عن الطريق فلا يصح أن يعد في البدع بحال» وعلق على تمثيل العز للبدعة المندوبة بكل احسان لم يعهد في العصر الأول علق عليه بقوله مانصه (قوله — أى العز — وكل احسان لم يعهد في العصر الأول فيه تفصيل فلا يخلو الاحسان المفروض ان يفهم من الشريعة أنه مقيد بقيد تعبدى أولا فإن كان مقيدا بالتعبد الذى لا يعقل معناه فلا يصح أن يعمل به إلا على ذلك الوجه وإن كان غير مقيد في أصل التشريع بأمر تعبدى فلا يقال إنه غير بدعة على أى وجه وقع الا على أحد ثلاثة أوجه. أحدها أن يخرج اصلا شرعيا مثل الاحسان المتبع بالمن والأذى والصدقة من المديان المضروب على يده وما أشبه ذلك ويكون اذذاك معصية والثاني أن يلتزم على وجه لا يتعدى بحيث يفهم منه الجاهل أنه لا يجوز إلا على ذلك الوجه فحينئذ يكون الالتزام المشار إليه البدعة بل بدعة مذمومة وضلالة فلا تكون اذذاك مستحبة. والثالث أن يجرى على رأى من يرى المعقول المعنى وغيره بدعة مذمومة كمن كره تنخيل الدقيق في الصيغة فلا تكون عنده البدعة مباحة ولا مستحبة».

وأجاب عما ذكره العز في صلاة التراويح بأنه قد تقدم الكلام عليها — أى في رده على القرافى فلاحاجة إلى اعادته وأجاب الشاطبى عما ذكره العز في علم المقاييس وعلم المعقول بقوله «أما علم المقاييس فأصله في السنة ثم في علم السلف بالقياس ثم قد جاء في ذم القياس أشياء حملوها على القياس الفاسد فذلك من قبيل النظر في الأدلة وقد كان السلف الصالح يجتمعون للنظر في المسائل الاجتهادية التي لانص فيها للتعاون على استخراج الحق فهو من قبيل التعاون على البر والتقوى ومن قبيل المشاورة المأمور بها فكلاهما مأمور به. وأما علم المعقول بالنظر فأصل ذلك في الكتاب والسنة لأن الله تعالى احتج في القرآن على المخالفين لدينه بالأدلة العقلية كقوله «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» وقوله «هل من شركائكم من يفعل من

ذلكم من شيء» وقوله «أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات» وحكى عن ابراهيم عليه السلام محاجته للكفار بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) الخ وفي الحديث حين ذكرت العدوى «فمن أعدى الأول» إلى غير ذلك من الأدلة فكيف يقال إنه من البدع.

وأجاب عن قول عز الدين إن الرد على القدرية وكذا غيرهم من أهل البدع من البدع الواجبة بأنه غير جار على الطريق الواضح ولو سلم فهو من المصالح المرسلة قال وأما أمثلة البدع المحرمة فظاهرة.

وأجاب عن تمثيل العزبن عبد السلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بأحداث الربط.

أجاب عنه بقوله (إن عني بالربط ما بنى من الحصون والقصور قصدا للرباط فيها فلا شك أن ذلك مشروع بشرعية الرباط ولا بدعة فيه وإن عني بالربط ما بنى لالتزام سكنها قصد الانقطاع إلى العبادة لأن إحداث الربط التي شأنها أن تبني تديننا للمنقطعين للعبادة في زعم المحدثين ويوقف عليها أوقاف يجرى منها على الملازمين لها ما يقوم بهم في معاشهم من طعام ولباس وغيرها لا يخلو أن يكون لها أصل في الشريعة أم لا فإن لم يكن لها أصل دخلت في الحكم تحت قاعدة البدع التي هي ضلالات فضلا عن أن تكون مباحة فضلا عن أن تكون مندوبا إليها وإن كان لها أصل فليست ببدعة فإدخالها تحت جنس البدع غير صحيح» ولم يكتف الشاطبي بهذا بل أضاف إليه تفنيد القول بأن حال أهل تلك الربط يشبه حال أهل الصفة واجاد الكلام في ذلك غاية الاجادة ونص كلامه:-

«إن كثيرا ممن تكلم على هذه المسألة من المصنفين في التصوف تعلقوا بالصفة التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع فيها فقراء المهاجرين وهم الذين نزل فيهم» (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية وقوله تعالى «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» الآية فوصفهم الله بالتعب والانقطاع إلى الله بدعائه قصداً لله خالصا فدل على أنهم انقطعوا لعبادة الله بدعائه قصداً لله لا يشغلهم عن ذلك شاغل فنحن إنما صنعنا صفة مثلها أو تقاربها يجتمع فيها من أراد الانقطاع إلى الله ويلتزم العبادة ويتجرد عن الدنيا والشغل بها وذلك كان شأن الأولياء ينقطعون عن الناس ويشغلون باصلاح بواطنهم ويولون وجوههم شطر الحق فهم على سيرة من تقدم وإنما يسمى ذلك بدعة باعتبار ما

بل هي سنة وأهلها متبعون للسنة فهي طريقة خاصة لأناس ولذلك لما قيل لبعضهم في كم تجب الزكاة قال: على مذهبنا أم على مذهبكم ثم قال: أما على مذهبنا فالكل لله وأما على مذهبكم فكذا وكذا أو كما قال. وهذا كله من الأمور التي جرت عند كثير من الناس هكذا غير محققة ولا منزلة على الدليل الشرعي ولا على أحوال الصحابة والتابعين ولا بد من بسط طرف من الكلام في هذه المسألة بحول الله حتى يتبين الحق فيها لمن أنصف ولم يغالط نفسه وبالله التوفيق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة كانت الهجرة واجبة على كل مؤمن بالله ممن كان بمكة أو غيرها فكان منهم من احتال على نفسه فهاجر بماله أو شيء منه فاستعان به لما قدم المدينة في حرفته التي كان يحترف من تجارة أو غيرها كأبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه هاجر بجميع ماله وكان خمسة آلاف. ومنهم من فر بنفسه ولم يقدر على استخلاص شيء من ماله فقدم المدينة صفر اليدين وكان الغالب على أهل المدينة العمل في حوائطهم وأموالهم بأنفسهم فلم يكن لغيرهم معهم كبير فضل في العمل وكان من المهاجرين من أشركهم الأنصار في أموالهم وهم الأكثرون بدليل قصة بنى النضير فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال للأنصار إن شئتم قسمتها بين المهاجرين وتركتم نصيبكم فيها وخلاً المهاجرين بينكم وبين دوركم وأحوالكم فإنهم عيال عليكم فقالوا نعم ففعل ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم غير أنه أعطى أبادجانة وسهل بن حنيف وذكر أنهم فقراء وقد قال المهاجرون أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله مارأينا قوما أبذل لكثير ولا أحسن مواساة بقليل من قوم نزلنا بين أظهرهم يعنون الأنصار لقد كفونا المؤنة وشاركونا في المهنة حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامادعوتكم الله لهم وأئنيتم عليهم. ومنهم من كان يلتقط نوى التمر فيرضها ويبيعها علفا للابل ويتقوت من ذلك الوجه ومنهم من لم يجد وجهها يكتسب به لقوت ولا لسكنى فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في صفة كانت في مسجده وهي سقيفة كانت من جلته إليها يأوون وفيها يقعدون إذ لم يجدوا مالا ولا أهلاً وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحض الناس على اعانتهم والاحسان إليهم وقد وصفهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إذ كان من جلته وهو أعرف الناس بهم قال في الصحيح: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته يعنى النبي صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فوصفهم

بأنهم أضياف الإسلام وحكم لهم كما ترى بحكم الأضياف وإنما وجبت الضيافة في الجملة لأن من نزل بالبادية لا يجد منزلاً ولا طعاماً لشراء إذ لم يكن لأهل الوبر أسواق ينال منها ما يحتاج إليه من طعام يشتري ولا خانات يؤوى إليها فصار الضيف مضطراً وإن كان ذا مال فوجب على أهل الموضع ضيافته وإيواءه حتى يرتحل فإن كان لا مال له فذلك أخرى فكذلك أهل الصفة لما لم يجدوا منزلاً آواهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد حتى يجدوا كما أنهم حين لم يجدوا ما يقوتهم ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اعانتهم وفيهم نزل قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض» إلى قوله — للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ، الآية فوصفهم الله تعالى بأوصاف منها أنهم أحصروا في سبيل الله أى منعوا وحبسوا حين قصدوا الجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم كأن العدو أحصرهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض لا لاتخاذ المسكن ولا للمعاش كأن العدو قد أحاط بالمدينة فلاهم يقدرّون على الجهاد حتى يكسبوا من غنائمه ولاهم يتفرغون للتجارة أو غيرها لخوفهم من الكفار ولضعفهم في أول الأمر فلم يجدوا سبيلاً للكسب أصلاً وقد قيل إن قوله تعالى (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أنهم قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى وفيهم أيضاً نزل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) ألا ترى كيف قال «أخرجوا» ولم يقل خرجوا فإنه قد كان يحتمل أن يخرجوا اختياراً فبان أنهم أخرجوا منها اضطراراً ولو وجدوا سبيلاً أن لا يخرجوا لفعلوا ففيه دليل على أن الخروج من المال اختياراً ليس بمقصود للشارع وهو الذى تدل عليه أدلة الشريعة فلاجل ذلك بوأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفة فكانوا في أثناء ذلك ما بين طالب للقرآن والسنة كأبى هريرة فإنه قصر نفسه على ذلك ألا ترى إلى قوله في الحديث (وكنتم ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا) وكان منهم من يتفرغ إلى ذكر الله وعبادته وقراءة القرآن فإذا غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاه معه وإذا أقام أقام معه حتى فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين فصاروا إلى ما صار الناس إليه غيرهم من كان ذا أهل ومال وطلب للمعاش واتخاذ المسكن لأن العذر الذى حبسهم في الصفة قد زال فرجعوا إلى الأصل لما زال العارض فالذى تحصل أن القعود في الصفة لم يكن مقصوداً لنفسه ولابناء الصفة للفقراء مقصوداً بحيث يقال إن ذلك مندوب إليه لمن قدر عليه ولا هى رتبة شرعية تطلب بحيث يقال إن ترك الاكتساب والخروج عن المال والانقطاع إلى الزوايا يشبه حالة أهل الصفة وهى الرتبة

العليا لأنها تشبه بأهل صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية فإن ذلك لم يكن على مازعم هؤلاء بل كان على ماتقدم . والدليل من العمل ان المقصود بالصفة لم يدم ولم يثابر أهلها ولاغيرهم على البقاء فيها ولا عمرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة لكانوا هم أحق بفهمها أولاً ثم باقامتها والمكث فيها عن كل شغل وأولى بتجديد معاهدها لكنهم لم يفعلوا ذلك البتة فالتشبه بأهل الصفة إذا في إقامة ذلك المعنى واتخاذ الزوايا والربط لايصح فليفهم الموفق هذا الموضع فإنه مزلة قدم لمن لم يأخذ دينه عن السلف الأقدمين والعلماء الراسخين ولايظن العاقل أن القعود عن الكسب ولزوم الربط مباح أو مندوب إليه أفضل من غيره إذ ليس ذلك بصحيح ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ولاكفى المسكين المغتر بعمل الشيوخ المتأخرين أن صدور هذه الطائفة المتصفين بالصوفية لم يتخذوا رباطاً ولازاوية ولابنوا بناء يضاهون به الصفة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا كالفضيل ابن عياض وابراهيم بن أدهم والجنيد وابراهيم الخواص والحارث المحاسبى والشبلى وغيرهم ممن سابق في هذا الميدان وانما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوا السلف الصالح وخالفوا شيوخ الطريقة التي انتسبوا اليها ولاتوفيق إلا بالله».

وأجاب الشاطبى عن تمثيل العز بن عبد السلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بالكلام في دقائق التصوف.

أجاب عنه بأن الكلام في دقائق التصوف ليس ببدعة باطلاق ولاهو مما صح بالدليل باطلاق بل الأمر ينقسم ثم قال (١) «لفظ التصوف لابد من شرحه أولاً حتى يقع الحكم على أمر مفهوم لأنه أمر مجمل عند هؤلاء المتأخرين فلنرجع إلى ماقال فيه المتقدمون وحاصل مايرجع فيه لفظ التصوف عندهم معنيان: أحدهما التخلق بكل خلق سنى والتجرد عن كل خلق دنى والآخر أنه الفناء عن نفسه والبقاء لربه وهما في التحقيق إلى معنى واحد إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية والآخر يصلح التعبير به عن النهاية وكلاهما اتصاف الا أن الأول لايلزمه الحال والثانى يلزمه الحال وقد يعبر فيهما بلفظ آخر فيكون الأول عملاً تكليفياً والثاني نتيجة ويكون الاول اتصاف الظاهر والثاني اتصاف الباطن ومجموعهما هو التصوف. وإذا ثبت هذا

(١) الاعتصام ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٦.

فالتصوف بالمعنى الأول لابدعة في الكلام فيه لأنه إنما يرجع إلى تفقه يبنى عليه العمل وتفصيل آفاته وعوارضه وأوجه تلافي الفساد الواقع فيه بالإصلاح وهو فقه صحيح وأصوله في الكتاب والسنة ظاهرة فلا يقال في مثله بدعة إلا إذا أطلق على فروع الفقه التي لم يلف مثلها في السلف الصالح أنها بدعة كفروع أبواب السلم والاجارات والجراح ومسائل السهو والرجوع عن الشهادات وبيع الآجال وما أشبه ذلك. وليس من شأن العلماء إطلاق لفظ البدعة على الفروع المستنبطة التي لم تكن فيما سلف وإن دقت مسائلها فكذلك لا يطلق على دقائق فروع الأخلاق الظاهرة والباطنة أنها بدعة لأن الجميع يرجع إلى أصول شرعية. وأما بالمعنى الثاني فهو على ضرب: أحدها يرجع إلى العوارض الطارئة على السالكين إذا دخل عليهم نور التوحيد الوجداني فيتكلم فيها بحسب الوقت والحال وما يحتاج إليه في النازلة الخاصة رجوعاً إلى الشيخ المربي وما بين له في تحقيق مناطها بفراسته الصادقة في السالك بحسبه وبحسب العارض فيداويه بما يليق به من الوظائف الشرعية والأذكار الشرعية أو باصلاح مقصده إن عرض فيه العارض فقلما يطرأ العامل بل العارض إلا عند الاختلال ببعض الأصول الشرعية التي بنى عليها في بدايته فقد قالوا: إنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول فمثل هذا لابدعة فيه لرجوعه إلى أصل شرعى ففى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ناس من أصحابه رضى الله عنهم فقالوا يارسول الله إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به أو الكلام به مانحب أن لنا وأنا تكلمنا به قال: أو قد وجدتموه قالوا نعم قال: «ذاك صريح الايمان» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن احداً يجد في نفسه يعرض بالشيء لأن يكون جمعة أحب إليه من أن يتكلم به قال «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة» وفي حديث آخر «من وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله» وعن ابن عباس رضى الله عنهما في مثله: إذا وجدت شيئاً من ذلك فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» إلى أشباه ذلك وهو صحيح ملبح. والثاني يرجع إلى النظر في الكرامات وخوارق العادات وما يتعلق بها مما هو خارق في الحقيقة أو غير خارق وما هو منها يرجع إلى أمر نفسى أو شيطانى أو ما أشبه ذلك من أحكامها. فهذا النظر ليس ببدعة كما أنه ليس ببدعة النظر في المعجزات وشروطها والفرق بين النبي والمتنبى وهو من علم الأصول فحكمه حكمه. والضرب الثالث ما يرجع إلى النظر في مدركات النفوس من العالم الغائب وأحكام

التجريد النفسى والعلوم المتعلقة بعالم الأرواح وذوات الملائكة والشياطين والنفوس الإنسانية والحيوانية وما أشبه ذلك وهو بلاشك بدعة مذمومة إن وقع النظر فيه والكلام عليه بقصد جعله علما ينظر فيه وفنا يشتغل بتحصيله بتعلم أو رياضة فإنه لم يعهد مثله في السلف الصالح وهو في الحقيقة نظر فلسفى إنما يشتغل باستجلابه والرياضة لاستفادته أهل الفلسفة الخارجون عن السنة المعدودون في الفرق الضالة فلا يكون الكلام فيه مباحا فضلا عن أن يكون مندوبا إليه. نعم قد يعرض للسالك فيتكلم فيه مع المربى حتى يخرج من طريقه ويبعد بينه وبين فريقه لما فيه من إمالة مقصد السالك إلى أن يعبد الله على حرف زيادة إلى الخروج عن الطريق المستقيم بتبعه والالتفات إليه إذ الطريق مبنى على الاخلاص التام بالتوجه الصادق وتجريد التوحيد عن الالتفات إلى الأغيار وفتح باب الكلام في هذا الضرب مضاد لذلك كله والضرب الرابع يرجع إلى النظر في حقيقة الفناء من حيث الدخول فيه والاتصاف بأوصافه وقطع أطماع النفس عن كل جهة توصل إلى غير المطلوب وإن دقت فإن أهواء النفوس تدق وتسرى مع السالك في المقامات فلا يقطعها إلا من حسم مادتها وبت طلاقها وهو باب الفناء المذكور وهذا نوع من أنواع الفقه المتعلق بأهواء النفوس ولا يبعد من البدع لدخوله تحت جنس الفقه لأنه وإن دق راجع إلى ما جل من الفقه ودقته وجلته إضافيان والحقيقة واحدة. ثم أقسام أخر جميعها إما يرجع إلى فقه شرعى حسن في الشرع ولما إلى ابتداع ليس بشرعى وهو قبيح في الشرع.

وقال الشاطبى في الرد على كلام الغزبن عبد السلام في الجدل وجمع المحافل للاستدلال قال (أما الجدل وجمع المحافل للاستدلال على المسائل فقد مر الكلام فيه) أى في الرد على القرافى ، وقال في الرد على عبد السلام زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتلحين القرآن من البدع المكروهة قال (إن أراد مجرد الفعل من غير اقتران أمر آخر فغير مسلم وإن أراد مع اقتران أصل التشريع فصحيح ما قال ان البدعة لا تكون بدعة الا مع اقتران هذا القصد فإن لم يقترب فهو منتهى عنها غير بدعة.

وقال في الرد على عبد المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر من أمثلة البدع المباحة قال (أما انها بدعة فمسلم وأما انها مباحة فممنوع إذ لا دليل في الشرع يدل على تخصيص تلك الأوقات بها بل هى مكروهة إذ يخاف بدوامها إلحاقها بالصلوات المذكورة.

وقال في الرد على عبد التوسع في الملذات من البدع المباحة (قد تقدم ما فيه)

بشير بذلك الى قوله ص ١٥٥ في الرد على عد القراني المناخل في قسم المباح مانصه (ليست — أى المناخل — في الحقيقة من البدع بل هى من باب التنعم ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الاسراف في المأكول لأن الاسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية».

هذا آخر جواب الشاطبى عن كلام العز بن عبد السلام وقد وضع منه كما ذكره الشاطبى ص ١٦٧ ج ١ أن البدع لا تنقسم إلى ذلك الانقسام بل هى من قبيل المنهى عنه إما كراهة واما تحريما.

وأما دعوى الشيخ محمد بن علوى أنه لو كانت كل بدعة محرمة لوجب علينا حرب الكفار بالسهم والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والأساطيل» فالجواب عليها بما بينه الإمام ابن القيم في كتابه «الفروسية» ص ١٠١ حيث قال في القسى الفارسية «الصواب المقطوع به أنه لا يكره الرمى بها ولا النضال عليها وقد انعقد إجماع الأمة على إباحة الرمى بها وحملها وهى التي يقع بها الجهاد في هذه الأعصار، وبها يكسر العدو وبها يعز الإسلام ويرعب المشركون . والمقصود نصره الدين وكسر أعدائه لا عين القوس وجنسها وقد قال تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» والرمى بهذه القسى من القوة المعدة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ارموا واركبوا وأن ترموا أحب الي من أن تركبوا» ولم يخص نوعا من نوع وليس هذا الخطاب مختصا بالصحابة بل هو لهم وللأمة إلى يوم القيامة فهو أمر كل طائفة بما اعتادوه من الرمى والقسى والأحاديث التي تقدمت في فضل الرمى وتبليغ العدو السهام عامة في كل نوع فلا يدعى فيها التخصيص بغير موجب. وأما النهي عنها — أى القسى الفارسية — (١) إن صح فذاك في وقت مخصوص وهو حين كانت العرب هم عسكر الإسلام وقسيهم العربية — فكلامهم بالعربية وأدواتهم عربية وفروسياتهم عربية وكان الرمى بغير قسيهم والكلام بغير لسانهم حينئذ تشبها بالكفار من العجم وغيرهم أما في هذه الأزمان فقسى عسكر الإسلام الفارسية أو التركية وكلامهم وأدواتهم وفروسياتهم العربية فلو كره لهم ذلك ومنعوا منه فسدت الدنيا والدين وتعطل سوق الجهاد واستولى الكفار على المسلمين وهذا من أبطل الباطل فإن صح الخبر فالنبي صلى الله عليه وسلم لعنها وأمر بالقائها حين لم يكن العجم والترك قد أسلموا

(١) وكان ابن القيم قد قال قبل ذلك بعد أن ذكر أن الإمام أحمد نص على جواز المسابقة بالقسى الفارسية وأباح الرمى بها قال مانصه «قال أبو بكر من أصحابنا يكره واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى مع رجل قوسا فارسية فقال «ألقها فانها ملعونة».

فهى كانت شعارا للكفار والمشركين أو منع الرجل من حملها لعدم أهل الإسلام حينئذ ولهذا قال «عليكم برماح القنا» فلم تستعمل الرماح حينئذ واستعمل معهم ما يخافون شوكته من السلاح ومن هذا لو حاصرنا حصنا فقوس الجرخ فيه أنفع من قوس اليد لكان الرمي بقوس الجرخ فيه أولى من الرمي بقوس اليد بل كان يتعين فإن كان الرمي بالمنجنيق أدعى إلى فتحه كان أولى من النشاب وحده والكافر عدو والمقصود قتله كيفما أمكن كقتل الحية والكلب العقور فكل طائفة من المسلمين الأفضل في حقها أن تقاتل بما اعتادته من القسي والآلات وأنواع الحرب والقتال ولو كانت عساكر الإسلام اليوم تقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القسي الفارسية وينصر الله ورسوله بها لمدحها وأثنى عليها ولم ينههم عنها وبالله التوفيق».

ومن أحسن ما جاء في الرد على تقسيم البدعة إلى الاحكام الخمسة قول الإمام تقي الدين ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٢٧٤-٢٧٥ «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلية وهى قوله «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة فإن هذا إلى مشاققة الرسول أقرب منه إلى التأويل بل الذى يقال فيما يثبت به حسن الاعمال التى قد يقال هى بدعة إن هذا العمل المعين مثلا ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذى هو أقوم من العموم مع أن الجواب الأول أجود وهذا الجواب فيه نظر فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة فلا يعدل عن مقصوده بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قول السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه ص ١٣٧٨-١٣٧٩ في البدع مانصه (منها ما يكون كفرا أو وسيلة إلى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه. وليس في البدع الشرعية شىء جائز كان يكون مباحا لأنها لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في «الفتاوى الحديثية» ص ٢٠٦ وأما البدعة غير الشرعية فهى التى قالوا إنها تنقسم إلى الاحكام الخمسة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من «الفتاوى الحديثية» أيضا ولكنه أخطأ في بعض الأمثلة وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبى هذا البحث تفصيلا تاما في كتابه «الاعتصام» وسبق لنا نقل كثير من فصوله ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحدينسب إلى الإسلام مبلغا حمله على القول بأن العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها وبعد أن أثنى الشيخ رشيد رضا على فتوى

للشيخ سليم البشرى جيدة في التحذير من العمل بالبدع الشرعية قال «لكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا يؤثر الفتاوى الفردية يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الأربعة في الأزهر ويأمرها بإحصاء البدع الفاشية في المساجد والأضرحة والموائد وغيرها وتألّف رسائل في التنفير منها تطبع ويذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها وأن يعهد إلى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من يخالفها ويمكن طبع الألوف من هذه الرسائل على نفقة الأوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن وأن يعهد إلى بعض المنشئين المجيدين بإنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الأوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع ويسهل عليه أيضا أن يتوسل بالحكومة إلى إبطال كثير من تلك البدع ولاسيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها فعسى الله أن يوفق الشيخ إلى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق.

فصل فيما ترتب على الاحتفال بذلك اليوم من أمور خطيرة ومفاسد كثيرة

ترتب على الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى أمور خطيرة ومفاسد كثيرة. فمن الأمور الخطيرة التي ترتبت عليه صدور أوامر من بعض الولاة في العصور المتأخرة بتصيير ذلك اليوم عيداً وورود تصريحات من بعض أهل العلم المشجعين على الاحتفال بذلك اليوم باعتباره عيداً وعلى سبيل التمثيل لذلك لا الحصر أورد مايلي:

١ — ماورد في الجزء الثانى من «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» للشيخ أحمد بن خالد الناصرى السلاوى ج ٢ ص ٤٣ ونصه (في سنة إحدى وسبعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال به وصيره عيداً من الأعياد في جميع بلاده وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصيرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل برسم إقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر» هكذا ورد في الاستقصاء وذكر السلاوى بعد ذلك أن بنى العزفى أصحاب ستة سبقوا السلطان يوسف إلى عمل المولد ثم قال «فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله أعلم».

٢ — ماجاء في المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٤٦ ونصه «لقد أحسن الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف ابن الشيخ أبى الحسن علي ابن الشيخ أبى مروان عبد الملك البكرى عرف بابن السماط .. حيث قال:

أعلمت أنك يارب ربيع الأول	تاج على هام الزمان مكلل
مستعذب الامام مرتقب اللقا	كل الفضائل حين تقبل تقبل
ماعدت إلا كنت عيداً ثالثاً	بل أنت أحلى في العيون وأجل
شرفاً بمولد مصطفى لما بدا	أخفى الأهلة وجهه المتهلل الخ

نقل عنه هذه الأبيات ابن الحاج في الجزء الثانى من المدخل ص ٤٦ رغم أن ابن الحاج نفسه قد جزم بأن المواسم التي لم تثبت شرعاً هي بين مواسم تنسب

إلى الشرع وليست منه وبين مواسم تشبه اصحابها فيها بالتصاري (١) وقد أطلال في تفصيل ذلك.

٣ — ماجاء في الإعلام بإعلام بيت الله الحرام للشيخ قطب الدين الحنفى ص ١٩٦ في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوى ونصه «كيف لايفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لايجعلونه عيداً من أكبر أعيادهم.

٤ — ماورد في كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» للسخاوى ص ١٤ بصدد كلامه على الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى ونصه (وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر) وقد تعقبه الملا على القارىء في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٢٩—٣٠ بقوله (قلت مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب) ١٠١ هـ كلام علي القارى جزاء الله عنه خير الجزاء.

وعلى أساس اعتبار ذلك اليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى عيداً أفتى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه كما بينه الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسى المعروف بالخطاب في «مواهب الجليل شرح مختصر خليل حيث قال قال الشيخ زروق في شرح القرطبية صيام يوم المولد كرهه بعض من قرب عصره ممن صح علمه وورعه قال انه من أعياد المسلمين فينبغى أن لايصام فيه وكان شيخنا أبو عبد الله القورى يذكر ذلك كثيراً ويستحسنه انتهى قلت — القائل الخطاب — لعله — أى زروق — يعنى ابن عباد فقد قال في رسائله الكبرى مانصه «وأما المولد فالذى يظهر لى أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل مايفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشع وامتناع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لاينكر على أحد قياساً على غيره من أوقات الفرح. والحكم بكون هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذى ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع فيه ظلام الكفر والجحود وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم الشرعية لأهل الايمان ومقارنة ذلك بالنيروز

(١) راجع المدخل ج ٢ ص ٢٧٦ — ٣٠٥.

والمهرجان أمر مستثقل تشمئز منه القلوب السليمة وتدفعه الآراء المستقيمة (١). ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر فاتفق أن وجدت هناك سيدى الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه وقد أخرج بعضهم طعاما مختلفا ليأكلوه هناك فلما قدموه لذلك أرادوا منى مشاركتهم في الأكل وكنت إذذاك صائما فقلت لهم اننى صائم فنظر الي سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لى مامعناه إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة العيد فتأملت كلامه فوجدته حقا وكأننى كنت نائما فأيقظنى . انتهى ما في مواهب الجليل شرح مختصر خليل ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ وماظنه من أن ابن عباد هو الذى جرت تلك القضية بينه وبين ابن عاشر جزم به الشيخ أحمد بابا التبنكى في «الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب ص ٧١ والشيخ أحمد بن خالد الناصرى السلاوى في الجزء الثاني من «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ص ١٤٤. قال الشيخ أحمد بابا «قال ابن عباد في رسائله كنت قدما خرجت يوم مولده صلى الله عليه وسلم إلى ساحل البحر فوجدت هناك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الأكل فقلت إننى صائم فنظر إلي السيد الحاج نظرة منكرة وقال: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت مقاله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم».

وقال السلاوى في ترجمة ابن عباد (٢) مانصه «من فوائده التى نقلها عن شيخه

(١) ورد في تعليق بعض الفضلاء على كلام ابن عباد هذا مانصه «يحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة ولايجوز تعظيم نبي الله تعالى إلا بما يرضيه ويرضى الله تعالى بل تنبغى الصدقة في السر بما يعمل في تلك الايام من الأطعمة فإن ذلك أسلم من فساد النيات ومن حضور الجماعات» ذكر ذلك صاحب «المعيار» ج ١١ ص ٢٧٦ كما ذكر في الجزء الثاني من «المعيار» ص ٤٧١-٤٧٢ أن ايقاد الشمع ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم وليلة سابعه بدعة وأن فيه مفساد ، ثم قال «وقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوختنا الشيخ المحصل العالم ابو عبد الله سيدى محمد بن مرزوق برد الله ضيعته وأسكنه جنته فانقطعت تلك المفاصد من تلمسان طول حياته رحمه الله ثم عادت بموته رحمه الله بل زادت».

(٢) للشيخ ابن عباد خطبة مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس يقرأون منها مايتعلق بالمولد النبوى الشريف بين يدى السلطان تبركا بها ويقرؤونها في المجتمعات في المواسم كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما كرمضان ذكر ذلك المقرئ في ترجمة ابن عباد من نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٥ ص ٣٤٩-٣٥٠ قال «وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ - أي ابن عباد - في المولد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بين يدى مولانا السلطان أحمد المنصور بالله الشريف الحسنى رحمه الله تعالى وقد احتفل لذلك المولد بأمر يستغرب وقوعها.

ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال : كنت قدماً خرجت في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم صائماً إلى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الأكل فقلت إننى صائم فنظر إلي سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لى هذا يوم فرح وسرور يستقيح في مثله الصوم كالعيد فتأملت قوله فوجدته حقاً وكأنه أيقظنى من النوم» ١٠١هـ. وقد اغتر بهذه الفتوى الحاطنة الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي حيث قال في حاشيته على شرح الدردير لمختصر خليل ج ١ ص ٤٧٤ في باب الصيام «تنبيه من جملة الصيام المكروه كما قاله بعضهم صوم يوم المولد المحمدى الحاقاً له بالأعياد» ولاشك في ان اعتبار ذلك اليوم عيداً بدعة كما أوضحه الإمام الشاطبى في الاعتصام ج ١ ص ٢٠. فقد قال في تعريف البدعة على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات مانصه «فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وقال في تعريفها على رأى من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية» ثم قال بعد إيراد هذين التعريفين مانصه «قوله في الحد «تضاهى الشرعية» يعنى أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هى مضادة لها من أوجه متعددة، وذكر من أمثلة ذلك اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً» ١٠١هـ.

كما لا شك في أن منع صوم اليوم الموافق ليوم المولد النبوى لو كان معلوماً مخالف لما خرج به مسلم في صحيحه من حديث أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال «ذاك يوم ولد فيه وأنزلت علي فيه النبوة» فإن في إجابة النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن صيام يوم الاثنين بهذا الجواب كما في «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» لابن رجب ص ٩٨ إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده (١) فإن أعظم نعم الله على هذه الامة إظهار محمد صلى الله عليه

(١) هذا هو الصواب لا قول الشيخ محمد بن علوى المالكي في ص ٧ من رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وفي ص ١٠ من مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى وفي ص ٦ من مقدمته لطبعة مولد ابن الدبيع تحت عنوان «مختصر في السيرة النبوية» في كلامه على حديث أبى قتادة الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال «فيه ولدت وفيه أنزل علي» قال في كلامه عليه (هذا في معنى الاحتفال به الا ان الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام او إطعام طعام او اجتماع على ذكر او صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم او سماع شمائله الشريفة.

وسلم لهم وبعثته وإرساله اليهم» ومر إلى أن قال (فأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضى لعباده وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجدها بالشكر، ثم قال (ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحا من الغرق ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم فصامه نوح وموسى شكراً لله فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله وقال لليهود نحن أحق بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه»، وهذه الرواية التي أشار إليها ابن رجب هنا عزها إلى مسند أحمد قبل ذلك في المجلس الثاني في يوم عاشوراء ص ٤٦ من «لطائف المعارف» ولفظه «وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناث من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: ما هذا الصوم قالوا: هذا اليوم الذى نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبنى إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم» ولو استغنى ابن رجب عن هذه الرواية بحديث ابن عباس في الصحيحين قال «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذى تصومونه قالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا ف نحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه» أقول لو استغنى ابن رجب بهذه الرواية عن تلك الرواية التي ورد فيها ذكر نوح لأجاد فإن ذكر نوح فيها غريب كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى (واستوت على الجودى قال ج ٢ ص ٤٤٧) قال الإمام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي (١) عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى

(١) عبد الصمد بن حبيب الأزدي الذي جاء ذكر نوح في حديث صوم يوم عاشوراء من روايته هو وإن قال فيه يحيى بن معين لأبأس به فقد قال أحمد والبخارى فيه لين الحديث وقال البخارى هو عبد الصمد بن أبى الخثر الراسبي وذكره أحمد فوضع من أمره» ووالده حبيب بن عبد الله مجهول في زمن التابعين روى عنه ابنه عبد الصمد وحده ذكر ذلك كله الحافظ الذهبى في ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

الله عليه وسلم بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: ما هذا الصوم قالوا: هذا اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم، أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فصام وقال لأصحابه «من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه» ثم قال ابن كثير (هذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح) وذكر في البداية والنهاية ج ١ ص ١١٧ أن ذكر نوح في هذا الحديث من المستغرب فيه والله أعلم.

والمقصود أن استحباب صوم اليوم الذى يوافق يوم المولد النبوى لو كان معينا هو الذى يقتضيه حديث أبى قتادة عند مسلم في صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت عليّ فيه النبوة» ومنها دعوى أن ليلة المولد النبوى أفضل من ليلة القدر وهى دعوى ذكرها القسطلانى^(١) في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٣٥-١٣٦ ولفظه «فإن قلت إذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلاً فأما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة. أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له. وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولانزع في ذلك فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر. الثاني أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم. ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل. الثالث أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعاً فكانت أفضل».

وقد تعقب هذه الدعوى الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقانى في شرحه على المواهب اللدنية» ج ١ ص ١٣٦ بقوله «وهذا الذى ساقه المصنف - يعنى القسطلانى - وأقره متعقب قال الشهاب الهيثمي فيه اجمال واستدلال بمالابنتج المدعى لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة

(١) وقد حاد في ذلك عن الصواب كما حاد عنه فيه قبله الشيخ الخطيب ابو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الذى صنف فيه مصنفاً سماه «جنا الجنتين في فضل الليلتين».

القدر فهذه الأدلة لا تنتج ذلك كما هو جلي وإن أريد عين تلك الليلة قليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك وإنما أتى فضلها في الأحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة بمدة فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لأمثالها بالتفضيل أصلاً فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم. على أنا وإن سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها. وأما تفضيل ذات الزمن لا يكون بكون العمل فيه فليس له كبير فائدة قال الزرقاني بعد إيراد كلام الهيثمي هذا «هو وجهه».

وتعقب أيضاً الملا على القارى دعوى القسطلاني بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر بقوله ص ٩٧ من «المورد الروى في المولد النبوى» «أغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الاطلاق مع أن الافضلية ليست الا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآنى «ليلة القدر خير من الف شهر» ولا تعرف هذه الأفضلية لليلة مولده صلى الله عليه وسلم لا من الكتاب ولا من السنة ولا عن أحد من علماء هذه الأمة».

يؤيد ذلك التعقب الصادر من الزرقاني ومن على القارى ما جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم» فقد جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى في هذه الآية «فلا تظلموا فيهن أنفسكم» مانصه «إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء وقال: إن الله اصطفى صفائاً من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل» هكذا أورده الحافظ ابن كثير في تفسير الآية المذكورة وعزاه السيوطى في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»

إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبى الشيخ (١).

فقبول القسطلاني قول من قال بفضل ليلة المولد على ليلة القدر مادام الامر كذلك ليس إلا من قبيل الغلو الذي وصفه به والد الشيخ نجم الدين الغزي ونقله عنه ولده النجم في الجزء الثاني من «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» ص ١٢٧ ونصه «وكان له — أى القسطلاني صاحب كتاب المواهب اللدنية — اعتقاد تام في الصوفية وأكثر في المواهب من الاستشهاد بكلام سيد وفا وكان يميل إلى الغلو في رفعة قدر النبي صلى الله عليه وسلم ١٠١ هـ، المراد من كلام الغزي ومما يدل على ما وصف به والد النجم الغزي القسطلاني ماورد في الفصل الذي عقده القسطلاني في آخر كتابه «المواهب اللدنية» لزيارة القبر النبوي والمسجد النبوي من الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم عند القحط وعدم الامطار وعند الجوع واعترافه بوقوع الاستغاثة منه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لايقدر عليه إلا الله تعالى حيث قال ج ٨ ص ٣١٨ مانصه «ولقد كان حصل لى داء أعىى دواءه الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا ومن على بالعود اليها في عافية بلاعنة فيينا أنا نائم ثم إذا رجل مع قرطاس كتب فيه هذا دواء لداء أحمد القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم أجد والله شيئا مما كنت أجد وحصل لى الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم» قال «ووقع لى أيضا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بطريق مكة بعد رجوعى من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أياما فاستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فأتانى آت في منامى ومعه الجنى الصارع لها فقال لقد أرسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعانته وحلفته أن لايعود لها ثم استيقظت وليس بها قلبه كأنما نشطت من عقال ولازالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة فالحمد لله رب العالمين» ١٠١ هـ كلام القسطلاني.

ثم أن ماأسس عليه القول بتفضيل ليلة المولد النبوي على ليلة القدر وهو تقدير كون ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا غير موافق لما روى مسلم في صحيحه من طريق شعبة عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبى قتادة الأنصاري في حديث طويل ولفظه «وسئل عن صوم يوم الاثنين قال «ذلك يوم ولدت فيه

(١) الا أنه قد سقط من «الدر المنثور» لفظ «والأشهر الحرم» بعد قوله «رمضان» ولفظ «أهل» قبل لفظ «العقل».

ويوم بعثت فيه أو انزل على فيه» فان هذا الحديث يدل اوضح دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد نهارا لقوله «ذاك يوم ولدت فيه» وليس للقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم ولد ليلا مستند ثابت ومن عدم تأمل الشيخ محمد بن علوى المالكي ذلك كله استساغ التعليق على كلام الملا على في «المورد الروى» الآنف الذكر بقوله «أما نفس ليلة مولده التي مضت وانقضت فهي أفضل من ألف ليلة من ليالى القدر لأن ليلة القدر من بركاتها وأما ليلة المولد من كل عام الموافق ليلة المولد التي مضت فصحيح أنها لا تعرف لها هذه الفضيلة» فإن تفضيله ليلة المولد التي مضت على ألف ليلة من ليالى القدر يحتاج إلى الدليل كما يحتاج إليه تفضيل الليلة الموافقة لتلك الليلة التي وافق على أنها لا تعرف لها الفضيلة التي ثبتت لليلة القدر ولو تمسك في كل واحدة من الليلتين بقول الله تعالى في كتابه الكريم (ليلة القدر خير من ألف شهر) لم يتورط فيما تورط فيه (١).

ومنها التوسع في الموالد إضافة إلى ذلك المولد جريا على طريقة بنى عبيد القداح المتسمين بالفاطميين (٢) الذين توسعوا في الموالد بعد ابتداعهم الاحتفال باليوم الذى يقال بأنه يوم المولد النبوى.

(١) وقد كتب النووى طرة على كتابه رياض الصالحين جاء فيها مانصه «ليلة القدر افضل ليالى السنة خص الله بها هذه الأمة وهى باقية إلى يوم القيامة ، ذكر ذلك الشيخ ابن مرزوق في جنا الجنتين في شرف الليلتين وقال نقلته إلى اصلى من هذا الكتاب — أى رياض الصالحين — من خطه ثم قال ابن مرزوق هذا نص أو قريب منه يدل على أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد لكونه قال فيها «أفضل ليالى السنة» وليلة المولد منها» وليت ابن مرزوق تلقى هذا بالقبول ولم يحد عنه إلى القول بفضل ليلة المولد على ليلة القدر الذى لم يذكر له رغم اطالته فيه ما يصلح الاعتماد عليه.

(٢) هم ملاحدة في الباطن أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى وإلا من لم يصل إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى رافضيا داخلا الإسلام ولذا قال فيهم العلماء ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وهم من أشد الناس تعظيما للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. واثارهم في القاهرة تدل على ذلك، ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية في الرد على البكرى وقال لقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم وأنهم من ابرء الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ديننا ونسبا وقد صنف العلماء فيهم وفي أصولهم كتباً نظرية وخبرية» ورد هذا كله في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى ص ٣٠٧.

فقد قال المقرئ في الجزء الثامن من «الخطط» ص ٣٨٤ تحت عنوان «ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم» قال «كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهى موسم رأس السنة ، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب ، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الحتم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر ، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات.

وقال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى مفتى الديار المصرية في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام» ص ٤٧ بعد ذكره مواليد بنى عبيد القداح «قد استمر عمل المواليد إلى الآن غير أن الناس تركوا بعض المواليد الخمسة وزادوا مواليد أخرى حتى كادت المواليد الآن لا تحصى وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها» ثم جزم بأن المواليد ما كانت تعرف في دولة الإسلام إلا من قبل الفاطميين وقال في ص ٥٢ «وأنت إذا علمت ما كان يعمل الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوى جزمتم بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل».

ومنها دعوى أن من صادف في ذلك اليوم الساعة التي ظهر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يسأل الله فيها شيئا أعطاه إياه قياسا على ساعة يوم الجمعة التي صح فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه.

قال ابن الحاج في «المدخل» ج ٢ ص ٣١ «إذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها آدم عليه الصلاة والسلام لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه فلا شك أن من صادف الساعة التي ظهر فيها — أى نبينا محمد — عليه الصلاة والسلام إلى الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئا أنه قد نجح سعيه وظفر بمراده إذ إن المعنى الذى فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خلق آدم عليه الصلاة والسلام فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم».

وقال القسطلاني في «المواهب اللدنية» ج ١ ص ١٣٢ (إذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم) وعبر عن ذلك المعنى الشيخ محمد بن علوى بن عباس المالكي في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٢-١٣ وفي مقدمته لطبعة مولد الديبع التي اخترع فيها تسمية ذلك المولد بمختصر في السيرة النبوية- ص ٩-١٠ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٢ بقوله «يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في فضل يوم الجمعة وعد مزياه «وفيه ولد آدم» تشريف للزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصا ولنوعه عموما مهما تكرر كما هو الحال في يوم الجمعة شكرا للنعمة وإظهاراً لمزية النبوة وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الاصلاح المهم في تاريخ الانسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود) وحذا حذو السيد محمد بن علوى في ذلك الأستاذة يوسف السيد هاشم الرفاعى في مقاله المنشور في عدد جريدة السياسة الكويتية ٤٨٧٠ الصادر يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاول في عام ١٤٠٢ هـ تحت عنوان «حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولد النبوى حلقة (٢)» وأنور أسعد أبو الجدائل في تعقيبه على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان عليه المنشور في عدد جريدة المدينة ٥٤٢٧ الصادر يوم الثلاثاء ١٤٠٢/٤/١ هـ وصاحب المقال المنشور في عدد «المجتمع» ٥٥٩ الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ بتوقيع «أخوكم في الله من السعودية - الرياض». وقد تعقب الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية ج ١ ص ١٣٢-١٣٣ القسطلانى في ايراده لذلك بقوله (المصنف - أى القسطلانى في عهدة أن فيه ساعة كساعة يوم الجمعة لأنه إن اراد أن في ذلك اليوم ومثله إلى يوم القيامة ساعة كساعة الجمعة أو أفضل فدليلة هذا لا ينتج ذلك وإن أراد عين تلك الساعة فساعة الجمعة لم تكن موجودة حينئذ وإنما جاء تفضيلها في الأحاديث الصحيحة بعد ذلك بمدة فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم وقد نص الشارع عليها ولم يتعرض لساعة مولده ولا لأمثالها فوجب علينا الاقتصار على ما جاءنا عنه ولا نبتدع شيئا من عند نفوسنا القاصرة عن ادراكه إلا بتوقيف» ٥١٠ هـ. كلام الزرقانى وقد أجاد فيه. هذا وقد وقع غلط من الشيخ محمد بن علوى والأستاذة الثلاثة في جزمهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث فضل الجمعة وعد

مزاياء (وفيه ولد آدم) فإنه لم يقل فيه «ولد» وإنما جاء عنه في رواية (خلق آدم) ببناء لفظ (خلق) للمفعول فقد روى مالك في الموطأ عن أبي هريرة مرفوعاً (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط من الجنة وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه) الحديث وروى الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة مرفوعاً (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة) وجاء في رواية أخرى (خلق الله آدم) ففي المسند والسنن من حديث أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني قد بليت قال «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» ورواه الحاكم في المستدرک وابن حبان في صحيحه وروى الترمذی في جامعه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» قال الترمذی حديث حسن صحيح وصححه الحاكم أفاد جميع ما يتصل بهاتين الروایتين الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده للجمعة وخصائص يومها من «زاد المعاد» ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ طبعة مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية.

وأما ما ترتب على الاحتفال بالمولد من المفاصد فقد أوضح منه أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال ومن يراه أموراً نسردها مع تحذيراتهم منها فيما يلي:

قال الونشريسي في المعيار ج ٨ ص ٢٥٥ في كلامه على المولد «وقعت فيه قضايا أخرجه إلى ارتكاب بعض البدع من كثرة الاجتماع فيه أي اجتماع آلات اللهو إلى غير ذلك من البدع غير المشروعة. والتعظيم له صلى الله عليه وسلم هو باتباع السنن والافتداء بالآثار لا باحداث بدع لم تكن في السلف الصالح حدث الشبلي أبو محمد رحمه الله عن شيخ أبي الحسن الغزالي أنه أراد أن يكتب التصلية والحديث وغير ذلك في إجازته بالذهب فاستشار سيدي أبا علي بن قداح فقال له لم تفعل ذلك قال للتعظيم فقال: تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو باتباع سنته والافتداء بهديه وهدى أصحابه ولم يكن هذا في الزمن الأول»، وذكر في الجزء التاسع من المعيار

ص ٢٥٢ أن أبا إسحاق الشاطبي سئل عن عهد بثلثه ليقف على إقامة مولده صلى الله عليه وسلم فأجاب بقوله: أما الوصية بالثلث ليقف على إقامة ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة وكل بدعة ضلالة والإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية غير نافذة بل يجب على القاضى فسخه ورد الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم وأبعد الله الفقراء الذين يطلبون انفاذ مثل هذه الوصية وما ذكرتم^(١) من وجهى المنع من الانفاذ صحيح يقتضى عدم التوقف في ابطال الوصية ولا يكفى في ذلك منكم السكوت لأنه كالحكم بالانفاذ عند جماعة من العلماء فاحذروا أن يكون مثل هذا في صحيفتكم والله يقينا وإياكم الشر بفضلته».

كما ذكر الونشريسي في الجزء السابع من المعيار ص ١٠٠ - ١٠١ في كتاب الحبس من «المعيار» أن الأستاذ أبا عبد الله الحفار سئل عن التحبيس على إقامة المولد فأجاب بقوله «إن تلك الليلة - أى التي يقال بأنها توافق ليلة المولد النبوى - تقام على طريقة الفقراء - أى المتصوفة - وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شناعة من شنع الدين لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من أعظم القربات في هذه الأوقات وأنها طريقة أولياء الله وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم احكام ما يجب عليه في يومه وليته بل هو ممن استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزينون لهم الباطل ويضيفون إلى دين الله ماليس منه لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب وهم يضيفونه إلى أولياء الله وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل فصار التحبيس عليهم ليقموا بذلك طريقتهم تحبيسا على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقتهم» وذكر في ذلك الجزء السابع من المعيار ص ١١٤ أن الأستاذ أبا عبد الله الحفار سئل عن امرأة تصدقت بموضع على ليلة المولد يزرع ذلك الموضع ويؤخذ قمحه ويعمل به تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله عز وجل فيأخذون في الغناء والرقص ثم يأكلونه بعد ذلك كما في علمكم فهل تبقى الوصية على حالها أو تقلب إلى الصدقة في تلك الليلة على المساكين أو ترجع لورثة المتصدقة؟ فأجاب بقوله: ما أوصت به المرأة المذكورة يصرف فائد

(١) يخاطب أبو إسحاق الشاطبي بذلك السائلين عن كلام للحفار في الموضوع ذكره صاحب المعيار ج ٧ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ومراده بالوجهين المانعين من إنفاذ الوصية كون الاحتفال بالمولد النبوى بدعة وابتداع المتصوفة فيه ما ابتدعوه من البدع.

الموضع المذكور في الوجه الذي قصدت لكن على الوجه الذي يستحب وينعقد قربة وذلك أن يصرف ذلك للضعفاء والمساكين على جهة الشكر لله عز وجل الذي أنعم به على عباده من ولادة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان سببا في إنقاذهم من النار فهو محل الشكر وذلك لا يكون إلا على الوجه المشروع».

ومما أفاده صاحب المعيار ج ١ ص ١٦٠-١٦١ أن القاضي أبا عمرو بن منظور سئل عن إمام قرية يؤم الناس وهو يحب طريقة الفقراء وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الاثنين والإمام المذكور معهم يستفتحون بعشر من القرآن ويدوون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه والإمام المذكور يمدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي رقص منهم فإذا كان ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلا من قريتهم ويبقى المسجد بلاخطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام فليل إن الإمام الذي يعمل هذا لانتجوز إمامته والذي يسمع العريف خير من الفقراء. والإمام المذكور يعلم أن طريقة الفقراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد التابعين بعده ويعلم أن أفضل الذكر ماخفى وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار لكن حمله على هذا محبته في الذكر وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته في جماعة الإخوان هل يلزم من اغتاب هذه الطريقة شيء أم لا؟.

فأجاب : تأملت السؤال بمحوله وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قولهم، والكل منعوا تلك الطريقة وقالوا بتبديع مرتكبيها والسنة بخلاف ذلك والرقص لايجوز وهو تلاعب بالدين وليس من أفعال عباد الله المهتدين وإمامة من يرى هذا المذهب ويسلك طريقهم لايجوز لاسيما وقد انضاف إليه مع عمله هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها» وهذا يدخل تحت الوعيد، وقول من قال إن من يسمع العريف خير من الفقراء فهذا يظهر أنه صحيح ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص ويعلم أنه على غير شيء. وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء أو متلاعب وماخلقنا للعب وهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ويكون للإمام حظه من هذه الطريقة حضوره كاف في منع إمامته لأنه مكثر سوادهم ومن كثر سواد نوع عد منهم. وأما محبة الرسول والصحابة فيتوصل

إليها بغير هذا وهي ساكنة في القلب والاكتثار من الصلاة والسلام عليه والرضى عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة . والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر فلاعتاب عليه إن شاء الله تعالى فهذا وجه الجواب عن السؤال بمجوله.

كما ذكر صاحب المعيار ج ١٢ ص ٤٨ — ٤٩ أن أحمد القباب سئل عما يفعله المعلمون من وقد الشمع في مولد النبي صلى الله عليه وسلم واجتماع الأولاد للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشرا من القرآن وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع الرجال والنساء بهذا السبب فهل ماأخذه المعلم من الشمع جائز أم لا لأن بعض الطلبة قال إنه إجازة ولا فرق بينه وبين حق الشهور والحذاق ولاسيما من عرف منه أنه لايزين المسجد ولايقرأ أحد عنده عشرا ولاينشد مديحا ولاغيره ولايسوق له إلا من يقرأ عنده. فقال له السائل إن الأولاد يكلفون آباءهم بشراء الشمع ويشترونه كرها فقال له يلزمك هذا في حق الشهر والحذاق والأولاد يطلبون من آبائهم فيعطونه كرها وهذا غير معتبر لأن الآباء قد دخلوا عليه فيلزمهم لأنه إذا رد ولده التزم أنه يعطى حق الشهر والحذاق والشمع في المولد ولو كانت ثم عادة أخرى لالتزمها فهل ماقاله هذا الطالب صحيح أم لا؟ فإن كان صحيحا فهل يؤثر اجتماع الرجال والنساء إن اجتمعوا أم لايلزم هذا إلا الحاكم لأن هذا أمر لايقدر على تغييره إلا من له الامر؟ فأجاب بأن قال: جميع ماوصفت من محدثات البدع التي يجب قطعها. ومن قام بها أو أعان عليها أو سعى في دوامها فهو ساع في بدعة وضلالة ويطن بجهله أنه بذلك معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بمولده وهو مخالف سنته مرتكب لمنهيات نهى عنها صلى الله عليه وسلم متظاهر بذلك محدث في الدين مالميس منه. ولو كان معظما له حق التعظيم لأطاع أوامره فلم يحدث في دينه مالميس منه ولم يتعرض لما حذر الله تعالى منه حيث قال «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم». وأما ماأخذه المعلم من ذلك فإن كان إنما يعطاه على القيام بهذه البدع والقيام بتلك الأمور فلاخفاء بقبح المأخوذ على هذا الوجه وإن كانوا يعطونه ذلك في هذا الوقت وإن لم يفعل شيئا من هذه البدع فقد قال ابن حبيب إنه لايقضى للمعلم بشيء في أعياد المسلمين وإن كان ذلك مما يستحب فعله وقال إن الاعطاء في أعياد النصرارى مثل النيروز والمهرجان مكروه لايجوز لمن فعله ولايحل لمن قبله لأنه من تعظيم الشرك قال ابن رشد كان القياس أن لا فرق بين الحذاق ومايعطى في الأعياد إذ

جرت بها العادة وأنه يقضى بالجميع وإنما فرق ابن حبيب بين ذلك لأن الحذاق بلغها الصبى بتعليم المعلم والأعياد لأفعل فيها. وإذا كان ابن حبيب يقول لا يقضى له بالأعياد والمواسم الشرعية فكيف بما ليس بشرعى ، وعلى الجملة لاشك أن الأمر أخف إذا كان لا يقوم ببدة في ذلك الوقت. وأما ما ذكرتم عن القائل إن الصبى يطلب ذلك من أبيه حتى يعطيه كرها فكلام لا يساوى سماعه. ومن استقرأ العادة علم أن المعطى لشيء من ذلك إنما يقصد به إقامة تلك البدع وكون المعطى شمعاً يعين هذا المقصد وإذا كان كذلك كان المأخوذ إنما هو على بدعة.

وقال ابن الحاج في الجزء الثاني من «المدخل» «من جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وازهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد وقد احتوى على بدع ومحرمات فاطنب في ذلك كما ذكره القسطلانى في الجزء الأول من المواهب اللدنية ص ١٤٠ حيث قال «لقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة فإنه حسبنا ونعم الوكيل» وقد لخص الإمام محمد بن ابراهيم آل الشيخ كلامه في رسالة له في المولد النبوى تلخيصاً أحسن من أصله فلذلك استغنى به عنه فاقول قال مفتى الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ «قد ذكر ابن الحاج في المدخل مما احتوى عليه الاحتفال بالمولد النبوى في زمانه فكيف بزماننا هذا مايلي:

١ - استعمال الأغاني والآت الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك قال ابن الحاج «مضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله وعظمها ببدع ومحرمات وذكر ابن الحاج قول القائل:

ياعصبة ماضر أمة أحمد وسعى على إفسادها إلا هى
طار ومزمار ونغمة شادن رأيت قط عبادة بملاهى

٢ - قلة احترام كتاب الله عز وجل فإنهم يجمعون في هذه الاحتفالات بينه وبين الأغاني وابتدئون به وقصدهم الأغاني قال ابن الحاج إن بعض السامعين إذا طول القارئ القراءة يتقلقلون منه لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه من اللهو قال وهذا غير مقتضى ما وصف الله به أهل الخشية من أهل الايمان وهو أنهم يحبون سماع كلام مولاهم لقوله تعالى في مدحهم «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول

ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين» فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر وبعض هؤلاء يستعملون الضد من ذلك فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي فإننا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب يعملون أعمال الشيطان ويطلبون الأجر من رب العالمين ويزعمون أنهم في تعبد وخير وقال ويا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس ولكن قد عمت البلوى فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة اعنى في تربية المريدين وكل هؤلاء داخلون فيما ذكر ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسيسة من اللعين.

٣ — الافتتان بالمردان فإن الذى يغنى في الاحتفالات ربما يكون شابا نظيف الصورة حسن الكسوة والهيئة أو أحدا من الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم بل يخطبونهم للحضور فمن لم يحضر منهم ربما عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه وحضوره فتنة سيما وهم يأتون إلى ذلك شبه العروس لكن العروس أقل فتنة لأنها ساكنة حية وهؤلاء عليهم العنبر والطيب يتخذون ذلك بين أثوابهم ويتكسرون مع ذلك في مشيهم إذ ذاك وكلامهم ورقصهم ويتعاقبون فتأخذهم إذ ذاك أحوال النفوس الرديئة من العشق والاشتياق إلى التمتع بما يروونه من الشبان ويتمكن منهم الشيطان وتقوى عليهم النفس الامارة بالسوء وينسد عليهم باب الخير سدا قال ابن الحاج «وقد قال بعض السلف لأن أؤتمن على سبعين عذراء أحب إلى من أن أؤتمن على شاب. وقوله هذا ظاهر بين لأن العذراء تمتنع النفوس الزكية ابتداء من النظر إليها بخلاف الشاب لما ورد أن النظرة الأولى سهم والشاب لا يتنقب ولا يختفى بخلاف العذراء والشيطان من دأبه أنه إذا كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخيله ورجله ويعمل الحيل الكثيرة، قال ابن الحاج «وبعض النسوة يعاين ذلك على ما قد علم من نظرن من السطوح والطاقات وغير ذلك فيرينه ويسمعنه وهن أرق قلوبا وأقل عقولا فتقع الفتنة في الفريقتين». هذا بعض ما ذكره ابن الحاج من المحرمات التي تحصل في احتفال الرجال بالمولد، ثم ذكر من المفاصد المتعلقة بالنساء مايلي:

١ — افتتان الرجال بالنساء لان بعض الرجال يتطلع عليهن من بعض الطاقات والسطوح وتزداد الفتنة برفع أصواتهن وتصفيقهن بالأكف وغير ذلك مما يكون سببا إلى وقوع المفسدة العظمى.

٢ — افتتانهن في الاعتقاد وذلك لأنهن لا يحضرن للمولد الا ومعهن شيخة تتكلم في

كتاب الله وفي قصص الأنبياء بما لا يليق فيما تقع في الكفر الصريح وهى لا تشعر لانها لا تعرف الصحيح من السقيم والحق من الكذب فتدخل النسوة في الغالب وهن مؤمنات ويخرجن وهن مفتنات في الاعتقاد أو فروع الدين.

٣ - خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من الاختلاط وغيره ويذكر ابن الحاج أن هذه المفسدة من آثار بناء البيوت على المقابر قال «فلو امتثلنا أمر الشرع في هدمها لانسدت هذه المثالم كلها وكفى الناس أمرها. قال فبسبب ما هناك من البنيان والمساكن وجد من لاخير فيه السبيل إلى حصول أغراضه الخسيسة ومخالفة الشرع قال «ألا ترى إلى ما قد قيل من العصمة أن لا تجدد» فإذا هم الإنسان بالمعصية وارادها وعمل عليها ولم يجد من يفعلها أو وجده ولكن لا يجد مكانا للاجتماع فيه فهو نوع من العصمة فكان البنيان في القبور فيه مفسد - منها هتك الحريم بخروجهن إلى تلك المواضع فيجدن أين يقمن أغراضهن هذا وجه. الثانى تيسير الأماكن للاجتماع للأغراض الخسيسة فتيسر الأماكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك.

٤ - فتح باب الخروج لمن لغير ضرورة شرعية فإنهم - أى أهل زمانه (١) - ضموا لأيام المولد النبوى الثلاثة يوم الاثنين لزيارة الحسين وجعلوا يوم الأربعاء لزيارة نفيسة فالتزمّن الزيارة في تلك الايام لما يقصد من اغراض الله أعلم بها قال ابن الحاج «ولو حكى هذا عن الرجال لكان فيه شناعة وقبح فكيف به في النساء فإننا لله وإنا إليه راجعون.

هذا ما ذكره ابن الحاج في «المدخل» من مفسد الاحتفالات بالمولد في زمانه بالنسبة لمن يقصدون المولد ثم قسم الذين يعملون المولد في ذلك الزمن لا لقصد المولد إلى خمسة أقسام:

أحدها : من له فضة عند الناس متفرقة قد أعطاها لهم في بعض الأفراح والمواسم فيعمل المولد ليستردها قال ابن الحاج «فهذا قد اتصف بصفة النفاق وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغى به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضته.

الثاني من يتظاهر من ذوى الأموال بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزويد دنياه بمساعدة الناس له فيزداد هذا فسادا على المفسد المتقدم ذكرها ويطلب مع ذلك ثناء الناس عليه بما ليس فيه.

(١) أى أهل زمان ابن الحاج.

الثالث من يخاف الناس من لسانه وشره وهو من دوى الأموال فيعمل المولد ليأخذ من الناس الذين يعطونه تقية على أنفسهم وأعراضهم . قال ابن الحاج «فيزداد من الحطام بسبب مافيه من الخصال المذمومة شرعا وهذا أمر خطير لأنه زاد على الأول أنه ممن يخاف من شره وهو معدود بفعله من الظلمة».

الرابع : من يعمل المولد وهو ضعيف الحال ليتسع حاله .

الخامس : من له من الفقراء لسان يخاف منه ويتقى لأجله فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ممن يخشاه ويتقيه حتى إنه لو تعذر عن حضور المولد الذى يفعله أحد من معارفه لجل به من الضرر مايتشوش به وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاية الأمور قاصدا بذلك حط رتبته بالوقعة فيه أو نقص ماله إلى غير ذلك مما يقصده من لايتوقف على مراعاة الشرع الشريف .

قال ابن الحاج بعد بسط الكلام على هذه المفاصد : هذا الذى ذكر بعض المفاصد المشهورة المعروفة . وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الانس والجن مما يتعذر حصره . فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع وفقنا الله تعالى لذلك بمنه» ١٠١ هـ ، اختصار سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله تعالى لكلام ابن الحاج في المدخل في بيان ماأحدث عند عمل المولد من المضار ولاشك عندى في أن من قارن بينه وبين كلام ابن الحاج نفسه في المدخل تبين له أنه من المختصرات التي تفوق أصولها جزاءه الله خير الجزاء .

وقال الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المألقى الأندلسى في تاريخ قضاة الأندلس الذى سماه «كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» قال في ترجمة القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد السلام المنستيرى (١) ص ١٦٢-١٦٣ ط دار الكاتب المصرى بالقاهرة، اخبرنى - أى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى - عن هذا القاضى رحمه الله بما حاصله أن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة والمثول بين يديه ليلة المولد النبوى الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة الغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين المحل بحضور الأشراف وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم . هز المسمع طره وأخذ يهتثم بالحانه،

(١) توفى هذا القاضى في أوائل الطاعون النازل ببلده قبل عام ٧٥٠.

وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته تزحج القاضي أبو عبد الله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس فتنبه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضي بالغرض المأمور به فقال له أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاه الله من أجلها لو شهدنا نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على مانحن فيه من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة كالإقرار بما يوجب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبة أخرى من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور لكننا كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضلته فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى واعلمه بالقصة فأقام يسيرا وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكرا لله ٥١هـ.

وقال العلامة أبو العباس سيدى أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف بابا التنبكتى في ترجمة أبى موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام من كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» ص ١٩٣ بهامش الديباج قال «فائدة قال الخطيب ابن مرزوق سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدثه العزفى وولده أبو القاسم بالمغرب في لياى المولد وهما من الأئمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به (١) ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره والأظهر عندى ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وإحياء سنته ومعونة آله وتعظيم حرهم وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة. وطريق الحق والسلامة معروف فالأفضل تكثير الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وأعمال البر ٥١هـ ملخصا» وقال المقرئ في «أزهار الرياض في أخبار عياض» ج ١ ص ٢٤٣ بصدد كلامه على احتفال السلطان أبى هو موسى بن يوسف بعد أن ذكر أن العزفى صاحب

(١) ذكر ابن مرزوق ذلك في كتابه «جنا الجنين في شرف الليلتين».

سبته^(١) هو الذى سن ذلك في بلاد المغرب قال «على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الاسراف والغلو وكل يعمل على شاكلته.

وذكر البنانى المالكى من أمثلة الايضاء بالمعصية الذى صرح الشيخ خليل المالكى في مختصره ببطلانه أن يوصى المرأ باقامة مولد على الوجه الذى يقع في زمانه من اختلاط النساء بالرجال والنظر للمحرم ونحو ذلك من المنكر ونقله عنه الشيخ محمد عرفة الدسوقي في حاشيته على شرح الدردير لمختصر خليل في باب الوصايا.

وقال ابن حجر الهيتمى في كتابه الذى سماه «الفتاوى الحديشية» ص ١٠٩ الطبعة الأولى المصرية في الموالد والأذكار التي تفعل عندهم في زمانه قال «أكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شر بل ضرر لو لم يكن منها إلا رؤية النساء للرجال الأجانب وبعضها ليس فيها شر لكنه قليل نادر» وذكر أن ما كان مشتملا منها على شر ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح قال فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم وبفرض أنه عمل في ذلك خيرا فرما خيره لايساوى شره ألا ترى أن الشارع صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسروا فطم عن جميع أنواع الشر حيث قال «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» فتأمل تعلم ماقررت من أن الشر وإن قل لايرخص في شيء منه والخير يكتفى منه بما تيسر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص ٢٩١ في بيان مفسد المواسم المبتدعة من موالد وغيرها (منها مع ماتقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغنى بها عن كثير من السنن حتى تجد كثيرا من العامة يحافظ عليها مالا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس، ومنها أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها مالا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة وهذا عكس الدين فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والركة والطهارة والخشوع واجابة الدعوة وحلاوة المناجاة إلى غير ذلك من الفوائد وإن لم يفته هذا كله

(١) ذكر الحافظ الذهبي في الجزء الرابع من تذكرة الحفاظ ص ١٤٢٢ أن ابا العباس بن الخطيب محمد بن أحمد اللخمي العزفي صاحب سبته توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة» أى التي توفي فيها ابن دحية.

فلا بد أن يفوته كماله ومنها ما في ذلك من مصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين وانتشار زرع الجاهلية. ومنها اشتغالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل تأخير الفطور وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة والمبادرة إلى تعجيلها والسجود بعد السلام لغير سهو وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها إلى غير ذلك من المفساد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته ومنها مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الامكان كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله «ماترك أحد شأ من السنة الالكبر في نفسه» ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الايمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ومنها ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفساد التي توجد في كلا النوعين المحدثين النوع الذي فيه مشابهة والنوع الذي لامشابهة فيه ٥١هـ.

وقال الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه «أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الاحكام ص ٥٤ مانصه (والمحرمات — أى في عمل المولد — والمكروهات ماعدا ذلك — أى المباح — كشد الرحال إلى تلك البقاع والسفر إليها وإيقاد الشموع ونحوها مما يدخل تحت الإسراف والتبذير وإحراق الصواريخ والشنكات ونحو ذلك مما هو إضاعة للمال في الباطل خصوصا إن كان ما يصرف على ذلك من أموال بيت المال أو من أموال الأوقاف فإن الأوقاف إذا علمت شروط واقفيها وجب شرعا العمل بها وإن لم تعلم صرف ريعها للفقراء لافي مثل هذه الألاعيب. ومن المحرم أيضا كل ما كان من أنواع الملاهي والمغانى المفسدة للأخلاق وما أشبه ذلك فإن كل هذا محرم بلا شبهة وبدعة مذمومة وفي الحديث الصحيح (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).

وقال السيد محمد رشيد رضا في الجزء التاسع من «المنار» ص ٩٦ في كلامه على الآية الكريمة «فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» قال في الموالد ونحوها من الاحتفالات الموسمية المبتدعة «هى مشتملة على كثير من المعاصي المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة التي يعد مستحلها مرتدا عن الإسلام باتفاق المذاهب والجمهور غافلون عن ضرر هذه البدع التي جعلت من قبيل شعائر الإسلام بالاحتفال بها وشد الرحال إليها وانفاق الأموال العظيمة في

سبيلها وتعطيل كبرى شعائر الإسلام وهى الصلاة وابطال دروس العلوم الدينية من المساجد التي تقام فيها لأجلها كالمسجد الأحمدي في طنطا والمسجد الابراهيمي في دسوق» ١٠١ هـ المراد منه.

وقال السيد على فكرى في المحاضرة العاشرة من محاضراته ص ٨٤ تحت عنوان «البدع في الموالد» في بيان ما اشتملت عليه الموالد زمن تأليفه لتلك المحاضرات من المفاسد قال:

«منها إضاعة الأموال في الزينات بكثرة الوقود في المساجد والطرقا وإيقاد الشموع في الأضرحة وكل ما يرجع إلى الاسراف والتبذير وفي الحديث الشريف «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، على أنه لو صرفت هذه الأموال في مشروع خيرى كبناء مسجد أو مستشفى أو ملجأ لكان خيرا وابقى لهم وللأمة الإسلامية.

ومنها انتهاك حرمة المساجد بتقديرها بالأكل والشرب والمبيت فيها وكثرة اللغظ ودخول الاطفال والرجال والبنات والنساء حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر الدينية في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها خروج النساء متبرجات سافرات واختلاطن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه الفتنة وعدم العفة والصيانة.

ومنها : استعمال الأغاني وآلات الطرب في إقامة الأذكار على الوجه المحرم شرعا بالاجماع.

ومنها : قراءة القرآن على غير الوجه المشروع الدال على عدم الاحترام لكتاب الله تعالى بل اهانتة والاستخفاف به.

ومنها : شرب الدخان في مجالس القرآن والتشويش على القارئ والاعراض عن استماعه بالمحادثة والمطالعة.

ومنها : ما ينفقه بعض الأغنياء في سبيل المولد باحياء بعض الليالى باسمائهم حبا في الظهور وطلبا للشهرة والسمعة وغير ذلك مما يفسد أخلاق ابناء الأمة ويبعث في نفوسهم الميل إلى الشهوات وانتهاك المحرمات.

سرد هذه المفاسد ثم قال (فالواجب شرعا على المسلمين عامة وأولياء الأمور خاصة أن يمتنعوا الناس عن تلك المفاسد والمخازى وأن يعملوا على ابطال تلك العادات في الموالد».

وقال في المحاضرة السادسة عشرة ص ١٢٩ أما العادة المتبعة في الاحتفال بمولد النبي الشريف من إقامة الزينات والسرادات وتسيير المواكب ودق الطبول والمزمار والاشارات وسماع الأغاني والأناشيد والرقص في حلقات الذكر واطلاق الصواريخ والالعاب النارية في الهواء وخروج النساء المتبرجات لرؤية الاحتفال والموكب واختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات فكل ذلك مخالف لآداب الشريعة السمحة ومما يغضب رسول الله» ١٠١هـ.

وقال الأستاذ الشيخ على محفوظ في (الابداع في مضار الابتداع) ص ١٢٦-١٢٨ في بيان ماتحتوى عليه الاحتفالات بالمولد من المحرمات والمكروهات مانصه «فمن المحرمات إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد والطرق وإيقاد الشموع والسرج في الأضرحة وكل ما يرجع إلى الاسراف والتبذير وفي الحديث (إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. ومنها انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وكثرة اللغط فيها ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر في مسجد يعمل فيه مولد. ومنها خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه من وقوع الفاحشة وناهيك ما يكون من البغايا وتطلبهن الفاحشة جهارا. ومنها استعمال الأغاني وآلات الطرب على الوجه المحرم بالاجماع وغير ذلك مما يفسد أخلاق الأمة ويبعث في نفوس الشبان روح العشق والميل إلى الفجور ومنها قراءة القرآن على غير الوجه المشروع فيرجعون فيه كترجيع الغناء غير مراعين فيه ما يجب له من الآداب وبعضهم يفتح اللهو والغناء بقراءة شيء من القرآن وكل ذلك مع مافيه من تعريضه للاهانة وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى ضد ما وصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه حيث قال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكثنا مع الشاهدين) ومما يشعر بالاستهانة والاستخفاف بكتاب الله تعالى وإن لم يقصد الفاعل ذلك شرب الدخان في مجلس القرآن الكريم خصوصا إذا كان ممن يقرب منه حال القراءة والتشويش عليه والاعراض عنه لظاهر قوله تعالى «وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون» والاستماع الاصغاء والانصات السكوت قال العلامة الشبراوى في شرح الورد نقلا عن شيخه السباعي الذي ندين الله به حرمة شرب الدخان في مجلس القرآن ولاوجه للقول بالكراهة - وإذا كان الحديث الدنيوي في مجلس القرآن منهيا عنه فشرب الدخان في مجلسه أولى بالنهي لما فيه من الرائحة الكريهة وإن كان شاربوه لا يدركون ذلك للآلف والعادة كالذين تعودوا معالجة المواد

البرازية لا يتألمون من رائحتها وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يشرب الدخان بحضرة ملوك الدنيا وأمراثها أفلا يرون ذلك غفلا بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملوك ولكن يمنع بحضرتهم فعلى فرض أن شرب الدخان مكروه في غير مجلس القرآن فهو في مجلس القرآن لإخلاله بالآداب في حضرة كلام ذى العظمة والجبروت محرم ألا ترى أن كثيراً من الأشياء مباح خارج الصلاة لكنه يحرم في أثنائها وإن لم يطلها وماذا لك إلا لإخلاله بآداب الوقوف بين يدى الله تعالى ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه لك ويزيدك إيماناً به لو أن ملكاً أصدر قانوناً يتضمن شيئاً من مصالح الرعية كنظام الضرائب ومناوبات الرى وحفر الأنهار وأمر عماله في الأقاليم أن يجمعوا العمدة والمشايخ وأرباب المصالح في البلاد ويقرءوا عليهم هذا القانون ويشددوا عليهم في تنفيذه واحترامه فاجتمعوا وقام فيهم عمال الملك يتلون عليهم هذا القانون كما أمروا ففى أثناء تلاوته رأى أحد العمال رجلين يتكلمان أو أحداً يشرب الدخان في مجلس الاجتماع ماذا يكون الحال اليس يغضب التالى للقانون من ذلك إن لم يعاقب بالطرد لما في ذلك من انتهاك حرمة القانون وتاليه فإذا كان هذا في قانون الملك المخلوق فما بالك بقانون ملك الملوك الخالق القادر رب الأرباب ومالك العباد. وفيه من ضروب المصالح والفوائد ما يضمن لمن اهتدى بهديه سعادة الدنيا والآخرة. ومنها تطلب الرياء والسمعة بما ينطق في سبيل المولد فترى الأغنياء يتنافسون في الليالى التي يحيونها باسمائهم وكل يجد في أن تكون ليلته أحسن الليالى ليقال. ومن المكروهات قراءة القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت كما سبق لك ومنها التكلف الذى يقع منهم في الوفاء بشهواتهم ومنها الافراط في السهر الذى يترتب عليه تضييع الصلوات وضرر الابدان ومنها شد الرحال إلى البقاع النائية واهمال المزارع والصنائع والبيوت حتى تصير عرضة للتلف وسطو اللصوص إلى غير ذلك مما لا يخفى على بصير تركناه خوف الاطالة ثم ذكر الشيخ على محفوظ أن الموالد التي تقام في زمانه لاشك انها لا تخلو عن المحرمات والمكروهات قال «وقد أصبحت — أى الموالد — مراتع الفسوق والفجور وأسواقا تباع فيها الأعراض وتستهك محارم الله تعالى وتعطل فيها بيوت العبادة فلا ريبة في حرمتها والمصلحة المقصودة منها لا تبيح هذه المحظورات التي فيها ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه والقاعدة أن درأ المفساد مقدم على جلب المصالح وأن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى من الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) متفق عليه فهو صريح في أن الشر

وإن قل لا يرخص في شيء منه).

وقال تحت عنوان (المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) ص ١٤١ (ومنها — أى تلك المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) ليلة الثاني عشر من ربيع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى ويسرفون في الوقود فيها ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسق والفجور فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة وقد لا يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف. وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة كما سبق في بدع الموالد» ١٠١ هـ.

وقال السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «المنار» ص ٧٤-٧٦ في كلامه على الآية الكريمة «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله» قال «ولقد تشوهت سيرة مدعى التصوف في هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الدين أفسدوا التصوف من قبلهم وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها الموالد ومن العجيب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة زاعمين أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب لضنوا به وبخلوا ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب إلى الله تعالى كأن كرامة الشيخ الذي يحتفلون بمولده تبيح المحظورات وتحل للناس التعاون على المنكرات. فالموالد أسواق الفسوق فيها خيام للعواهر وخانات للخمور ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الرقصات المتهتكات الكاسيات العاريات ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس وبعض هذه الموالد يكون في المقابر ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضرّبونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الكثيرة احتفالاً باسم صاحب المولد ويهنيء بعضهم بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم، وذكر الأستاذ الإمام عند شرح مفاسد الموالد هنا أن بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى فقيل له في ذلك فقال: إننى لأحب أن أكثر سواد الفاسقين فإن هذه الموالد كلها منكرات. ووصف ماير به المدعو قبل أن يصل إلى موضع الطعام ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة كم

ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد فقال: اربعمائة جنيه قال الأستاذ لاشك أن هذا في سبيل الشيطان فلو كلمت صاحبك في أن يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستمعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعيا وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له فأجاب ذلك الشيخ قائلا: إن الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهذا فقال الأستاذ هذا الذي أريد فإن كوننا ليس فيه إلا هذه النفقات في الطرق المذمومة فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين ليكون بعض الانفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون فقال الشيخ حينئذ أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار إذ رأى شيخا كبيرا ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه فاعترض عليه في سره فما كان من الشيخ إلا أن قال يا عبد الوهاب أتريد أن ينقص ملك ربك مزمارا فعلم الشعراني أنه من أولياء الله تعالى قال الأستاذ ثم تركنى المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا إلى المولد. فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهلهم بغير فهم ولا مراعاة شرع اتخذوا الشيوخ أندادا وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة وصارت الحكايات الملفقة ناسخة^(١) فعلا لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضى غيره ممن اتخذوهم أندادا له وصاروا كالاباحيين في الغالب فلا عجب إذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها بل ولا في الثاني ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى إذ رأى قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة وشأن في نفوس تلك الأمم فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه.

قلت : القائل إسماعيل الانصارى من نظر فيما تقدم في وصف احتفال بنى عبيد القداح بالموالد تبين له من اضاءة الاموال فيها مالا ينبغي وكذلك ما في تاريخ ابن خلكان ومراة الزمان لسبط ابن الجوزى من ذكر الاموال الكثيرة التي تصرف في احتفال أبى سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل بالمولد النبوى فقد قال ابن خلكان ج ١ ص

(١) عندهم.

٤٣٦-٤٣٧ في وصف احتفاله بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد كان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من أربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولايزالون يتواصلون من المحرم إلى إربل شهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة وقعد في كل قبة جوق من الاغانى وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاحى ولم يتركوا طبقة من تلك الطبايق حتى رتبوا فيها جوقا وتبطل معاش الناس في تلك المدة ومابقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة إلى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم ومايفعلونه في القباب ويبست في الخانقاه ويعمل في السماع فيها ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة في ثاني عشره لأجل الاختلاف الذى فيه فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغانى والملاحى حتى يأتى بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلى المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شئ كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع أشك في ذلك من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندھا وهى مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهى إلى الخانقاه فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدى الصوفية على يد كل شخص منهم بقعة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شئ كثير لآتمحقق عدده ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسى للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذى فيه الناس والكرسى وشبابيك أخر للبرج أيضا إلى الميدان وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ويجمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ويكون سماطا عاما فيه من

الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف ويمد سماً ثانياً في الخائف للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل الساعات إلى بكرة هكذا دأبه في كل سنة.

هذا ما ذكره ابن خلكان من وصف احتفال الملك المظفر بالمولد النبوي ثم قال: وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان إلى العود إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة^(١) وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله لكتاب التنوير في مولد السراج المنير لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الاقامات الوافرة» يشير ابن خلكان بقوله «وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحية في حرف العين» الخ إلى قوله في ترجمة أبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية ص ٣٨١ ج ١ مانصه «قدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة وهو متوجه إلى خراسان فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين ابن زين الدين رحمه الله تعالى مولعاً بعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم عظيم الاحتفال به كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب — أى في ترجمة كوكبوري أبي سعيد الملك المعظم صاحب إربل — فعمل له كتاباً سماه كتاب التنوير في مولد السراج المنير وقرأه عليه بنفسه وسمعناه على الملك المعظم في سنة مجالس في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة» ٥١هـ.

وقال أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي الشهير بسبط ابن الجوزي في القسم الأول من الجزء الثامن من «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» ص ٦٨١ — ٦٨٢ قال في ترجمة مظفر الدين كوكبوري «كان يعمل في كل سنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يجتمع فيه الدنيا من العلماء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية

(١) لخص المورخ الفقيه الأديب أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ج ٥ ص ١٤٠ ما أورده ابن خلكان في ذلك ونقل عن ابن شهبة أنه قال في تاريخ الإسلام «قال جماعة من أهل إربل كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار».

والفقراء من كل صنف ويضرب الخيام في الميدان وينزل من القلعة بنفسه فيقرأ القراء ويعظ الوعاظ ويمد سماطاً أولها عنده وآخره في القلعة ويحضره الخلائق فلا يبقى إلا من يأكل ويحمل وحكى لى من حضر بعض السنين فقال: عددت على السماط مائة قرش قشلميش وخمسة آلاف رأس شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم ولا يحضر هذا السماط أحد من عسكره ثم يقوم في الميدان فيدخل الخانكاه وقد اجتمع فيه من الصوفية ما بين ثمانمائة إلى الألف فيأخذون في السماع من بعد الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم فإذا كان من الغد بعث اليهم من يكتب أسماءهم وكل شيخ ومعه جماعة فيعطى المشايخ على قدر طبقاتهم من المائة دينار إلى الخمسين والثلاثين ولأتباعهم على حدة ومن شاء أن يسافر ومن شاء أن يقيم أياماً» وقال «ص ٦٨٣ حكى لى بإربل أنه كان ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار» ٥١٠هـ.

وكذلك الاحتفالات بالمولد التي وقعت بعد تلك الاحتفالات جرت على المبالغة والاسراف في صرف الاموال.

فقد قال شمس الدين السخاوى في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوى «وأكثرهم — أى أهل الاقطار — بذلك أى بعمل المولد عناية أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من العام الأعظم مقام. قال ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل العلية فرأيت ما هالنى وسرنى وما ساءنى وحررت ما أنفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين من الوعاظ والمنشدين وغيرهم من الأتباع والغلمان والخدام المترددين بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين بالحدس المصيب لا المين ما بين خلع ومطعوم ، ومشروب ومشوم ، ومشموع ، وغيرها مما يستقيم به الضلوع ، وعددت في ذلك خمسا وعشرين جوقة من القراء الصنتيتين المرجو كونهم مثبتين، ولم ينزل واحد منهم الا بنحو عشرين خلعة من السلطان ومن الأمراء الأعيان قال السخاوى قلت ولم يزل ملوك مصر خدام الحرمين الشريفين ممن وفقهم الله لهدم كثير من المناكير والشين ونظروا في الرعية كالوالد لولده وشهروا أنفسهم بالعدل فاسعفهم الله بجنده ومدده كالملك الشهيد الظاهر المصدق أبى سعيد جقمق يعتنون به ويتوجهون لطريق سببه بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين للزيادة على الثلاثين فذكروا بكل جميل وكفوا من المهمات كل عريض وطويل» نقل هذا كله الملا على قارى صاحب المورد

الروى في المولد النبوى» ص ٢٥-٢٦ عن السخاوى.

وورد في الجزء الأول من «أزهار الرياض في أخبار عياض» تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ص ٢٤٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

أن السلطان أبا حمو موسى بن يوسف يحتفل بليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ولا يقع منهم فيه إغفال قال «وقد تقدم أن العزفى صاحب سبته هو الذى سن ذلك في بلاد المغرب قال «ومن جملة احتفال السلطان أبى حمو المذكور ما قاله صاحب الارواح (١) «إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر الناس فيها خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغطاة، وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالهالات، ومباخر صفر منصوبة كالقباب يحاها المبصر من تبر مذاب، ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة، تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رباها الأرواح ويحامر، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الاقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب، وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة، قد زخرفت كأنها حلة يمانية ، لها أبواب مرتجة على عدد ساعات الليل الزمانية، فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ، وفتح عند ذلك باب من أبوابها ، وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعها بين يدى السلطان بلطافه، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعه حق الخلافة، هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح، ونداء المنادى حى على الفلاح» انتهى كلام صاحب راح الارواح. وقال (٢) في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى مانصه «وكان يعنى السلطان أبا حمو يقوم بحق

(١) صاحب «راح الارواح» هو ابو عبد الله التنسى ثم التلمسانى كما بينه المقرئ في الجزء

الرابع من نفخ الطيب» ص ٦٠٤

(٢) اى صاحب راح الأرواح بين ذلك المقرئ في ج ٤ من «نفخ الطيب من غصن الأندلس

الطيب» ص ٦٠٥ الطبعة البولاقية.

ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم، يقيم مدعاة ، يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من غمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة، وشمع كالاسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخبز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال كل منها بحظه، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيككة تحمل طائرا، فرخاه تحت جناحيه، ويختله فيهما أرقم، خارج من كوة بجذر الأيككة صعدا، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دوين رأس الخزانة، قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان، بفي كل واحد منهما صنجة صفر، يلقيها إلى طست من الصفر مجوف، بوسطه ثقب يفضى بها إلى داخل الخزانة فيرن، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبواه، فهنا يفتح باب الساعة الذهبية، وتبرز منه جارية محتزمة، كأظرف ماأنت راء، يمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما، ويسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة بالخلافة، والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يؤتى آخر الليل بموائد كاهلالات دورا، والرياض نورا، قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس ، وتستحسنها الأعين، وتلذ بسماعها الأذن، ويشره مبصرها للقرب منها والتناول وإن كان ليس بغرثان، والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدأ جلوسه فيه، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع، حتى يصلى هناك صلاة الصبح على هذا الاسلوب تمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام دولته، أعلى الله مقامه في عليين وشكر له في ذلك صنعه الجميل آمين ومامن ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها قصيدا في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أول مايتبدىء المسمع في ذلك المحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما، انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان وهو أتم مساقا من كلامه في راح الارواح».

هذه تصريحات أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال بالمولد النبوى ومن يراه بما تحتوى عليه تلك الاحتفالات باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى في أزمنتهم من بدع ومعاصى تتنافى مع دعوى المحتفلين تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم مقاله الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المألقي الأندلسى في ترجمة القاضى ابى عبد الله محمد بن عبد السلام

المنستيرى (١) من «كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» ص ١٦٢-١٦٣ طبعة دار الكتاب المصرى بالقاهرة مانصه «أخبرنى - أى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى - عن هذا القاضى رحمه الله بما حاصله أن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة وللمثول بين يديه ليلة الميلاد النبوي الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين المحل بحضور الأشراف وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم هز المسمع طره وأخذ يهتثم بألحانه وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته تزحزح القاضى أبو عبد الله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضى بالقرض المأمور به فقال له أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاء الله من أجلها لو شهدها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على مانحن فيه من مساعدة بعضنا لبعض في اللهو ورفع قناع الحياء بمحضر القاضى والفقهاء وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة كالإقرار بموجب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبات أخر من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور لكننا كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضلته فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبى يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضى من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكراً لله» ١٠١ هـ كلامه وإذا كان هذا موقف ذلك القاضى من الله واللعب في عمل المولد فما بالك بما انضم إليهما بعد ذلك من المناكر نسأل الله السلامة آمين.

(١) توفى هذا القاضى في أوائل الطاعون النازل ببلده عام ٧٥٠

فصل في الكلام على قصص المولد وعلى ماتحتوى عليه من أضرار

جرت عادة المحتفلين باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى بالاجتماع على قصص تسمى بالموالد وهى قصص ألقت لقراءتها في تلك المناسبة على هيئة يعتقد قراءها أنها من القرب ويتوهم العوام أنها من السنن المأثورة ولكون الكلام على تلك العادة يتطلب أمرين أحدهما بيان حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص والثانى ذكر ماتحتوى عليه تلك القصص من أضرار نوضح ذلك فنقول أما حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص فهو أنه بدعة لاريب في ذلك كما بينه العلماء ومن كلامهم في ذلك مايلي:

١ - قال العلامة الإمام الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في مناظرته لعلماء مكة التي وقعت بينه وبينهم عام ١٢١٨ بصدد بيانه للبدع المذمومة مانصه (ومنها - أى من البدع المذمومة - الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قرينة مخصوصة مطلوبة دون علم السير فإن ذلك لم يرد) وذكر في التفرقة بين الوارد من الأذكار وغيرها مانصه (ومنها - أى البدع المذمومة - مااعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم بقصائد بألحان وتخلط بالصلاة عليه وبالأذكار والقراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فينهى عن ذلك» ورد ذلك كله في الجزء الأول من «الدرر السنية» ص ١٣٢-١٣٣.

٢ - قال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من الفتاوى ص ١٢٤٣ مانصه (هذه الموالد - أى القصص المسماة بالموالد - بدعة بلانزاع وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوى أحد ملوك الشراكسة بمصر).

وأما الأضرار المحتوية عليها تلك القصص المعروفة باسم الموالد فكثيرة.

أولها : ايراد أحاديث غير ثابتة فيها

نبه على وجود الأحاديث الغير الثابتة في تلك القصص السخاوى والسيد رشيد رضا وعلى فكرى قال السخاوى (اكثر ماأبدي الوعاظ منه - أى مما يقرأ في المولد - كذب واختلاق بل لم يزالوا يولدون ماهو أقبح وأسمج مما لاتحل روايته ولاسماعه بل يجب على من علم بطلانه إنكاره والأمر بترك قراءته) نقل ذلك الملا على قارى في

«المورد الروى في المولد النبوى» ص ٣٢ عن السخاوى وقال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه ص ١٢٤٣ (لم نطلع على قصة من قصص المولد النبوى الشريف إلا ورأينا فيها كثيرا من الأخبار الموضوعة) وذكر أن تلك القصص التي يؤثرها الجهال زعما منهم أنها أكثر تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم مشحونة بالموضوعات والأكاذيب ثم قال «وقد أغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره بالكذب في سيرته» وذكر في الجزء السادس من الفتاوى ص ٢٤٢٨ تحت عنوان «معجزات المولد النبوى أن في تلك القصص الضعيف والموضوع وأن أكثرها مراسيل واسرائيليات منكرة» وقال السيد على فكرى في «المحاضرة السادسة عشرة من المحاضرات الفكرية» ص ١٢٩ (يجب أن تكون القصة التي تتلى في المولد النبوى الشريف مأخوذة من الأحاديث الشريفة المقبولة أما ماعتاد الناس سماعه من أهل التلحين والترنيم من الأقوال الخرافية والالوصاف التي لا تقرها الشريعة الإسلامية في الذات المحمدية فمنكر يجب الإقلاع عنه).

وعلى سبيل التمثيل لما في تلك القصص وبعض الكتب المصنفة في الدفاع عن المولد من أحاديث غير صحيحة أورد مايلي:

١ — ماجاء عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال «قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولاجنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا إنسى فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لإله إلا الله محمد رسول الله ، أورد هذا منه القسطلانى في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ٤٧ وزعم أن عبد الرزاق رواه كذلك بسنده عن جابر وأشار إلى أن له بقية بقوله بعد إيراد ما أورده منه (الحديث).

وأورده حسين بن محمد الديار بكرى في الجزء الأول من «تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس» ص ١٩-٢٠ عن جابر بن عبد الله الانصارى بلفظ «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله قال هو نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملته العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياة اثنى عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة الف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبى أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة . فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون من نورى والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعيم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوفيق من نورى وأرواح الأنبياء والرسل من نورى والشهداء والصالحون من نتائج نورى ثم خلق سبحانه اثنى عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهى مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبته الله في الأرض وكان يضىء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانش وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى يصب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدء خلق نبيك يا جابر».

بهذا اللفظ أورده الديار بكرى وقال «ذكره البيهقى» وذكر ابن الحاج في

المدخل(١) ج ٢ ص ٣٤ أن الخطيب أبا الربيع روى في شفاء الصدور له أن أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فاقبل ذلك النور يتردد ويسجد بين يدي الله عز وجل فقسمه الله تعالى إلى أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش ومن الثانى القلم ومن الثالث اللوح ثم قال للقلم إجر واكتب فقال يارب ما أكتب قال ماأنا خالقه إلى يوم القيامة فجرى القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر ماأمره الله سبحانه وتعالى به وأقبل الجزء الرابع يتردد بين يدي الله تعالى ويسجد لله عز وجل فقسمه الله أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العقل ومن الثانى المعرفة وأسكنها في قلوب العباد ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار والجزء الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه الصلاة والسلام فأسكن ذلك النور فيه فنور العرش من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور القلم من نور محمد صلى الله عليه وسلم ونور اللوح من نوره صلى الله عليه وسلم ونور النهار من نوره صلى الله عليه وسلم ونور العقل من نوره صلى الله عليه وسلم ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الأبصار من نوره صلى الله عليه وسلم واورد معه ابن الحاج في الباب ماأورد ثم قال «وقد ورد في هذا المعنى كثير فمن أراده فليقف عليه في كتاب الشفاء لأبى الربيع ولأجل هذا المعنى قال آدم عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم فيما نقل ياأبا معنأى وياابن صورتى» ١٠١ هـ وإلى هذا الحديث أشار الشيخ ابراهيم الرياحى التونسى في أول مولده بقوله ص ٤ «إن أول ماخلق الله نور هذا النبي الأواه) والبرزنجى في مولده ص ٤٢ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي بقوله في النبي صلى الله عليه وسلم «هو آخر الأنبياء بصورته وأولهم بمعناه» والميرغني بقوله في مولده ص ٩ (قال — أى النبي صلى الله عليه وسلم «أول ماخلق الله نور نبيه ياجابر» جوابا للمسألة المحكية.

(١) كتاب المدخل رغم مافيه من تنبيهات على كثير من البدع فيه كثير من الأحاديث الموضوعات ذكر ذلك صاحب كتاب السنن والمبتدعات ص ٢٩١ وقد أجاد في تصريحه بذلك وقال الشهاب الخفاجى في الجزء الأول من نسيم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ص ٢٦٢ ط دار الكتاب العربى في كلامه على البدع قد استوفى اقسامها ابن الحاج في المدخل وهو كتاب لم يصنف في بابيه مثله وإن كان فيه أمور غير مسلمة» قلت القائل إسماعيل الأنصارى من الأمور التي لاتسلم في المدخل لمخالفتها النصوص الشرعية دعوته في الفصل الذى عقده لزيارة القبور وفي الفصل الذى عقده لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستغاثة باصحاب القبور وإلى التردد على قبورهم لقضاء الحاجات وقد شان ابن الحاج كتابه بذلك وبعدم التحرى فيما يذكره فيه من الاحاديث.

٢ — حديث «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» إليه أشار الميرغنى في ص ٩ بقوله (وقال — أى النبي صلى الله عليه وسلم «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»^(١)) ونقل الشيخ محمد بن علوى في تعليقه على الطبعة الأولى لمولد الديبع ص ٢٠ عن العلقمى أنه صححه في شرح الجامع الصغير ونصه (الشيخ العلقمى في شرح الجامع الصغير قال عن هذا الحديث (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) إنه حديث صحيح ، كذا في شرح الجامع وقال الملا على القارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٣٣ (هو — أى خبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) وإن قال بعض الحفاظ لم نقف عليه بهذا اللفظ لكن جاء معناه من طرق صحيحة منها مارواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد عن العرباض بن سارية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنى مكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) أى لطريح ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. ومنها مارواه أحمد والبخارى في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم عن ميسرة الضبى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد» ويروى (كتبت) من الكتابة. ومنها خبر الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد.

٣ — ماجاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) أورده الشيخ محمد بن علوى المالكى في تعليقه على طبعة مولد ابن الديبع الاولى طبعة مطابع سحر بجدة ص ٢٠ وفي تعليقه على طبعة مولد ابن الديبع الاخرى ط مطبعة السعادة ص ١٤ وفي تعليقه على المورد الروى في المولد النبوى ص ٤٢ قال في الجميع «قال السخاوى ورواه أبو نعيم في الدلائل وابن أبى حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقه عن ابى هريرة مرفوعا وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحى ابن حبان والحاكم وثالث عند الترمذى وقال حسن صحيح.

(١) ذكر ذلك في مولده وهو مولد يحتوى من الاطراء على اشياء كثيرة منها هذا ومنها قوله في ص ٤ (من ميم اسمه — أى محمد صلى الله عليه وسلم — امتدت سائر العوالم الخلقية وحاء رحته التى رحم بها الملوان ومن ميمه الأخرى تعينت مياه العوالم الحسية والمعنوية وامتلاؤها من أنوار واسرار وإذعان، ومن دال ذلك الاسم دامت نظمات الممالك الملكية.

٤ - خبر «لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن ياتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم)، ذكره القسطلاني في المولد من «المواهب اللدنية» ج ١ ص ٤٢ وذكر هو والزرقاني شارح المواهب اللدنية أنه أورده عبد الله ابن أبي جمرة في بهجة النفوس وأبو الربيع بن سبع في شفاء الصدور وأبو سعد في شرف المصطفى وابن الجوزي في الوفاء».

٥ - ماجاء عن زين العابدين على بن الحسين عن جده على بن أبي طالب رضى الله عنهم رفعه (كنت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبد المطلب ، هكذا أورده الملا علي قارى في (المورد الروى في المولد النبوى) ص ٥٧-٥٨ وأورد منه أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني في (المواهب اللدنية) ج ١ ص ٤٩ أورده منه «كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) مقتصرا عليه وذكر أنه في أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم. وجاء في طبعتي مولد الديبع اللتين أشرف عليهما الشيخ محمد بن علوى المالكي^(١) مانصه (عن بحر العلم الدافق، ولسان القرآن الناطق، أو حد علماء الناس ، سيدنا عبد الله بن سيدنا العباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كنت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته قال صلى الله عليه وسلم (فأهبطنى الله عز وجل إلى الأرض في ظهر آدم وجعلنى في السفينة في صلب نوح، وجعلنى في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار، ولم يزل الله عز وجل

(١) طبعة مطبعة السعادة ص ٢٣-٢٥ وطبعة مطابع سحر بجده ص ٢٩ - ٣١ وأما طبعة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر المؤرخه بعام ١٣٤٢ فلفظها «قريشا» وهو اللفظ الوارد من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « وأما رواية «كنت نورا» فإنما وردت من رواية على وسلمان رضى الله عنهما.

ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة حتى أخرجني الله من بين أبوى وهما لم يلتقيا على سفاح قط) وعلى لفظ مولد ابن الديبع علق الشيخ السيد محمد بن علوى المالكي ص ٢٩- بما نصه قوله (كنت نوراً) رواه محمد بن عمر (١) العدنى شيخ مسلم في مسنده وابن الجوزى في «الوفا» ٣٥/١ وفي الموضوعات له والسيوطى في اللئالىى المصنوعة ٢٦٥/١ والقاضى عياض في الشفاء وقال يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدحه صلى الله عليه وسلم ٨٣/١ وهو قوله رضى الله عنه:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر	أنت ولا مضفة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألـ	جم نسرأ وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مستترا	في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف	علياء تحتها النطق
	الخصائص ٩٧/١

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر هذه الأبيات في ترجمة خريم بن أوس قال: قال هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك: فأنشأ يقول... وساق الأبيات ثم قال وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس كما رواه خريم كذا في الاستيعاب ٤٤٧/٢ قال مقبده وجرير هذا قدم مع أخيه خريم على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر: جرير بن أوس الطائى هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم وروى شعر العباس بن عبد المطلب الذى مدح به النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال: خريم وجرير قدما معا على النبى صلى الله عليه وسلم ورويا شعر العباس ، الاستيعاب ٢٤٠/٢ قال مقبده عفا الله عنه وذكر هذه الأبيات أيضا الحافظ ابن حجر في «الاصابة في ترجمة خريم وقال رواها ابن أبي خيثمة والبخارى وابن شاهين ٢٣/١ قال مقبده ثم ظفرت بفائدة نفيسة وهى أن الحاكم روى أيضا في كتابه «المستدرک» هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبى وهو معروف بتشده وتعتنه فقال رواية الأعراب عن آبائهم ومثلهم لا يضعون» كذا في المستدرک

(١) كذا في الأصل والصواب «أبى عمر»

وتلخيصه ٣/٣٢٧ وقد ذكر هذه الأبيات أيضا الحافظ ابن كثير في السيرة ١/١٩٥ عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال قال جدى خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت العباس عمه يقول يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل «لايفضض الله فاك فأنشأ يقول : وقال قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس، ١٠١هـ تعليق محمد بن علوى.

٦ - ما ذكره ابن الجوزى في سلوة الأحزان وهو أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه - فقال يارب وماذا أعطيتها . قال يا آدم صل على حبيبى محمد عشرين مرة ففعل ، وأورده الملا على القارى في المورد الروى ص ٤٥ وقال قبل ذلك «عن ابن عباس رضى الله عنهما كان - أى زمن السجود لآدم(١) - يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حى فلما استيقظ ورأها سكن إليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها لى فقال حتى تؤدى مهرها قال ومأمهرها قالوا تصلى على محمد ثلاث مرات» وجمع الملا على القارى بين الرويتين بقوله «قلت ولعل الثلاث كان مهرا معجلا والعشرين صداقا مؤجلا».

وأورده المناوي في مولده ص ١٩-٢٠ بلفظ (خلق الله حواء من ضلع من أضلاع آدم الشمالية أى خلقها الله تعالى منه وهو في سنة المنام فلما استيقظ منه ورأها جالسة على كرسى من المعادن الذهبية رام القرب منها فقالت الملائكة له مه يا آدم قال كيف وقد خلقها الله تعالى لى وذلك من الله بالهام فلما انقضت من آدم مقالته اللفظية قالت له الملائكة حتى تؤدى صداقها بالكمال والتمام فقال وماهو قالوا أن تصلى على محمد بن عبد الله ثلاث مرات وفي رواية عشرين عددية ففعل فجرى وجوب الصداق في ذريته على ممر الدهور والأعوام ثم جمع الله رؤساء الملائكة وقال أشهدكم ياملائكتى أنى زوجت عبدى آدم من أمتى حواء».

٧ - حديث «ان الأرواح خلقت قبل الأجساد» أورده الملا على قارى في «المورد الروي في المولد النبوى» ص ٣٥ بصدد الكلام على حديث «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» وذكر كلام السبكى في تفسيره به ونصه «جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد» فالإشارة ب «كنت نبيا» إلى روحه الشريفة أو حقيقة من

(١) لفظ «أى زمن السجود لآدم» من شرح المواهب اللدنية للزرقانى وقد أدى عدم ذكره في متن ذلك الخبر وعدم التنبيه عليه في بعض المراجع إلى الخلل.

حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حياه بالاطلاع عليها ثم إنه تعالى يؤتى لكل حقيقة منها ما شاء في أى وقت شاء فحقيقته صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام آتاه الله تعالى ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه الشريف على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده. فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها فحينئذ تنجز إيتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخر فيه وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والارحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتم صلى الله عليه وسلم قال «ومن فسر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه والا لم يختص بأنه نبي إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه» ١٠١ هـ مانقله الملا على قارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٣٥ - ٣٦ عن السبكي في تفسير حديث «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» بخبر «إن الأرواح خلقت قبل الأجساد» واعتبره أحسن ما قيل في تفسيره وهذا الذى نقله الملا على قارى عن السبكي مأخوذ من رسالة السبكي «التعظيم والمنة في «لتؤمنن به ولتنصرنه» وهى من محتويات الجزء الأول من فتاوى السبكي.

٨ - ماورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد الا غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال: يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم لأنه أحب الخلق لى وإذ سالتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» أوزده الملا على قارى في «المورد الروى في المولد النبوى» وقال ص ٤٥-٤٦ (رواه البيهقى في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبرانى وزاد فيه.

وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ويظهر من صنع الملا على قارى في المورد الروى اعتماده على تصحيح الحاكم اياه وقد علق الشيخ محمد بن علوى على عبارة (ورواه الحاكم وصححه) بقوله (لا عبرة بقدر الذهبى فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة للطرق والشواهد).

٩ — ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن) أوردته ابن ناصر الدين في مورد الصادى إلى مولد الهادى وعزاه إلى طبقات الاصبهانين لأبى الشيخ وقال «صحح الحاكم اسناده» وأوردته الزرقاني في الجزء الأول من شرح «المواهب اللدنية» ص ٤٤.

١٠ — ماورد في حديث أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال في خطبة له تتعلق بشرف نسبه (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار) أشار إليه البرزنجى في مولده ص ٧٧ بقوله بعد سرد النسب النبوى إلى عدنان (هذا سلك نظمت فرائده بنان السنة السنية) وأورد ذلك الحديث الملا على القارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٥٦ الطبعة الأولى وأشار إليه الشيخ محمد بن محمد بن محمد العزب في مولده بقوله ص ٦٣ بعد سرده نسب النبى صلى الله عليه وسلم إلى عدنان وإليه قد كان المشفع ينتهى.

١١ — حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أنا ابن الذبيحين» يعنى بهما جده إسماعيل عليه السلام وأباه عبد الله أوردته الملا على القارى في (المورد الروى في المولد النبوى) ص ٦٩.

١٢ — حديث وضع الحوامل المذكور في السنة التي ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم كرامة له إلى هذا الحديث أشار المناوى في مولده ص ٤٣ بقوله (ووضعت الحوامل المذكور تعظيماً لقدم ذاته المحمدية وأشار إليه العزب في مولده بقوله ص ٦٦ في عامه كل النساء كرامة للمصطفى حلت ذكوراً رشداً

١٣ — حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالت هل برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى بعض ألفاظه ما ينص على أن آسية ومريم ونساء من الحور العين حضرن ولادة النبى صلى الله عليه وسلم) أشار البرزنجى إلى ما فيه من نطق الدواب بذلك أشار إليه بقوله في مولده ص ٧٩ (ونطقت بحمله كل دابة لقريش بفصاح الألسن العربية) قال «وتباشرت وحوش المشارق والمغرب ودوابها البحرية وأشار إلى ماورد في حضور آسية ومريم ونساء من الحور

العين ولادته بقوله ص ١٢ ط مطبعة مصطفى الحلبي «حضر أمه ليلة مولده الشريف آسية ومريم في نسوة من الخطيرة القدسية». وذكر السيد رشيد رضا أنه ورد أيضا في قصة مولد الرياحي التونسي ذكر ذلك في ج ١ من الفتاوى ص ٣٣٩.

١٤ — حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من كرامتي على ربي أنى ولدت مختونا» أشار إليه البرزنجي في مولده بقوله (ولد — أى النبي صلى الله عليه وسلم — نظيفا مختونا مقطوع السرة بيد القدرة الالهية) وقال الملا على القارى في المورد الروى في المولد النبوى ص ٨٧ «روى الطبرانى وأبو نعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من كرامتي على الله أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سواتى» وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا» أى مقطوع السرة ففرج به جده وقال ليكونن لابنى هذا شأن» وقال الحكيم أبو عبد الله الترمذى إنه ولد مختونا» ورغم ذكر الملا على قارى ٨٨ أن الحافظ العراقي قال لا يثبت في هذا كله أى في أنه ولد مختونا وفي أن جده عبد المطلب ختنه — شئ وأن الإمام أحمد توقف في كونه ولد مختونا وفي كون جده ختنه قال المروذى (١) سئل — أى الإمام أحمد — هل ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا فقال الله أعلم ثم قال لأدرى وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر من أئمة الحنابلة قد روى أنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا ولم يجترأ أبو عبد الله يعنى الإمام أحمد بن حنبل على تصحيح هذا الحديث وقال بعض الأئمة إن ختان جده له على ما في المروى به أشبه) رغم ذكر على القارى هذا كله لم يرتضه بل تعقبه بقوله (لكن قال الحاكم إن الأول يعنى أنه ولد مختونا — قد تواترت به الرواية قال السخاوى وهو الذى أميل إليه سيما مع قول أمه ولدته نظيفا).

١٥ — حديث مناغاة النبي صلى الله عليه وسلم القمر في المهد ذكره ابن طغربك السيف في «النطق المفهوم» عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال «قلت يارسول الله دعانى إلى الدخول في دينك أمانة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه باصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إني كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش» وأورده الملا على قارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ١٠١ وذكر أنه أخرجه البيهقى والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما. وإليه أشار المناوى في مولده ص ٤٣ بقوله «وكان صلى

(١) لفظ (المروذى) هو الصواب لا لفظ (المزى) الذى ورد في طبعة «المورد الروى».

الله عليه وسلم وهو في المهد يناغى القمر ويتحرك مهده بتحريك الملائكة الروحانية وحديثه مع القمر لأجل تسليته عن البكاء ونزول دموعه السجام».

١٦ — ماجاء عن بريدة رضى الله عنه قال «رأت آمنة وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدته فسميه أحمد أو محمداً وعلقى عليه هذه فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها:

أعينه بالواحد	من شر كل حاسد
وكل خلق رائد	من قائم وقاعد
عن السبيل حائد	على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد	وكل خلق مارد
يأخذ بالمرصد	في طرق الموارد

أنها هم عنه بالله الأعلى ، وأحوطه منهم باليد العليا والكنف الذى لا لا يرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لا يطرده ولا يضرونه في مقعد ولا منام ولا سير ولا مقام أول الليل وآخر الأيام» أورده الشيخ محمد بن يوسف الصالحى الشامى في «سبل الهدى والرشاد» ج ١ ص ٣٩٤-٣٩٥ وذكر أنه مشهور في كتب الموالد وأن بعض أهل السير جعل تلك الأبيات من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

١٧ — ماعند ابن عساكر عن سلمان رضى الله عنه قال «هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول إن كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا» أورده الملا على قارى في «المورد الروى في المولد النبوى» ص ٤٦

١٨ — ماورد في خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله هذا آخر موطنى من الأرض كنت حاجتى من الدنيا» ورد هذا في مولد المناوى ص ٨٢ (١).

هذه نبذة مما ورد في قصص المولد وفي بعض الكتب التي بحثت في المولد من أحاديث غير صحيحة بعد إيرادها نبين عدم صحتها فنقول وبالله التوفيق.

(١) طبعة شركة الشمري بالاسكندرية.

أما حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنهما أنه قال «قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره» الحديث فيؤخذ الجواب عن روايته التي أوردتها القسطلاني وعزاها إلى عبد الرزاق وعن غيرها من رواياته التي أمضيها يؤخذ الجواب عن جميع ذلك ممايلي:

١ — ما في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية حول ما جاء في أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلق مما خلق منه البشر وإنما خلق من نور قبل المخلوقات ومنه خلقت الأشياء.

فقد قال في رسالة له في لباس الفتوة عند المتصوفة (١) ومسائل أخرى فشت فيهم جوابا لسؤال وجه إليه: هل خلق النبي صلى الله عليه وسلم من النور أم خلق من الأربع عناصر أم من غير ذلك وهل الحديث الذى يذكره بعض الناس لولاك ما خلق الله عرشا ولا كرسيًا ولا أرضا ولا سماء ولا شمسًا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح ام لا قال في الجواب عن ذلك السؤال مانصه «النبي صلى الله عليه وسلم خلق مما خلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله خلق الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر. وآدم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ فيه من روحه أسجد له الملائكة وفضله عليهم بتعليمه أسماء كل شىء وبأن خلقه بيديه وبغير ذلك فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور. وهذه مسألة كبيرة مبسطة في غير هذا الموضع فإن فضل بني آدم هو بأسباب يطول شرحها هنا وإنما يظهر فضلهم إذا دخلوا دار القرار «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» والآدمي خلق من نقطة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر إلى كبر ثم من دار إلى دار فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله بخلاف الملك الذى تشابه أول أمره وآخره ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الأنبياء حيث نظر إلى أحوال الأنبياء وهم في أثناء الأحوال قبل أن يصلوا إلى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه

(١) هي في الجزء الأول من «مجموعة الرسائل والمسائل ط مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠.

صريف الأقلام وعلا على مقامات الملائكة. والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحى الآدميين من الأنبياء والأولياء مالم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ماتفرق في المخلوقات فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملا الأعلى ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم الكبير وعحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه ومن هنا قال من قال إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيًا ولا أسماء ولا أرضا ولا شمسًا ولا قمرًا ولكن ليس هذا حديثًا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحيا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدري قائله» ١٠١ هـ المراد من الرسالة المذكورة.

وقال في الجزء الثانى من «الجواب» الصحيح لمن بدل دين المسيح» ص ٢٠٦ في كلامه على عبارة في الإنجيل ظن بعض النصارى أن المراد بها وجود ذات المسيح قبل خلق الدنيا قال في ذلك الظن الخاطيء «يضاهى ظن طائفة من غلاة المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون إن ذات النبى صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون إنه خلق من نور رب العالمين ووجد قبل خلق آدم وإن الأشياء خلقت منه حتى قد يقولون في محمد صلى الله عليه وسلم من جنس قول النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون في ذلك أحاديث وكلها كذب».

وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى بصدد الرد على الاتحادية وغيرهم من الجهال ص ٩-١٠ مانصه «هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حينئذ — أى قبل خلق آدم عليه السلام — موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه أنه كان نورا حول العرش فقال يا جبريل أنا كنت ذلك النور ويدعى أحدهم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل».

وقال في الفتاوى ج ١٨ ص ٣٦٦ — ٣٦٧ (١) فيما ذكره القصاص من أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت وزلقت فخلق من كل قطرة نبيا وأن القبضه كانت هى النبى صلى الله عليه وسلم وأنه بقى كوكبادريا» قال فيه «هذا كذب — أى على النبى صلى الله عليه وسلم — باتفاق أهل المعرفة بحديثه وكذلك

(١) جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

ما يشبه هذا مثل أحاديث يذكرها شيرويه الديلمى في كتابه الفردوس ويذكرها ابن حمويه في حقائقه مثل كتاب المحبوب ونحو ذلك مثل ما يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كوكبا وأن العالم خلق منه وأنه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل وأمثال هذه الأمور فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته. والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من أبويه».

وقد نقل الزرقانى في «شرح المواهب اللدنية» ج ١ ص ٢٨ هذا بايجاز عن الإمام ابن تيمية وذكر أن ابن كثير نقله عنه وأقره ولفظ الزرقانى «وأما ما ذكر أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت وزلقت فخلق الله من كل نقطة نبيا وأن القبضة كانت هى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان كوكبا دريا وأن العالم كله خلق منه وأنه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه جبريل وأمثال هذه الأمور فقال أبو العباس أحمد بن تيمية في فتاويه ونقله الحافظ ابن كثير في تاريخه وأقره كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من أبويه».

٢ — مافي «الحاوى للفتاوى ج ١ ص ٣٢٣ أن السيوطى سئل «هل الوارد في الحديث أن الله خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم فجزأه أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العرش وخلق من الجزء الثاني القلم. وخلق من الثالث اللوح ثم قسم الجزء الرابع وجزأه أربعة أجزاء وخلق من الجزء الأول العقل وخلق من الجزء الثاني المعرفة وخلق من الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار ونور النهار وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش مدخوراً فأجاب السيوطى عن ذلك السؤال بقوله ص ٣٢٥ «الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه».

٣ — مافي الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٥ حول قول صاحب تلك الشبه الداحضة روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فساق صاحب تلك الشبه من ذلك الخبر ما أورده القسطلانى في المواهب منه مدعياً أن عبد الرزاق رواه بسنده عن جابر فقد أجاب الشيخ سليمان عنه بأنه

حديث مكذوب موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالف لصريح الكتاب والسنة لاجابة بأهل الإسلام فيما يتعلق بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم وشماله وفضائله إليه ولا إلى غيره من الموضوعات بل فيما ذكره أهل العلم بالله من حملة القرآن والسنة وأهل الحفظ والاتقان من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ومعجزاته وشماله مما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنع عما يذكر الموضوعون من الأكاذيب الموضوعية والأحاديث المصنوعة ثم قال « ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا — أى ذلك الحديث الذى يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر الانصارى من الكذب الذى لا يمتري فيه — أى في كونه كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم — عاقل فضلا عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه.

واستدل العلامة سليمان بن سحمان في الصواعق المرسلة الشهائية على الشبه الداحضة الشامية على بطلان ذلك الحديث بأمور.

أحدها ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان أول ما خلق الله من الأشياء فقد جاء في بعض النصوص انه القلم روى أبو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه أنه قال يابنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من مات على غير هذا فليس منى» وقال عثمان بن سعيد الدارمى في الرد على الجهمية «حدثنا محمد بن كثير العبدى أنبانا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه. وجاء في بعض النصوص أن أول ما خلق الله العرش فقد قال الإمام عثمان الدارمى في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدى أنبانا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه. ورواه أيضا أبو القاسم الالكائى في كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس إن ناسا يقولون في القدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه أى لآخذن بناصيته إن

الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه» بعد إيراد الشيخ سليمان جملة من النصوص الواردة في الباب وتصحيحه أن العرش قبل القلم جزم بأن ذلك الحديث الذي جاء فيه أن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيه مناقض للأحاديث الواردة في أولية العرش والأحاديث الواردة في أولية القلم.

الثاني ما في صحيح البخارى عن عمران بن حصين قال إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قد قبلنا جئناك لنفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر قال : كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وإيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم» قال الشيخ سليمان بن سحمان قد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أول هذا الأمر فأخبرهم أن الله كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ولو كان الله خلق نور محمد قبل الأشياء لذكره.

الثالث ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» فإنه يدل على أن آدم لم يخلق من نور محمد صلى الله عليه وسلم وإنما خلق مما بينه الله في كتابه «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» وقال «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون» كما يدل هذا الحديث على أن الملائكة لم يخلقوا من نور محمد صلى الله عليه وسلم.

الرابع أن نور الله الذي ورد في ذلك الخبر الذي يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر قد يتوهم متوهم أنه نور الله الذي هو صفته وذلك محال لأن صفة الله لا يتكون منها شيء مخلوق وإنما تتكون الأشياء وتخلق بأمره تعالى وتكوينه «إنا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون».

الخامس أن قول الله تعالى (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأَرْض في يومين» إلى قوله «ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات في يومين» يدل على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء وذلك الخبر الذي يقال بأن عبد الرزاق رواه

عن جابر صريح في أن السموات خلقت قبل الأرض.

السادس أن ماتضمنته ذلك الخبر من أن النار مخلوقة من نور محمد صلى الله عليه وسلم يتنافى غاية التنافي مع كون النار محل غضب الله وسخطه إذ لا يمكن مادام الأمر كذلك أن تكون النار مخلوقة من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل خلق الله عز وجل. هذا ما لخصناه من كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء.

٤ — مافي «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات» للشيخ محمد عبد السلام الشقيري تعليقا على قطعة من خطبة الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل الشهير بابن نباتة الأولى لربيع الأول في المولد نصها (وقبض — أي الله عز وجل — قبضة من نوره وقال كوني محمدا سيد البشر^(١)) وقسم نوره أربعة أقسام كما قد جاء في الخبر فخلق من الجزء الأول اللوح والقلم فكتب القلم ما به الله قد أمر، وخلق من الثاني العرش والكرسي وكان اسم الرسول على العرش مسطرا، مكتوب عليه لا إله إلا الله لأغفر لقاتلها حتى معها يا محمد تذكر، وخلق من الثالث الشمس والقمر، ونور الفجر إذا ظهر، وخلق من الرابع الجنة والنار وما فيها من حور وقصور وثمر، فلما أراد الله أن يخلق آدم أبا البشر أفرغ على طينته من نور النبي المفتخر. وقال لها كوني آدم فكانت» فقد جاء في تعليق الشقيري على هذه القطعة ص ٩٣ من «السنن والمبتدعات» مانصه «مسألة خلق كل شيء من نور النبي صلى الله عليه وسلم التي جعلها — أي ابن نباتة — موضوع خطبته قد أوضحها وبين بطلان حديثها صاحب المنار بالمجلد الثامن ص ٨٦٥^(٢) فقد أفاض هنالك وأفاد وأجاد فجزاه الله عن تحقيق الحق خير الجزاء وحديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» أخرجه عبد الرزاق ولا أصل له وليس فيه تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم بل هو مشار شبهات وشكوك في الدين قال الله تعالى «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» وقال تعالى «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد» وقد أصاب صاحب «السنن والمبتدعات» في إيضاحه أن الخبر الذي أشار إليه ابن نباتة والذي يقال بأن عبد الرزاق أخرجه لأصل له أصاب في ذلك وأجاد وليته اقتصر

(١) في ديوان خطب ابن نباتة ص ٢٤—٢٥ ط المطبعة اليوسفية بمصر بين «كوني محمدا سيد البشر» وبين «وقسم نوره» مانصه (فكانت بين يديه كالمصباح الأنور الأزهر فشعشع ونور) وقد سقط في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب «السنن والمبتدعات».

(٢) كذا في «السنن والمبتدعات».

على ذلك ولم يصف إليه قوله بعد ذلك مانصه وقد قال محمد بن عثمان الثقفى البصرى والله الذى لا إله الا هو إن عبد الرزاق كذاب» فان هذا القول في عبد الرزاق ليس لمحمد بن عثمان المذكور وإنما هو للعباس بن عبد العظيم العنبرى ولم يوافقه عليه أحد كما بينه الإمام الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» في نقد الرجال» ج ٢ ص ٦١٠ - ٦١١ وفي «سير أعلام النبلاء» ج ٩ ص ٥٧١ - ٥٧٢ قال في «ميزان الاعتدال» محمد بن عثمان الثقفى البصرى قال لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق اتيناه فقال لنا ونحن جماعة ألسنت قد تجشمت الخروج إلى عبد الرزاق ووصلت إليه واقمت عنده فوالله الذى لا إله الا هو إن عبد الرزاق كذاب والواقدى أصدق منه . قلت - القائل الحافظ الذهبي - هذا ماوافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ماروى» وقال في سير أعلام النبلاء مانصه «العقيلي في كتاب الضعفاء له في ترجمة عبد الرزاق حدثنا محمد بن أحمد بن حماد سمعت محمد بن عثمان الثقفى قال لما قدم العباس بن عبد العظيم من عند عبد الرزاق من صنعاء قال لنا ونحن جماعة ألسنت قد تجشمت الخروج إلى عبد الرزاق فدخلت إليه وأقمت عنده حتى سمعت منه ماأردت والله الذى لا إله الا هو إن عبد الرزاق كذاب والواقدى أصدق منه قلت - القائل الذهبي - بل والله ما بر عباس في يمينه ولبس ما قال يعمد إلى شيخ الإسلام ومحدث الوقت ومن احتج به كل أرباب الصحاح وإن كان له أوهام مغمورة وغيره أبرع في الحديث منه فيرميه بالكذب ويقدم عليه الواقدى الذى أجمعت الحفاظ على تركه^(١) فهو في مقالته هذه خارق للاجماع».

وكلام أئمة العلم في الثناء على عبد الرزاق كثير يطول الكلام بمحاولة استيعابه والذى يهمنا من كلام صاحب السنن والمبتدعات جزمه بأن حديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» لأصل له.

هذا وبمناسبة جوابنا عن تلك القطعة التي وردت في خطب ابن نباتة نستحسن أن نتكلم عن ابن نباتة وعن ديوان خطبه بكلام موجز مفيد فنقول وبالله

(١) في حكاية الذهبي الاجماع على ترك الواقدى نظر فقد دافع عنه غير واحد من أهل العلم منهم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس في «عيون الأثر» وقد اعتمد على كلامه الإمام الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتى الديار السعودية ورئيس قضااتها في رسالته «نصيحة الاخوان في الرد على ابن حمدان ص ٦٦ - ٧٣ جزاها الله خير الجزاء عن الواقدى.

ورد في ترجمة عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة صاحب ديوان الخطب من «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لجمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ج ٤ ص ١٤٦ مانصه «كان — أى عبد الرحيم المذكور — يحفظ نهج البلاغة وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها» وفي كلامه هذا شدة ارتباط خطب ابن نباتة بكتاب «نهج البلاغة» وهو كتاب تكلم فيه غير واحد من أهل العلم منهم الإمامان الحافظان شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي نصا على انه غير معتبر وفي كلامهما غنية عن كلام غيرهما فلذلك تقتصر عليه فنقول قال شيخ الإسلام في الجزء الرابع من «منهاج السنة» ص ٢٤ في «نهج البلاغة» (أهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها اسناد معروف فهذا الذى نقلها من ابن نقلها ولكن هذه الخطب بمنزلة من يدعى أنه علوى أو عباسى ولانعلم أحدا من سلفه ادعى ذلك قط ولا ادعى ذلك له فيعلم كذبه فإن النسب يكون معروفا من أصله حتى يتصل بفرعه وكذلك المنقولات لا بد أن تكون ثابتة معروفة عمن نقلت عنه حتى تتصل بنا فإذا صنف واحد كتابا ذكر فيه خطبا كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يرو أحد تلك الخطب قبله باسناد معروف علمنا قطعا أن ذلك كذب وفي هذه الخطب — أى المذكورة في نهج البلاغة — أمور كثيرة قد علمنا من على ما يناقضها» وقال في نفس ذلك الجزء من «منهاج السنة» ص ١٥٩. صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام على ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به ومنه ما هو كلام حق يليق أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره ولهذا يوجد في كلام البيان والتبيين للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي وصاحب نهج البلاغة يجعله عن على. وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن على من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرا منها بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا كذب والا فليبين الناقل لها في أى كتاب ذكر ذلك ومن الذى نقله عن على وما اسناده. والا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة علي بن الحسين المرتضى المتكلم المعتزلى من «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ١٢٤ «من طالع كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضى الله عنه ففيه السب الصراح والخط على السيدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل ١٠١هـ. مانقلناه عن منهاج السنة والميزان يضاف إليه ماورد في ترجمة الناصح من «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ج ٢ ص ١٩٩ ان الناصح قال كان أبو اليمن الكندى قد أخذ على ابن نباتة في خطبه كلمات من جهة اللغة وفي قوله الحمد لله الذى اختار البقاء لنفسه وارتضاه قال وكنت نظرت في خطب ابن نباتة فأخذت عليه مواضع كثيرة من حيث المعانى واعتذرت عنه في قوله «اختار البقاء لنفسه» وحملته على محمل يصح (١) ثم قرأت هذا الكتاب على الكندى بحضرة جماعة فتغير وجهه وصار يقول في بعض المواضع ماأراد هذا فيقول يسمع سيدنا الشيخ تمام الفصل فان أراد كذا فباطل بكذا قال وكان مجلسنا مشهودا».

٥ — مافي الجزء الأول من فتاوى السيد رشيد رضا ص ٣٣٩ تعليقا على قول إبراهيم الرياحى التونسى في قصته في المولد النبوي (٢) (إن أول ماخلق الله نور هذا

(١) كيف يعتذر عن هذه الكلمة.

(٢) ذكر السيد رشيد رضا ذلك بعد ما بين أن قصة المولد الرياحي كغيرها من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها وأوجب الاستغناء عما فيها من ذلك — بالمناقب والآثار التي هى أوضح من النهار» وقد جاء في ترجمة مؤلف تلك القصة إبراهيم الرياحي من فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشخات والمسلسلات» للشيخ عبد الحى الكتانى ج ١ ص ٤٣٩ طبعة دار الغرب الإسلامى مانصه (للمترجم — أى إبراهيم الرياحي التونسى — مولد نبوى مستعمل بالقطر التونسى وختم صحيح البخارى ورد على الوهابية قرظه شيخ الإسلام محمد بريم الثالث وغيرها) فلا يستغرب من الرياحي مادام أمره هكذا أن يقع في الاطراء والابتداع ومن ورث منه إبراهيم الرياحي عداوته لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب شيخه إسماعيل التميمي فقد جاء في ترجمته من تراجم المؤلفين التونسيين للشيخ محفوظ أن من مؤلفاته المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية قال الشيخ محمد محفوظ ج ١ ص ٢٤٨ ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة إلى الباشا الباي المذكور وضع فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها — أى على غير الطريقة الشرعية — وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن وأصبحت من العقائد التي ينافح عنها العلماء الذين لم تكن عقولهم هاضمة لتفكير محمد بن عبد الوهاب وكانوا اكثر ميلا إلى القبوريين والخرافات الشركية والبدعية مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامى في هذا العصر المظلم الذى التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييدا للبدع ومقاومة للتوحيد الخالص.

النبي الأواه) ونصه (لم تصح به — أى بكون نور محمد صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله — رواية وأقوى الروايات وأكثرها في بدء الخلق أن أول شيء خلقه الله القلم) وكذلك مافي الجزء الثاني من تلك الفتاوى ص ٤٤٧—٤٤٨ في الكلام على ذلك الخبر المتضمن ان أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله خلق كل شيء من ذلك النور ونصه (هذا الحديث حديث جابر المروى عن عبد الرزاق لا أصل له وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ورحمة الله تعالى للعالمين بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين «ومحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» وما الرسل الا بشر مثلكم يوحى إليهم ما فيه هداية لكم وما البشر الا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها الا هو قال فيهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ففضلية نبينا صلى الله عليه وسلم على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم للاتصال بعضهم ببعض فهو صلى الله عليه وسلم أنفع الناس للناس ولو كان هو الأصل لجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين الذى ما فرط فيه في شيء من مهمات الدين أو لروى برواية صحيحها جماهير المحدثين وكل ذلك لم يكن فأنفراد عبد الرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ولا يشهد لها نقل، ثم أورد السيد رشيد رضا كلام بعض أهل الحديث في عبد الرزاق وأورد منه قول العباس بن عبد العظيم العنبري والله الذى لا إله إلا هو إن عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه وذكر أن الحافظ الذهبي تعقب قول العنبري بقوله (قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به الا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى ونقل عن الذهبي أنه قال في ترجمة أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق قال ابن حبان كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ما وقع في حديث عبد الرزاق من المناكير فبليتته منه وقال كذبه أحمد والناس.

ومما ذكره السيد رشيد رضا في كلامه على هذا الخبر قوله في ص ٤٤٦ (إذا رجعت إلى استقصاء ما روه — أى أهل الحديث — في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث — أى الذى يقال بأن عبد الرزاق رواه عن جابر — ورووا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبى داود والترمذى «إن أول ما خلق الله القلم» الحديث وهو عند ابن أبى شيبه وأبى نعيم في الحلية والبيهقى عن ابن عباس «إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون».

٦ - مافي (المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير) للشيخ أبي الفيض أحمد ابن أبي عبد الله محمد بن الصديق الغماري الحسنى ص ٦ - ٧ بصدد انتقاده صنيع السيوطى فيما يورده في كتبه من الأحاديث ونصه (يورد - أى السيوطى - الحديث الموضوع الذى في نفس متنه مايدل دلالة واضحة على وضعه كطوله المفرط ، واشتماله على الألفاظ الركيكة والمعانى المنكرة فيذكر منه قطعة صالحة ، أو يقتصر على أوله الذى ليس فيه نكارة ظاهرة ويترك باقيه الدال على وضعه موها أحيانا أن ذلك هو الحديث بتمامه ويشير أحيانا إلى أن له بقية بقوله «الحديث» كما فعل في حديث جابر «أول ماخلق الله نور نبيك يا جابر» فإنه أورد في الخصائص الكبرى قطعة من أوله وهى المشهورة في كتب من جاء بعده من المؤلفين في السير والخصائص كالمواهب اللدنية للقسطلاننى الذى اتهمه الحافظ السيوطى أنه أخذها من كتابه «الخصائص» كما هو معروف وقال عقبه (الحديث) وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شك الواقف عليه في وضعه وبقيته تقع في نحو ورقتين من القطع الكبير مشتملة على ألفاظ ركيكة ومعانى منكرة وقد ذكره بتمامه الديار بكرى في «الخميس في سيرة أنفيس نفيس صلى الله عليه وسلم فأحسن في ذلك»^(١) غاية الإحسان.

انتهى مافي المغير ولفظ الديار بكرى الذى أشار إليه الغمارى وهو في الجزء الأول من «تاريخ الخميس في أحوال أنفيس نفيس» ص ١٩-٢٠ عن جابر بن عبد الله الأنصارى «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله قال : هو نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحمله العرش وخزنة الكرسى من قسم وأقام الرابع في مقام الحب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله

(١) أى أحسن في ذكره بتمامه لأن ذلك يبين وضعه وإلا فالديار بكرى نفسه لا يدرى عن درجته شيئا.

سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة. فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق سبحانه اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانث وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمته ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر ١٠ هـ. مذكره الديار بكري

فإن قيل قد ورد في باب خلق النبي صلى الله عليه وسلم من نور الله عز وجل وخلق غير النبي صلى الله عليه وسلم من نور النبي صلى الله عليه وسلم حديث رواه أبو نعيم في أماليه قال حدثنا محمد بن محمد بن عمرو بن زيد إملأ حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا أبو شعيب صالح بن زياد السوسي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا أبو معشر عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقني الله من نوره وخلق أبابكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أمتي من نور عمر وعمر سراج أهل الجنة. نجيب بأن ذلك الحديث ذكره الذهبي في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي من «الميزان ج ١ ص ١٦٦ من طريق أبي نعيم وجزم بأنه كذب وأن آفته المنبجي وهو غير معروف ثم قال الذهبي «قال أبو نعيم — أى في هذا الخبر — هذا باطل يخالف كتاب الله ثم أخذ أبو نعيم يتكلم على رجاله بكلام غير مفيد فقال: أبو معشر ترك ولم يخرج له وأما أبو شعيب فمترك متفق على تركه وكذلك الهيثم ولم يخرج عنه شيء في الصحيحين قلت — القائل الذهبي — ما حدث به واحد من الثلاثة وإنما الآفة عندي فيه المنبجي».

وأيد الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ج ١ ص ٣٢٨ — ٣٢٩ تحميل

الذهبي ذلك المنبجي مسئولية هذا الحديث بقوله (قد أورد له — أى للمنبجي — ابن عبد البر في التمهيد حديثاً من رواية عثمان بن محمد بن عثمان البغدادي عنه — أى عن المنبجي — عن حاجب بن سليمان عن وكيع عن مالك عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو يعلم الناس ما للمسافر لأصبحوا على ظهر سفر إن الله لينظر إلى المغرب كل يوم مرتين» قال بعده : هذا حديث غريب لا أصل له في حديث مالك ولا في حديث وكيع وليس في روايته من ينظر في أمره غير المنبجي».

وأما خبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فخير باطل صرح بذلك أئمة الحديث ودعوى الشيخ محمد بن علوى المالكي أن العلقمي صححه في شرح الجامع الصغير دعوى مخالفة لنقل العزيزي في شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ١٠٤ عن العلقمي أنه قال مانصه (تنبيه ماشتهر على اللسان بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال ابن تيمية والزري وغيرهما لا أصل له وكذا «كنت نبيا وآدم لأماء ولاطين» ١٠١هـ مانقله العزيزي عن العلقمي وهو الصواب لأماعزاه إليه السيد محمد بن علوى ولو فرضنا ان العلقمي قال ذلك فهو خطأ منه.

وأما قول الملا على قارى في خبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» هو وإن قال بعض الحفاظ لم نقف عليه بهذا اللفظ لكن جاء معناه بطرق صحيحة وجزمه بأن تلك الأحاديث التي سردها تشهد لمعناه فغير صحيحين فإن معنى لفظ «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» باطل لم يجرى في حديث ثابت والاحاديث التي ذكرها لا تشهد له كما أوضحه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية في كثير من مصنفاته غاية الايضاح.

فقد قال في رسالته التي صنفها — في حقيقة مذهب الاتحاديين — أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين العقلية والعقلية» ص ٦٢-٦٥ (١) «ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلا. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشية طبعة المنار.

«أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة» وقال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال «ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب» وهذا هو معنى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كتبت نبيا وفي رواية متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد» هكذا لفظ الحديث الصحيح.

وأما ما يرويه هؤلاء الجهال كابن عربى في الفصوص وغيره من جهال العامة «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» كنت نبيا وآدم لاءاء ولاطين» فهذا لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الله خلقه من تراب وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ويبس الطين حتى صار صلصالا كالخمار فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال مع أن هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال «بين الروح والجسد» وقال: وإن آدم لمنجدل في طينته» لأن آدم بقى أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما قال تعالى «هل أتى على الإنسان حين من الدهر» الآية وقال تعالى «وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال» الآيتين وقال «الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» الآيتين وقال تعالى «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين» الآية والأحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كان نبيا أى كتب نبيا وآدم بين الروح والجسد. وهذا والله أعلم لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذى يكون بأيدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الأمهات حديث الصادق المصدوق وهو من الأحاديث المستفيضة التي تلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح وقال فوالذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل

النار. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة» فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح وآدم هو أبو البشر كان أيضا من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه. ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدرا وارفهم ذكرا فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كتب نبيا حيثنذ.

وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كونا في الوجود العيني إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا» الآية وقال «ألم يجدك يتيما فآوى» الآية وقال «نحن نقص عليك أحسن القصص» الآية و لذلك جاء هذا المعنى مفسرا في حديث العرياض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمرى دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاعت لها منه قصور الشام» هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرياض رواه البغوى في شرح السنة هكذا ورواه الليث بن سعد عنه نحوه ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن مهدي حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد — أى المتقدم — عن العرياض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى إبراهيم» الحديث وفيه «كذلك أمهات النبيين يرين» وقوله «لمنجدل في طينته» أى ملتف ومطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد.

وقال شيخ الإسلام أيضا في ص ١٢٦-١٢٧ من هذا الكتاب «حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود» قال «إن الله علم الأشياء وقدرها قبل أن يكونها ولا تكون موجودة بحقائقها الا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ولم تكن حقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها لكن كان ظهور خبره واسمه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوبا في التوراة والإنجيل وقبل ذلك كما روى الإمام أحمد في مسنده عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم إني لعند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى إبراهيم وبشرى

عيسى ورؤيا أمى رأت حين ولدتنى كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام».

وحديث ميسرة الفجر قلت يارسول الله متى كنت نبيا وفي لفظ «متى كتبت نبيا» قال «وآدم بين الروح والجسد» وهذا لفظ الحديث. وأما قوله «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» فلا أصل له لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل فإنه لم يكن بين الماء والطين» إذ الطين ماء وتراب ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرها كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح) قال فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة» وقال شيخ الإسلام في «أحاديث القصاص» ص ٨٧ في لفظ «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» ولفظ (كنت نبيا وآدم لاء الماء ولاطين) قال في لفظ كل واحد منهما (هذا اللفظ باطل) ولكن اللفظ المأثور الذى رواه الترمذى وغيره أنه قيل يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وفي السنن عن العرباض بن سارية أنه قال «إنى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته».

وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكرى ج ١ ص ٨-١٠ مانصه «قد روى أبو بكر الآجرى وابن الجوزى آثارا في أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا على ساق العرش وعلى أبواب الجنة وهذا ممكن فإنه قد ثبت عن ميسرة قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا؟ وفي رواية «متى كتبت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وفي مسند أحمد وغيره باسناد حسن عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول أمرى دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى رأت حين ولدتنى كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» وفي حديث أبى هريرة سئل النبى صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه» رواه الترمذى وحسنه فتيين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه. وأما ما يرويه كثير من الجهال والاتحادية وغيرهم من أنه قال «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وآدم لاء الماء ولاطين ، فهذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدا من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل فإن

آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب وإنما كان بين الروح والجسد ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه أنه كان نورا حول العرش فقال يا جبريل أنا كنت ذلك النور. ويدعى أحدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل» والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبيا بعد خلق آدم قبل نفخ الروح فيه. وهو موافق لما أخرجه في الصحيحين من حديث ابن مسعود «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك» إلى آخره بين فيه خلق الجنين ونقله من حال إلى حال فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله ومن أعظمها كتابة سيد ولده وإذا كان هذا ثابتا أمكن أن يكتب اسمه كما رواه بالاسناد لكن الجزم بثبوته — أى ماروى الآجروى وابن الجوزى من الآثار في أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا على ساق العرش وعلى أبواب الجنة — يحتاج إلى دليل يثبت بمثله فما علمناه قلناه وما لم نقله أمسكنا عنه. والرب تعالى قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء قد علمهم وماهم عاملون ثم أبرزهم في أحيائهم قدرها فكل يوم هو في شئون يبيديها لاشئون يبتديها» وعلى هذا الذى أوضحه ابن تيمية في لفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اعتمد تلميذه شمس الدين ابن القيم قال في فتاوى إمام المتقين ورسول رب العالمين التي ختم بها كتابه «إعلام الموقعين» «سئل صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة وفي لفظ. «متى كنت نبيا» فقال «وآدم بين الروح والجسد» هذا هو اللفظ الصحيح. والعوام يروونه «بين الماء والطين» قال شيخنا — يعنى الإمام ابن تيمية — وهذا باطل وليس بين الماء والطين مرتبة واللفظ المعروف ما ذكرناه» ١٠١ هـ كلام ابن القيم.

كما اعتمد السخاوى في فتاويه على قول شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ببطلان لفظ (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ولفظ (كنت نبيا وآدم لأماء ولاطين) وأتبع السخاوى ذلك قوله (وناهيك به — أى بالإمام ابن تيمية — اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي مارأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة، أفاد ذلك الزرقانى في شرح المواهب اللدنية، ج ١ ص ٣٣.

وممن سلك مسلك شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في تلك الأحاديث التي ادعى الملا على قارى أنها تشهد لمعنى (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ممن سلكه الإمام ابن كثير فيها حيث ذكر في «كتاب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شيء من البشارات بذلك) من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٠٦-٣٠٧ ذكر حديث أبى أمامة رضى الله عنه عند أحمد (قلت يارسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال (دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام) وذكر أن المراد به بدء أمر النبي صلى الله عليه وسلم واشتهاره وانتشاره فذكر دعوة ابراهيم الذى تنسب إليه العرب. ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل وأن هذا يدل على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا ذكر ذلك كله ثم قال (أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض ابن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنى عندى»^(١) الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التي رأت. وكذلك أمهات النبيين^(٢) يرين» وقد رواه الليث عن معاوية ابن صالح وقال: إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام» وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله ابن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال: وآدم بين الروح والجسد» تفرد بهن أحمد. وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب دلائل النبوة من حديث أبى هريرة فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز يعنى أبا القاسم البغوى حدثنا ابو همام الوليد بن مسلم عن الأوزاعى حدثنى يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك

(١) لفظ (عند) بنون بعد العين ووقع في «البداية والنهاية» (عبد) بالباء وهو كما في شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٦ تحريف إذ ليس القصد لإخبار في هذا الحديث بأنه عبد الله بل بانه مكتوب عنده خاتم النبيين وعلى الصواب ورد هذا اللفظ في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٠ في تفسير (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد).

(٢) لفظ «النبيين» هو الصواب لا ماورد في «البداية والنهاية» بلفظ (المؤمنين) وقد ذكر الزرقانى في شرح المواهب اللدنية ان لفظ (المؤمنين) ورد في بعض نسخ المواهب اللدنية وجزم بانه تحريف وان الصواب (النبيين) قلت وهو — أى لفظ (النبيين) الوارد في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦٠.

النبوة؟ قال «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه» ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به وقال: وآدم منجدل في طينته وروى عن البغوى أيضا عن أحمد بن المقدم عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة مرفوعا في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال (وآدم بين الروح والجسد) وقال ابن كثير في ذلك الجزء من «البداية والنهاية» ص ٣٢٠ — ٣٢٢ مانصه قد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، سئل النبي صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة؟ قال بين خلق آدم ونفخ الروح فيه. وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم وقال حسن غريب من حديث أبي هريرة لانعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبو نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر النفيل حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم عن الصنابحي قال قال عمر يارسول الله متى جعلت نبيا قال «وآدم منجدل في الطين» ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفى عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» ثم قال ابن كثير (وفي هذا المعنى — أى التنويه بشرف النبى صلى الله عليه وسلم وعلو قدره — الحديث الذى قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إننى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح وزاد «إن أمه رأت حين وضعته نورا أضاءت منه قصور الشام».

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» إسناده جيد أيضا وهكذا رواه ابراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلى عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن

سفيان عن ميسرة الفجر قال «قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليل ابن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشر عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعا مثله وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله وهذا أثبت وأصح والله أعلم. وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملا الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لاحالة فلم يبق الا هذا الذي ذكرناه من الاعلام به في الملا الأعلى والله أعلم. وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم) وزاد أبو نعيم في آخره: فكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة وهو السابق يوم القيامة لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد) ثم قال (ففى هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ويحتمل أن يكون هذا الايجاب هو ما أعلم الله ملائكته مما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد).

وبعد كتابتنا ما كتبنا حول دعوى الملا على قارى أن الأحاديث التي سردها في «المورد الروى في المولد النبوى» بصدد كلامه على خبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» تشهد لمعنى ذلك الخبر الموضوع الذى يحاول تصحيح معناه بعد ذلك وجدنا في الجزء الخامس من شرح مشكاة المصابيح لعلي القارى طبعة بمباى ص ٣٦٧ مانصه (أما ما يدور على الألسنة بلفظ (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) فقال السخاوى لم أقف عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة (كنت نبيا وآدم لا ماء ولا طين) وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته إن الزيادة ضعيفة وما قبلها قوى وقال الزركشى لا أصل له بهذا اللفظ ولكن في الترمذى «متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد» قال السيوطى وزاد العوام (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضا) ٠١ هـ كلام الملا علي قارى كما وجدنا في شرح حديث (بعثت من خير قرون بنى آدم) الحديث من ذلك

الجزء من «المرقاة» شرح المشكاة ص ٣٥٧ مانصه (قد ذكرت مجملًا من أحوال ولادته صلى الله عليه وسلم في رسالة مستقلة سميتها بالمورد في المولد) فبناء على هذين الأمرين لانتسبعت أن يكون على القارى قد رجع عما في المورد الروى إلى ذلك الذى نقلناه عن المرقاة وعلى كل فالصواب مايبينه أئمة العلم من كون ذلك الخبر «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) موضوع اللفظ باطل المعنى.

وأما حديث (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) فقد أجاد الحافظ ابن كثير الكلام عليه في تفسيره وفي تاريخه. قال في تفسيره في الكلام على الآية الكريمة «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم» الآية (قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقى حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشر حدثنى قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال النبى صلى الله عليه وسلم «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بى قبلهم) سعيد بن بشر فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة موقوفا والله أعلم» وقال في «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٢١ (قال الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سميان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خلود بن دعلج^(١) وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) قال (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) ثم رواه من طريق هشام ابن عمار عن بقرية عن سعيد بن بشر عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعا مثله وقد رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة وشيبان عن قتادة قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله. هذا أثبت وأصح والله أعلم) وسعيد بن بشر هذا الذى أعل به ابن كثير هذا الحديث أفاد ابن كثير في تفسير سورة لقمان من تفسيره ج ٣ ص ٤٤٤ أن سبب الكلام فيه أثر رواه فى شأن لقمان عند ابن أبى حاتم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى ابن عبيد الخزاعى حدثنا سعيد بن بشر عن قتادة قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو أرسل إلى

(١) خلود بن دعلج ضعيف.

بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكن خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي) استغرب ابن كثير هذا الأثر بعد أن ساقه ثم قال هذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه والله أعلم) ١٠١ هـ كلامه والذين تكلموا في سعيد بن بشير ذكرهم الذهبي فقال قال فيه البخارى يتكلمون في حفظه وقال عثمان عن ابن معين ضعيف وقال عباس عن ابن معين ليس بشيء وقال الفلاس حدثنا عنه ابن مهدي ثم تركه وقال النسائي ضعيف وقال يعقوب الفسوي سألت أبا مسهر عن سعيد بن بشير فقال لم يكن في جندنا أحفظ منه وهو ضعيف منكر الحديث وقال ابن نمير يروى عن قتادة المنكرات وذكره أبو زرعة في الضعفاء وقال لا يحتج به ذكر جميع ذلك الذهبي في ج ٢ من «ميزان الاعتدال» وذكر أن هذا الحديث الذى رواه بقية قال حدثنى سعيد ابن بشير حدثنى قتادة عن الحسن عن أبى هريرة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» من غرائب هذا ما يتعلق بسند حديث كنت أول النبيين في الخلق الحديث وأما معناه على فرض ثبوته فيتضح من كلام ابن كثير في كتاب مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذكر شيء من البشارات بذلك من «البداية والنهاية» ص ٣٠٧ أنه من الأحاديث التى تدل على أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم في الملا الأعلى كان مشهورا مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

وأما خبر «لما أراد الله أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الأرض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسليم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى وفى السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلائق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم) فمداره على كعب الأخبار كما يتبين من مراجعة «المواهب اللدنية» للقسطلاني وشرحه للزرقاني ج ١ ص ٤٢ وزاد الزرقاني قوله فيه (هو إمام عن الكتب القديمة لأنه خبرها أو عن المصطفى بواسطة فهو مرسل».

وأما لفظ (كنت نورا بين يدي ربى) ففى أحكام ابن القطان عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كنت نورا بين يدي ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) نقل ذلك القسطلاني في الجزء الأول من

«المواهب اللدنية» ص ٤٩ عن ابن مرزوق لكن لم يذكر سند ابن القطان إلى علي ابن الحسين فلذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الحديث.

وقد وجدنا في الجزء الثاني من «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل تحت عنوان (ومن فضائل على رضى الله عنه من حديث أبى بكر بن مالك عن شيوخه غير عبد الله) ص ٦٦٢-٦٦٣ وجدنا فيه هذا الحديث من رواية القطيعى إياه بسنده عن سلمان رضى الله عنه قال (حدثنا الحسن قال حدثنا أحمد بن المقدم العجلي قال حدثنا الفضيل بن عياض قال حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال سمعت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كنت أنا وعلي نورا بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء على عليه السلام» هكذا جاء بهذا الإسناد في فضائل الصحابة من زهادات أبى بكر القطيعى وزيادات القطيعى في فضائل الصحابة وغيره من كتب الإمام أحمد فيها احاديث موضوعة كما قرره الإمام ابن تيمية في الجزء الرابع من «منهاج السنة» ص ٢٧ ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ولاشك في أن هذا الحديث من ذلك الباب والمتهم بوضعه الحسن بن على بن زكريا بن صالح أبو سعيد العدوى البصرى الملقب بالذئب شيخ أبى بكر بن مالك القطيعى وهو هالك قال الذهبى في ميزان الاعتدال في نقد الرجال في ترجمته (قال الدارقطنى متروك وقال حمزة السهمى سمعت أبا محمد الحسن بن على البصرى يقول: أبو سعيد العدوى كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليه مالم يقل وزعم لنا أن خراشا حدثه عن أنس وأن عروة بن سعيد حدثه عن ابن عون بنسخة. وقال ابن عدى فيه عامة ماحدث به الا القليل موضوعات وكنا نتهمه بل نتيقن أنه هو الذى وضعها كما نقل الذهبى عن ابن عدى أنه قال في الحسن بن علي بن صالح أبى سعيد العدوى البصرى «يضع الحديث روى عن خراش عن أنس أربعة عشر حديثا وحدث عن جماعة لايدرى من هم وحدث عن الثقات بالبواطل» وعن ابن حبان انه قال فيه لعله قد حدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات مايزيد على ألف حديث» وعن أبى أحمد الحاكم أنه قال فيه نظرى يقال حبسه إسماعيل القاضى انكارا عليه وذكر الذهبى أن ابن عساكر قال في تاريخه أنبانا أبو غالب أنبانا أبو محمد الجوهري اخبرنا أبو على محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا أبو سعيد العدوى — وهو الحسن بن على بن زكريا بن صالح — حدثنا ابو الاشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن ثور عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت انا وعلى نورا يسبح الله ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام. وذكر الحديث هذا ما أورده الذهبي عن الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوي بسنده إلى سلمان من طريق ابن عساكر في تاريخه وعنده (بأربعة آلاف عام) بدل «بأربعة عشر ألف عام» التي جاءت في رواية غير ابن عساكر والرجل على كل حال هو كما قال الذهبي شيخ قليل الحياء لا يفكر فيما يفتره» يضاف إلى ذلك أن هذا الحديث (كنت نورا بين يدي ربي) يتناوله قول الإمام ابن تيمية في «حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية» ص ١٢٧-١٢٨ في الرد على من قال بأن حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجودة قبل أن يخلق (ما يروى في هذا الباب من الأحاديث هو من هذا الجنس - أي جنس (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) مثل كونه كان نورا يسبح حول العرش أو كوكبا يطلع في السماء» ونحو ذلك كما ذكره ابن حويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وأمثالهم ممن يروى الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث فإن هذا المعنى روي فيه أحاديث كلها كذب حتى إنه اجتمع بى قديما شيخ معظم من أصحاب ابن حويه يسميه أصحابه سلطان الأقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظمنا له ولصاحبه حتى أبديت له بعض ما فيه فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الأحاديث فبينت له أن هذا كله كذب) قلت - القائل إسماعيل الأنصارى - مما ورد في ذلك ماجاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجما يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب عزاه علي بن برهان الحلبي في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦ إلى كتاب اسمه (التشريفات في الخصائص والمعجزات) لم يقف على اسم مؤلفه وذكر أن ذلك الكتاب عزاه إلى البخارى قلت ليس في البخارى وإنما هو موضوع كما ذكره التقى ابن تيمية جزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. وإلى هذا الخبر الباطل أشار الشيخ محمد بن عثمان الميرغنى في مولده المسمى «الأسرار الربانية» ص ٩-١٠ بقوله «وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل كم عمرت يا جبريل قال لأدرى رواية جليه ، غير أن كوكبا يبدو في الحجاب الرابع يامعشر الإخوان، بعد كل سبعين ألف سنة مرة فهذه علامات اجتباية، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة بلانقصان، فقال صلى الله عليه وسلم تعريفا بمقامه واسراره المصطفوية، وعزة ربي أنا ذلك

الكوكب الذي رأيته يا جبريل في حجاب المنان.
وأما تعليق الشيخ محمد بن علوى المالكى على لفظ (كنت نورا) الوارد في
طبعته لمولد ابن اديبع فترد عليه أمور:

أولها أن لفظ (كنت نورا) الذى عزاه السيد محمد بن علوى المالكى إلى مسند
العدى ليس عند العدى وإنما عنده (أن قريشا كانت نورا ومن طريقه رواه الآجرى
في باب قول الله تعالى (وتقبلك في الساجدين) من كتاب الشريعة ص ٣٠٤ قال
(حدثنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخارى قال حدثنا محمد بن أبى عمر العدى
قال حدثنى عمر بن خالد قال حدثنا أبو عبد الله محمد الحُبَلِي عن عبد الله بن
الفرات عن عثمان بن الضحاك عن ابن عباس أن قريشا كانت نورا بين يدي الله
عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه) إلى آخر
روايته المتقدمة وبهذا اللفظ لفظ (أن قريشا كانت نورا) ورد هذا الحديث في
«الشفاء» للقاضى عياض فعزاه السيوطى في «مناهل الصفا في تخرىج أحاديث
«الشفاء» ص ١٣ والشهاب الخفاجى في «نسيم الرياض شرح شفاء القاضى
عياض» ج ١ ص ٤٣٥ إلى العدى كما عزاه الزرقانى في شرح المواهب اللدنية» ج
١ ص ٤٩ إلى العدى بلفظ (أن قريشا أى المسعدة بالإسلام — ولفظ الزرقانى
(روى محمد بن أبى عمر العدى شيخ مسلم في مسنده عن ابن عباس أن قريشا أى
المسعدة بالإسلام كانت نورا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفى عام وتسبح
الملائكة بتسبيحه).

ثانيها أن لفظ (الوفا) لابن الجوزي في ص ٣٥ التي أحال عليها الشيخ محمد
ابن علوى هو (عن ابن عباس قال قلت يارسول الله أين كنت وآدم في الجنة قال
كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينة في صلب نوح
وقذفت في النار في صلب أبى ابراهيم لم يلتق لى أبوان قط على سفاح لم يزل
ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لا تتشعب شعبتان الا كنت
في خيرهما أخذ الله لى بالنبوة ميثاقى وفي التوارة بشرى وفي الإنجيل شهر اسمى
تشرق الأرض لوجهى والسماء لرؤيتى وقال العباس يارسول الله إنى أريد أن
أمتدحك فقال له قل لا يفيض الله فاك فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرأ وأهله الفرق

وردت نار الخليل مكتتماً تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقى الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

هذا نص مافي ص ٣٥ من الوفا لابن الجوزي لا ذكر فيه للفظ «كنت نورا»
ولا للفظ أن قرىشا كانت نورا.

ثالثها أن كتاب الموضوعات للحافظ أبي الفرج بن الجوزي ليس فيه لفظ
«كنت نورا» في الموضع الذي أشار إليه السيد محمد بن علوي» وإنما فيه في باب في
ذكر انتقاله إلى الأصبلا ج ١ ص ٢٨١ مانصه «انبأنا على بن أحمد الموحد أنبأنا
هناد بن ابراهيم النسفى قال حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن بكران قال أنبأنا أبو
صالح خلف بن محمد بن إسماعيل قال حدثنا الحسين بن الحسن بن الوضاح ومحبوب
ابن يعقوب قال حدثنا يحيى بن جعفر بن أعين قال حدثنا على بن عاصم عن عطاء
ابن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس قال قلت يارسول الله أين كنت وآدم
في الجنة قال «كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينة في
صلب أبى نوح وقذفت في النار في صلب أبى إبراهيم لم يلتق لي أبوان قط على
سفاح لم يزل ينقلني من الاصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لايتشعب
شعبان الا كنت في خيرهما فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقى وفي التوراة بشرى وفي
الإنجيل شهر اسمى تشرق الأرض لوجهى والسماء لرؤيتى ورقى بى في سمائه وشق
لي اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشر أنت ولانطفة ولاعلق

فذكر الأبيات قال فحشت الأنصار فمه دنانير.

هذا ما ذكره ابن الجوزي هناك وأتبعه قوله «هذا حديث موضوع قد وضعه
بعض القصاص وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه على أن علي بن
عاصم قد قال فيه يزيد بن هارون مازلنا نعرفه بالكذب وقال يحيى ليس بشيء إلا

أن التهمة بالمتأخرين أليق فالأبيات للعباس بلاخلاف) ١٠١ هـ فلاوجه للاحالة على ذلك الموضع مادام الخبر المذكور فيه موضوعا وليس فيه لفظ (كنت نوراً).

رابعها أن صفحة الآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوى ليس فيها لفظ «كنت نوراً» وإنما فيها بعض حديث (قلت يارسول الله أين كنت وآدم في الجنة) وقد أورد ذلك الحديث من طريق ابن الجوزى ، كما ذكرناه عنه آنفا وأعله بنفس ماأعله به قال «هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه) والأبيات للعباس بلاخلاف وزاد السيوطي قوله «قلت قال — أى الذهبى — في الميزان : على بن محمد بن بكران شيخ لهناد النسفى جاء بخبر سمج أحسبه باطلا وقال الخليلي خلف ضعيف جداً روى متونا لا تعرف والله أعلم).

خامسها أن قول عياض في الشفا بعد إيراده حديث أن قريشا كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه» الحديث (يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس في النبی صلی الله عليه وسلم) يعنى الشعر الذى أوله:

من قبلها طبت في الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

لايعنى به أن ذلك الشعر الذى أشار إليه يشهد لما ورد فى أول هذا الحديث «أن قريشا كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور بتسبيحه» وإنما يعنى أنه يشهد لصحة قوله فى ذلك الحديث (لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه إلى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط) يدل على ذلك قول القاضى عياض فى الفصل الذى عقده لمكانة النبی صلی الله عليه وسلم عند ربه وتفضيله وسيادته ولد آدم ما نصه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه إلى الأرض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب إبراهيم ولم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط» وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بقوله:

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لابشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تنقل من صالب إلى رحم
حتى احتوى بيتك المهيمن من
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض
فنحن في ذلك الضياء وفي النور

أنت ولا مضغة ولا علق
ألجم نسرأ وأهله الغرق
إذا مضى عالم بدا طبق
خندف علياء تحتها النطق
وضاءت بنورك الأفق
وسبل الرشاد نخترق

وعلى فرض أن قول القاضي عياض «يشهد لصحة هذا الخبر» الخ. يشمل أول ذلك الحديث نعتبر ذلك مما يعتريه أحيانا في الشفاء من إيراد تاويلات واهية وأحاديث موضوعة فقد قال الذهبي في (شفاء القاضي عياض) إنه محشوب بالأحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له» وقال أيضا «إنه قلد فيما ذكره ابن سبع في شفاؤه^(١) وجاء في تلخيص كتاب الاستغاثة الكبرى المعروف بالرد على البكري ص ٢٥ - ٢٦ مانصه (كل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب - يعنى شفاء القاضي عياض من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه فإذا قال القاضي عياض ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه وإذا لم يذكره من أين نقله لم ننتهمه ولكن ننتهم من فوقه وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها لكن من فوقه لا يجوز الاعتماد عليهم ٥١ هـ. فيستفاد من كلام الإمامين الحافظين الذهبي وتقي الدين ابن تيمية أن تصرفات القاضي عياض في «الشفاء» من ناحية التاويلات ومن ناحية الأحاديث التي يوردها فيه تحوج المستدل بها فيه إلى التحرى.

سادسها أن قول الشيخ محمد بن علوى في أبيات العباس المروية عن خريم ابن أوس بن لام (وذكر هذه الأبيات الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة خريم وقال رواها ابن^(٢) خيشمة والبزار وابن شاهين يرد عليه أن الحافظ لم يذكر نفس تلك الابيات في تلك الترجمة وإنما عبر بدل ذكرها بعبارة (فذكر الشعر) ونص الإصابة (روى ابن أبى خيشمة والبزار وابن شاهين من طريق حميد بن منهب قال قال خريم ابن أوس كنا عند النبی صلى الله عليه وآله وسلم فقال له العباس يارسول الله إني

(١) نقل ذلك كله عن الذهبي صاحب نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض الشهاب الخفاجى ج ١ ص ٤ طبعة دار الكتاب العربى ببلنات وحاول الدفاع عن الشفاء واعترف رغم ذلك بأن فيه بعض أحاديث ضعيفة وقليل مما قيل إنه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفاؤه.

(٢) كذا والصواب (ابن أبى خيشمة).

أريد أن أمدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «هات لايفضض الله فاك فذكر الشعر» هذا لفظ الحافظ في «الإصابة» وبه اتضح أنه لم يذكر تلك الأبيات هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يظهر من هذه العبارة التي نقلناها عن الحافظ أن مدار رواية ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين لحديث خريم على حميد بن منهب وهو مجهول كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

سابعها أن قول الشيخ محمد بن علوى في ذلك التعليق (ظفرت بفائدة نفيسة وهى أن الحاكم روى أيضا في كتابه «المستدرک» هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبى وهو معروف بتشده وتعتته فقال: رواية الأعراب عن آبائهم ومثلهم لايفضضون كذا في المستدرک وتلخيصه ٣٢٧/٣ وقد ذكر هذه الأبيات أيضا الحافظ ابن كثير في السيرة ١٩٥/١ عن أبى السكين زكريا الطائى عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال جدى خريم بن أوس هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت العباس عمه يقول يارسول الله إنى أريد أن أمدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل لايفضض الله فاك فأنشأ يقول : وقال قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. لايجدى فإن سكوت الذهبى عن صنع الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ٣٢٦ — ٣٢٧ حيث قال «حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا أبو البخترى عبد الله بن محمد بن شاكر حدثنا زكريا بن يحيى الخزار ثنا عم أبى زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال سمعت جدى خريم ابن أوس بن حارثة بن لام رضى الله عنه قال: هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله إنى أريد أن أمدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل لايفضض الله فاك قال فقال العباس:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضافة ولاعلق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقى الأرض	وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور	وسبل الرشاد نخترق

ثم قال هذا حديث رواه أعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعون.

إن سكوت الذهبي في التلخيص عن قول الحاكم هذا بعد أن روى ذلك الحديث في المستدرک بذلك السند غير معتبر مادام الذهبي قد تعقب ذلك في «سير أعلام النبلاء» ج ٢ ص ١٠٣ فقد قال فيه (روى الحاكم أن زحر بن حصين روى عن جده حميد بن منهب سمع جده خريم بن أوس يقول: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك قال قل لا يفيض الله فاك قال:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لأبشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرأ وأهله الفرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرق الأرض	وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور	وسبل الرشاد نخترق

قال الحاكم رواه أعراب ومثلهم لا يضعون قلت — المقاتل الذهبي — ولكنهم لا يعرفون انتهى نص «سير أعلام النبلاء» ويضاف إليه قوله في الجزء الثاني من «ميزان الاعتدال» ص ٦٩ زحر بن حصن عن جده وعنه أبو السكين الطائي لا يعرف ١٠١ هـ. من هذا كله يتبين عدم اعتبار سكوت الذهبي في «تلخيص المستدرک» عن صنع الحاكم في حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام وأنه من قبيل ما يقع له أحيانا من سكوته في تلخيص المستدرک عن تصرف الحاكم رغم وجود ما يدل على عدم قبوله في غير المستدرک من مصنفاته مثل ما وقع له في تصحيح الحاكم حديث (من أطعم أخاه المسلم خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام) بعد أن رواه الحاكم عن الأصم عن إبراهيم بن منقذ عن إدريس بن يحيى الخولاني عن رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبد الله الكعبي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الحافظ الذهبي لم يتعقب ذلك في التلخيص بينما يقول في ترجمة رجاء بن أبي عطاء المؤذن من «ميزان الاعتدال» ج ٢ ص ٤٦ مانصه (رجاء بن أبي عطاء المصري عن واهب المعافري صويلح قال الحاكم مصري

صاحب موضوعات وقال ابن حبان يروى الموضوعات ثم ساق له الحديث الذى وقع لنا مسلسلا بالمصريين أخبرنا محمد بن الحسين القريشى بمصر أخبرنا محمد بن عباد أخبرنا عبد الله بن رفاعه أخبرنا أبو الحسن القاضى أخبرنا عبد الرحمن بن عمر البزار أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا إدريس بن يحيى الخولانى حدثنا رجاء بن أبى عطاء المؤذن عن واهب بن عبد الله الكعبى عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أطعم أخاه المسلم حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام) هذا حديث غريب منكر تفرد به إدريس أحد الزهاد» ١٠١هـ. ولما ذكره الذهبى ومانقله عن الحاكم عاب الحافظ العسقلانى في «لسان الميزان» ج ٢ ص ٤٥٧ صنيع الحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص في هذا الحديث فقال «هذا الحديث أورده ابن حبان وقال إنه موضوع وحكاه صاحب الحافل وأخرجه الحاكم في المستدرك عن الأصم عن ابراهيم بن منقذ عن إدريس عن رجاء به وقال صحيح الإسناد مع أنه قال في تاريخه مصرى صاحب موضوعات فما أدرى ماوجه الجمع بين كلاميه كما لا أدرى كيف الجمع بين قول الذهبى في الميزان في ترجمة رجاء صويلح وسكوته عن تصحيح الحاكم في تلخيص المستدرك مع حكايته عن الحافظين الحاكم وابن حبان أنهما شهدا عليه برواية الموضوعات.

ثامنها : أن أبا السكين زكريا بن يحيى الطائى الذى روى حديث خريم ابن أوس بن حارثة بن لام في جزئه وعليه مداره هو وإن وثقه الخطيب غير معتبر لما بينه الحافظ ابن حجر العسقلانى في «هدى السارى» ج ٢ ص ١٢٨ ط الطبعة المنيرية وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٣٨ فقد قال في «هدى السارى» «تكلم فيه الدارقطنى فقال مرة ليس بالقوى وقال مرة متروك وقال الحاكم بخطىء في أحاديثه» ثم نبه الحافظ على أن البخارى روى في الصحيح حديثا واحدا وهو في العيدين عنه عن المحاربى عن محمد بن سوقة وعن أحمد بن يعقوب عن اسحاق بن سعيد كلاهما عن سعيد بن جبير عن ابن عمر في قصته مع الحجاج حين أصابه سنان الرمح قال فيه البخارى حدثنا زكريا بن يحيى أبو السكين قال الحافظ وأخرج ثلاثة أحاديث أخرى عن زكريا بن يحيى غير مكنى ولا منسوب: اثنان منهما عنه عن عبد الله بن نمير والآخر عنه عن أبى أسامة. وزكريا بن يحيى في هذه المواضع الثلاثة هو البلخي وليس لأبى السكين عنده سوى الأول وقد أخرج شاهداً له بجانبه والله أعلم.

وقال في «تهذيب التهذيب» في ترجمة أبى السكين يحيى بن زكريا (قال

الحاكم قلت للدارقطني فأبو السكين الكلبي قال: هو الطائي كوفي ليس بالقوى يحدث بأحاديث ليست بمضيئة وقال الحاكم عنه أيضا يحدث بأحاديث خطأ. وقال البرقاني سمعت الدارقطني يقول: زكريا بن يحيى الطائي متروك وفي كتاب ابن أبي حاتم زكريا بن يحيى بن عمر روى عن عم أبيه روى عنه الزعفراني ولم يذكر فيه شيئا فكأنه ماعرفه جيداً.

وبما بيناه حول سند حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام عند الحاكم نجيب عن ایراد ابن كثير اياه لأن مداره عنده على أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي عن عم أبيه زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب عن خريم بن أوس كما هو عند الحاكم.

هذا ما يتعلق باسناد حديث خريم بن أوس بن لام عند الحاكم، وأما معنى تلك الأبيات التي وردت في ذلك الحديث فقد أوضحه الإمام ابن قتيبة أحسن ايضاح في كتابه «تأويل مختلف الحديث» بصدد كلامه على دفع التعارض بين حديث «إن الله مسح على ظهر آدم عليه السلام وأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» وبين قول الله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» ولشدة الارتباط بين كلامه في معانى تلك الأبيات وبين كلامه في دفع ذلك التعارض آتى بجميع ذلك فأقول قال ابن قتيبة في الجواب عن دعوى التعارض بين تلك الآية وبين ذلك الحديث ص ١٠٤-١٠٧ مانصه «نحن نقول إن ذلك ليس كما توهموا بل المعنيان متفقان بحمد الله ومنه صحيحان لأن الكتاب يأتى بجمل يكشفها الحديث واختصار تدل عليه السنة ألا ترى أن الله تعالى حين مسح ظهر آدم عليه السلام على ما جاء في الحديث فأخرج منه ذريته أمثال الذر إلى يوم القيامة إذ في تلك الذرية الابناء وأبناء الأبناء وأبناؤهم إلى يوم القيامة فإذا أخذ من جميع أولئك العهد وأشهدهم على أنفسهم فقد أخذ من بنى آدم جميعاً من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. ونحو هذا قول الله تعالى في كتابه «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» فجعل قوله للملائكة (اسجدوا لآدم) بعد «خلقناكم» «وصورناكم» وإنما أراد بقوله تعالى «خلقناكم» «وصورناكم» خلقنا آدم وصورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وراز ذلك لأنه حين خلق آدم خلقنا في صلبه وهياناً كيف شاء فجعل خلقه لآدم خلقه لنا إذ كنا منه. ومثل هذا مثل رجل أعطيته من الشاء ذكر أو أنثى وقلت له قد وهبت لك شاء كثيراً تريد أنى وهبته

لك بهبتي هذين الاثنين من النتائج شاء كثيرا وكان عمر بن عبد العزيز وهب
لدين الراجز ألف درهم فاشترى به دكين عدة من الإبل فرمى الله تعالى في أذناها
بالبركة فنمت وكثرت فكان دكين يقول هذا منائح عمر بن عبد العزيز ولم تكن
كلها عطاءه وإنما أعطاه الآباء والأمهات فنسبها إليه إذ كانت نتائج ما وهب له، وما
يشبه هذا قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من قبلها طببت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
يريد طببت في ظلال الجنة «وفي مستودع» يعنى الموضع الذى استودعه من
الجنة «حيث يخصف الورق» أى حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة
وإنما أراد أنه كان إذ ذاك طيبا في صلب آدم ثم قال:

ثم هبطت البلاد لابشر أنت ولا مضغة ولا علق
يريد أن آدم هبط البلاد فهبطت في صلبه وأنت إذ ذاك لابشر ولا مضغة
ولادم ثم قال:

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق
يريد أنك نطفة في صلب نوح صلى الله عليه وسلم حين ركب الفلك ثم
قال:

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
يريد أنه ينتقل في الأصلاب والأرحام فجعله طيبا وهابطا للبلاد وراكبا
للسفين من قبل أن يخلق وإنما يريد بذلك آباؤه الذين اشتملت أصلا بهم عليه «١٠١ هـ.
كلام ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث».

وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا كانت نورا بين يدي الله
قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الحديث فقد
رواه الآجرى في «كتاب الشريعة» في باب قول الله تعالى «وتقلبك في الساجدين»
من طريق محمد بن أبى عمر العدنى ولفظه حدثنا أبو محمد عبد الله بن صالح
البخارى قال حدثنا محمد بن أبى عمر العدنى قال حدثنى عمر بن خالد قال حدثنا
أبو عبد الله محمد الحبلي عن عبد الله بن الفرات عن عثمان بن الضحاك عن ابن
عباس أن قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام
بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله عز وجل آدم ألقى
ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطنى الله إلى الأرض في

صلب آدم وجعلنى في صلب نوح وقذفنى في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط، ومن عزاه إلى مسند العدنى السيوطى في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» والشهاب الخفاجى في «نسيم الرياض»^(١) في شرح شفاء القاضي عياض ج ١ ص ٤٣٥ والزرقانى في «شرح المواهب اللدنية» ج ١ ص ٤٩ ولفظ الزرقانى ان قريشا أى المسعدة بالإسلام كانت نورا بين يدى الله قبل أن يخلق آدم يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، وعثمان بن الضحاك بن عثمان رأى هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف نقل الحافظ أبو الحجاج المزى في ج ٢ من «تهذيب الكمال» ص ٩١٠ عن أبى عبيد الآجرى أنه قال سألت أبا دواد عن الضحاك بن عثمان الجدامى فقال: ثقة وابنه عثمان بن الضحاك ضعيف».

وابن أبى عمر العدنى وإن كان صدوقا صالحا من مشايخ مسلم قال فيه الإمام أبو حاتم فيه غفلة رأيت عنده حديثا موضوعا رواه عن سفيان نقل ذلك عن أبى حاتم الحافظ الذهبى في ترجمته من تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٠١ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد.

وأما ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما «كان(٢) يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حى فلما استيقظ ورأها سكن إليها ومديده إليها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا: تصلى على محمد ثلاث مرات ، وعند ابن الجوزى في سلوة الاحزان أنه لما رام القرب منها طلبت المهر منه فقال يارب وماذا أعطيها قال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل، فقد ذكر الشيخ محمد عبد السلام خضر الشقيرى في كتابه «السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات» ص ٢٤٣ روايته الأخيرة وجزم بأن هذا الخبر ليس له أصل في أى كتاب من الكتب المعتمدة وأنه لا يوجد إلا في كتب من لا يفرقون بين الصحيح والموضوع من كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم، وهذا المسلك الذى سلكه الشقيرى هو الصواب لا مسلك الشيخ السيد محمد بن علوى حينما علق على ذلك الخبر في تعليقه على المورد الروى في المولد النبوى

(١) نقلا عن السيوطى.

(٢) أى زمن السجود لآدم بين ذلك الزرقانى في شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٢.

ص ٤٤ بقوله «هذا خبر موقوف على ابن عباس وليس من المرفوع وقد نقلته كتب التواريخ والتفاسير ولا اعتراض على ذكر المصنف — أى الملا على القارى — له لأنه كلام ابن عباس وهو نقله عنه فمن شاء فليقبله ومن شاء فليرده وابن عباس لا يغضب عليه».

فإن هذا التعليق ليس للشيخ محمد بن علوى أن يكتبه حول ذلك الكلام الذى لا مجال للرأى فيه لو كان لابن عباس وإنما يجب عليه أن يقول ما قاله الشقىرى وهو أن ذلك الكلام لأصل له.

وأما خبر خلق الأرواح قبل الأجساد فقد بين ابن القيم والسيوطى والهيتمى أنه غير صحيح قال الإمام ابن القيم في «كتاب الروح» ص ١٩٧ مانصه (روى أبو عبد الله بن منده قال أخبرنا محمد بن صابر البخارى حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروى حدثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصى حدثنا عتبة بن السكن حدثنا أرطاة بن المنذر حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حليس عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف ، ثم قال ابن القيم بعد ذلك ص ٢١٢ «أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام — يعنى هذا الحديث — فلا يصح اسناده — أى الذى ذكره من قبل ص ١٩٧ ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطنى متروك وأرطاة بن المنذر قال ابن عدى بعض أحاديثه غلط). ولهذا لم يأخذ ابن القيم بما تضمنه من تقدم خلق الأرواح على خلق الأجساد بل صرح في ص ٢١٢—٢١٦ بأن خلق الأرواح متأخر عن خلق ابدانها واستدل لذلك بأدلة منها ما في الحديث الصحيح «إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح قال فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك» قال (وتأمل ما دل عليه النص من هذين المعنيين وبالله التوفيق). وجزم في «روضة المحبين» ص ٧٥ ط مطبعة السعادة بمصر بأن الصحيح الذى دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد وأن الملك الموكل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى على النطفة

أربعة أشهر ودخلت في الخامس وذلك أول حدوث الروح فيه» قال «ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط).

وقال السيوطي في كتاب الأدب والرقائق ، من «الحاوي للفتاوى» ج ١ ص ٣٧٠ في الجواب عن سؤال وجه إليه عن خبر ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام» وعن خبر ورد عن ابن عباس أنه قال «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة كيف يدفع التعارض بين الخبرين قال في الجواب عن ذلك السؤال (إنما يطلب الجواب عن التعارض بين حديثين ثابتين وهذان الحديثان غير ثابتين أما الثاني فباطل لا أصل له وأما الأول فورد بإسناد ضعيف جدا فلا يعول عليه والمعول عليه في ذلك الحديث الصحيح «إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» وذلك شامل للأرزاق.

وقال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» ص ١١٦ في جوابه عن سؤال وجه إليه عن الجمع بين خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفى عام وبين قول ابن عباس رضى الله عنهما بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة قال «ما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما باطل لا أصل له والأول — أى خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفى عام — ضعيف جدا فلا يعول عليه نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وذلك شامل للأرزاق.

ومما جاء في باب خلق الأرواح قبل الأجساد ما رواه أبو الفرج بن الجوزي في باب في فضائل علي من «الموضوعات» ج ١ ص ٤٠١ قال «أنبأنا محمد بن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا عبد الباقي بن أحمد أنبأنا محمد بن جعفر بن علاق قال أنبأنا أبو الفتح الأزدي الحافظ حدثنا هاشم بن نصير حدثنا شيبان بن محمد حدثنا عبد الله بن أيوب بن أبي علاج قال حدثني أبي عن أبي جعفر محمد بن علي ابن حسين عن أبيه عن جده علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام ثم حطها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة لي فأول روح سلمت على روح علي عليه السلام» وهذا الحديث قال فيه ابن الجوزي (هذا حديث موضوع قال الأزدي عبد الله بن أيوب وأبوه كذابان لا تحل الرواية

عنهما(١)) قلت: عبد الله راوى هذا الحديث قال الأذهبي في «ميزان الاعتدال» متهم بالوضع كذاب مع أنه من كبار الصالحين وذكر أن الحميدى كتب إلى والدعى بن حرب يستتاب ابن أبى علاج ويؤدب» وقال الحافظ في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٦١ — ٢٦٢ «قال الحاكم والنقاش وأبو نعيم الاصبهاني روى عن مالك ويونس أحاديث موضوعة وقال الأزدي هو وأبوه كذابان وقال أبو القاسم الطحان حديثه منكر وقال الحافظ أبو زكريا الأزدي في طبقات العلماء بالموصل هو مولى عقيل بن أبى طالب كان رجلاً صالحاً كثير الحديث منكره» وأما أبو عبد الله وهو أيوب بن أبى علاج ففى ج ١ من «الميزان» ص ٢٩٢ مانصه (أيوب بن أبى علاج روى عن أبى جعفر محمد بن على متهم بالكذب ساقط وابنه عبد الله أوهى منه).

وأما رواية الحاكم لما جاء عن عمر رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى) فلا يلىق التعلق بصنيع الحاكم فيه حينما رواه فى كتاب التاريخ من «المستدرک» ج ٢ ص ٦١٥ قال «حدثنا أبو سعيد عمر وبن محمد بن منصور العدل ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى ثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلق الله قال يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى ادعنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» لا يلىق التعلق بصنيع الحاكم فى هذا الحديث حيث قال بعد إيرادہ بالسند المذكور «هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى هذا الكتاب» (لما بينه الحفاظ من عدم اعتبارهم ذلك الصنيع فقد قال البيهقى تفرد به عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف» ونقل ذلك عنه الحافظ ابن كثير قال فى «باب ماورد فى خلق آدم عليه السلام من تاريخه» «البدایة والنهاية» ج ١ ص ٨١ قال «روى الحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن

(١) هذا لفظ «الموضوعات» لابن الجوزى وفى الجزء الثالث من «لسان الميزان» ص ٢٦٢ (قال الأزدي أيوب كذاب وابنه عبد الله اكذب منه وأجرأ على الله لاثمل الرواية عنه).

عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف» كما نقل ابن كثير كلام البيهقي هذا أيضا في كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم» من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٣٢٢ بعد إيراده هذا الحديث من طريق الحاكم قال «روى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وفيه كلام عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي» فساق ابن كثير هذا الحديث من طريق مستدرك الحاكم كما تقدم ثم قال «قال البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف».

وقال الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في «قاعدة التوسل والوسيلة» في حديث توسل آدم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم «هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن مسلم الفهرى عن إسماعيل بن مسلمة عنه — أى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم — قال الحاكم وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن — أى ابن زيد بن أسلم — في هذا الكتاب — أى المستدرك — وقال الحاكم هو صحيح ثم ذكر شيخ الإسلام أن رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه قال فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم: عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه قلت — القائل تقى الدين بن تيمية — وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيرا ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم وقال أبو حاتم بن حبان كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق الترك ، وأما تصحيح الحاكم لهذا الحديث وأمثاله فهذا مما انكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث هي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم بالحديث ومنها ما يكون موقوفا يرفعه».

وقال الحافظ ابن عبد الهادى في «الصارم المنكى في الرد على السبكي» ص ٦٠-٦٢ تعقيبا على محاولة السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» تقوية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بتصحيح الحاكم حديثه المذكور في «المستدرک» قال «إنى لأتعجب منه أى من السبكي كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذى رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم «ولولا محمد ما خلقتك» مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدا وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمن، قال ابن عبد الهادى «ولو كان صحيحا إلى عبد الرحمن لكان ضعيفا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضا فاحشا كما عرف له ذلك في مواضع فإنه قال في كتابه الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم وقال ما حكيت عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه وقال في آخر هذا الكتاب فهوؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندى جرحهم لأن الجرح لا يثبت إلا بينة فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبنى به فإن الجرح لا أستحله تقليدا والذى أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالراوى لحديثهم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» هذا كله كلام الحاكم أبى عبد الله صاحب المستدرک وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد - أى ابن أسلم - قد ظهر له جرحه بالدليل وأن الراوى لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» ثم إنه رحمه الله لما جمع المستدرک على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فلذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك ببعيد ومن جملة ماخرجه في المستدرک حديث لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في التوسل قال بعد روايته هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب فانظر إلى ما وقع للحاكم في هذا الموضع من الخطأ العظيم والتناقض الفاحش».

وقال الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرک تعليقا على قول الحاكم في حديث توسل آدم بخاتم الأنبياء محمد عليهما السلام «هذا حديث صحيح الإسناد» قال

الذهبي قلت: بل موضوع وعبد الرحمن واه قال الحاكم وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب قلت - القائل الذهبي - رواه عبد الله بن مسلم الفهرى ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه» وقال في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهرى أبى الحارث من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ٢ ص ٥٠٤ روى عن إسماعيل ابن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبرا باطلا فيه «يا آدم لولا محمد ما خلقتك رواه البيهقى في دلائل النبوة».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى في ترجمة محمد بن عبد الله الضبى النيسابورى الحاكم صاحب المستدرک من كتابه «لسان الميزان» ج ٥ ص ٢٣٣ مانصه «ذكر بعضهم أنه - أى الحاكم - حصل له تغير وغفلة في آخر عمره ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدرکه وصححها من ذلك أنه أخرج حديثا لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم - يعنى الحافظ حديث. التوسل المتقدم ذكره - وكان - أى الحاكم قد ذكره - أى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الضعفاء فقال إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه وقال في آخر الكتاب فهؤلاء الذين ذكرتهم في هذا الكتاب ثبت عندى جرحهم (١) لأنى لأستحل الجرح إلا مبينا ولا أجيزه تقليدا والذى أختاره لطالب العلم أن (٢) لا يكتب حديث هؤلاء أصلا».

هذا ما ذكره أولئك الحفاظ حول تصحيح الحاكم الإسناد الذى روى به حديث توسل آدم عليه السلام بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اتضح بما ذكره عدم اعتبارهم تصحيح الحاكم لاسناده فلاوجه لاعتبار الملا على القارى تصحيح الحاكم اياه مادام الأمر كذلك. كما تبين بكلام البيهقى وابن تيمية وابن عبد الهادى وابن كثير وابن حجر العسقلانى أن قول الشيخ محمد بن علوى في تعليقه على ذكر الملا على قارى تصحيح الحاكم ذلك الحديث ص ٤٦ «لأعبرة بقدرح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة الطرق والشواهد» هو الذى لأعبرة به فإن مع الذهبي في اعلاله ذلك الحديث أولئك الأئمة الحفاظ على أن رمى الذهبي بما رماه به لايؤثر في إمامته في الجرح والتعديل.

(١) لفظ «جرحهم» هو الصواب لا مافي طبعة «لسان الميزان» المتداولة بلفظ «صدقم».

(٢) سقط لفظ «لا» من «لسان الميزان» غلطا من الطابع أو من الناسخ والصواب اثباتها.

وأما رواية الطبراني لما جاء عن عمر بن الخطاب في توسل آدم بنينا محمد صلى الله عليه وسلم ففي كتابه المعجم الصغير ج ٢ ص ٨٢-٨٣ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. قال الطبراني فيه حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدقي المصري حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرا ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك» هكذا رواه الطبراني في «المعجم الصغير» ثم قال «لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد». والجواب عن هذه الرواية هو نفس الجواب عن رواية الحاكم وهو أنها من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي تقدم كلام الأئمة فيه.

وأما ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولوا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» فعند الحاكم في كتاب التاريخ من «المستدرک» ج ٢ ص ٦١٤-٦١٥ قال حدثنا علي بن حمشاذ العدل إملاء حدثنا هارون بن العباس الهاشمي حدثنا جندل بن والقي ثنا عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد» فساقه ثم قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وتعقبه الحافظ الذهبي في «تلخيص المستدرک» بقوله «قلت أظنه موضوعا على سعيد» وأشار في ترجمة عمرو بن أوس راويه عن سعيد بن أبي عروبة من «الميزان» ج ٣ ص ٢٤٢ إلى أنه هو المتحمل لمسئولية هذا الحديث ولفظه «عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر

(١) واليه وإلى المعجم الأوسط عز الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنيع الفوائد» ج ٨ هذا الحديث.

أخرج الحاكم في مستدركه وأظنه موضوعاً من طريق جندل بن واللق حدثنا عمرو ابن أوس حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سفيان بن المسيب عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد فلولاه ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار.. الحديث وعلى اعلال الذهبى هذا الحديث بعمرو بن أوس اعتمد السيوطى في الجزء الأول من «الخصائص الكبرى» ص ١٩ قال في «باب خصوصيته صلى الله عليه وسلم بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت» «أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولوا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن» قال الذهبى في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو» ١٠١ هـ كلام السيوطى.

هذا وما ذكر في باب (لولوا محمد ما خلق كذا) ما أورده صاحب اللجة وزعم انه حديث بلفظ لولا حبيبى محمد ما خلقت سمائى ولا أرضى ولا جنتى ولا نارى ، وقد قال فيه العلامة الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «بيان المحجة (١)» على صاحب اللجة، ص ٢٤٤-٢٤٥ مانصه (هذا من الموضوعات لا أصل له ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن كما في الآية التي تأتى بعد وهى قول الله تعالى «الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً».

وأما حديث أنس رضى الله عنه قال «خطب النبى صلى الله عليه وسلم وقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار» الحديث فقد رواه البيهقى في الجزء الأول من «دلائل النبوة» ص ١١٧-١١٩ قال أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن

(١) هى في المجلد الرابع من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية وهى رسالة دافع بها الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبى بطين ورد على من اعترض عليه في جوابه عن أبيات من البردة سئل عنها فأوضح ما فيها من صرف خصائص الربوبية والالوهية لغير الله تعالى جزأها الله عن دينه خير الجزاء.

محمد^(١) بن حفص المقرئ ببغداد قال حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار قال حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد أملاء سنة ست وتسعين ومائتين قال حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي قال حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالوا: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من كندة يزعمون أنه منهم فقال إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمننا بذلك وإننا لن ننتفى من آبائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبيوين فلم يصبنى شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً» صلى الله عليه وسلم. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني أبو علي الحسين بن علي الحافظ قال أخبرنا محمد بن سعيد بن بكر الرازي بعسقلان قال حدثنا صالح بن علي النوفلي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة فذكره بإسناده نحوه إلا أنه لم يذكر قوله «فأخرجت» إلى قوله «حتى خرجت» تفرد به أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي هذا وله عن مالك وغيره أفراد لم يتابع عليها والله أعلم^(٢) ومن طريق البيهقي أورد ابن كثير هذا الحديث في الجزء الثاني من «البداية والنهاية» ص ٢٥٥ قال بعد أن ساق نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان وذكر أنه لا خلاف فيه بين العلماء وأنه لا خلاف في أن النبي صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام قال «وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر ابن حفص المقرئ ببغداد فساق حديث البيهقي بسنده ومثته المتقدمين ثم قال «هذا حديث غريب جداً من حديث مالك تفرد به القدامي وهو ضعيف» ١٠١ هـ كلام الحافظ ابن كثير على ما في ذلك الحديث الذي رواه البيهقي من رفع النبي صلى الله

(١) كذا في نسخة دلائل النبوة المذكورة «محمد» وفي البداية والنهاية لابن كثير من طريق البيهقي «عمر» بدل «محمد» كما سيأتي.

(٢) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

عليه وسلم نسبه إلى نزار وقد راجعنا في «ميزان الاعتدال» للذهبي ترجمة القدامى الذى تفرد بتلك الزيادة فوجدنا الذهبي يقول فيه «أحد الضعفاء تفرد عن مالك بمصائب» ويقول ضعفه ابن عدى وغيره». وأما ماسوى رفع النبي صلى الله عليه وسلم نسبه إلى نزار الذى تفرد به القدامى من ذلك الحديث فله شواهد سردها الإمام الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية».

هذا وفي باب رفع النبي صلى الله عليه وسلم نسبه رواية أخرى رفعه فيها إلى النضر بن كنانة عند ابن سعد في طبقاته الكبرى قال «أخبرنا معن بن عيسى أخبرنا ابن أبى ذئب عن لايثهم عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا محمد بن عبد الله» فانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة فمن قال غير ذلك فقد كذب، وقد ضعف الحافظ ابن حجر العسقلاني هذه الرواية في «فتح البارى» ج ٦ ص ٥٢٩ ولفظه (روى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص بسند فيه ضعف مرفوعا) «أنا محمد بن عبد الله وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة قال: من قال غير هذا فقد كذب» ٥٠١هـ. كلام الحافظ العسقلاني).

وأما أنا ابن الذبيحين» ففي كتاب التاريخ من مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٥٥٩ تحت عنوان (ذكر من قال إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام» مانصه (قد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل وقاعدتهم فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا ابن الذبيحين» إذ لاخلاف أنه من ولد إسماعيل وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبد الله بن عبد المطلب والآن فإننى أجد مصنفى هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق» هذا نص المستدرك هناك قد جزم فيه الحاكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنا ابن الذبيحين» لكن لم يسلم ذلك للحاكم فان هذا اللفظ لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح به الزرقاني في «مختصر المقاصد الحسنة» ونقل العجلونى في «كشف الخفاء عن الزيلى والعسقلانى أنهما قالا في تخريج الكشاف لم نجده بهذا اللفظ» ٥٠١هـ. والذى ورد في الباب هو ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ٥٥٤ تحت عنوان «ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما» وذلك في كتاب التاريخ قال «حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى ثنا عبيد بن حاتم الحافظ العجلي ثنا إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبى كريمة الحرانى ثنا عبد الرحيم الخطابى ثنا عبد الله بن محمد العتبي ثنا عبد الله بن سعيد الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم فقال بعضهم

الذبيح إسماعيل وقال بعضهم بل إسحاق الذبيح فقال معاوية سقطتم على الخير كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه الأعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم وقالوا أرض ربك وافد ابنك قال ففداه بمائة ناقة قال فهو الذبيح وإسماعيل الثاني.

هكذا روى الحاكم هذا الحديث في «المستدرک» وسكت عنه وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيصه بقوله «قلت إسناده واه» ١٠١ هـ ورواه ابن جرير في تفسيره ومن طريقه أورده الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره واستغربه جداً ولفظه ج ٤ ص ١٨، (وقد روى ابن جرير في ذلك أى في كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح — حديثاً غريباً فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال على الخير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليزبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل» قال ابن كثير بعد إيراده (وهذا حديث غريب جداً وأضاف إلى ذلك قوله «وقد رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه من نسخة مغلوطة» ١٠١ هـ كلام ابن كثير رحمه الله تعالى ومن جزم بضعف ذلك الحديث حديث معاوية الذي ورد فيه «يا ابن الذبيحين» القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ج ١٥ ص ١١٣ والسيوطي في «القول الفصيح في تعيين الذبيح» وهو من محتويات الحاوي للفتاوى ج ١ ص

٣١٨ قال القرطبي (وأما ما روى من طريق معاوية قال سمعت رجلاً يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال معاوية إن عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر الله إن سهل عليه أمرها ليزبحن أحد ولده الله فسهل الله عليه أمرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا افد ابنك ففداه بمائة من الإبل وهو الذبيح وإسماعيل هو الذبيح الثاني» فلاحجة فيه لأن سنده لا يثبت على ما ذكرناه في كتاب الاعلام في معرفة مولد المصطفى عليه السلام ولأن العرب تجعل العم أبا قال الله تعالى (قالوا نعبد الهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) وقال تعالى (ورفع أبويه على العرش) وهما أبوه وخالته).

وقال السيوطي (روى الحاكم في المستدرک وابن جرير في تفسيره والأموى في مغازيه والخلعي في فوائده من طريق إسماعيل بن أبي كريمة عن عمر بن أبي محمد الخطابي عن العتبي عن أبيه عن عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم أيهما الذبيح فقال بعض القوم إسماعيل وقال بعضهم بل إسحاق فقال معاوية على الخبر سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أعرابي فقال يا رسول الله خلفت الكلاء يابساً والماء يابساً هلك العيال وضاع المال فعد علي ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا أمير المؤمنين قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم وكانوا عشرة فخرج السهم على عبد الله فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة قال معاوية هذا واحد والآخر إسماعيل هذا حديث غريب وفي إسناده من لا يعرف حاله» ١٠١ هـ كلام السيوطي.

فإن قيل إن الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ذكر في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) أن الزرقاني شارح المواهب اللدنية قال في هذا الحديث (حسن بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه قلنا إن ذلك وهم من العجلوني فإن الزرقاني لم يقل ذلك في الخبر الذي ورد فيه «يا ابن الذبيحين» بل إنما قاله في حديث «الذبيح إسحاق» ونص كلامه ج ١ ص ٩٧ (قوله صلى الله عليه وسلم «الذبيح إسحاق» رواه الدارقطني عن ابن مسعود وابن مردويه والبخاري عن العباس وفيه المبارك بن فضالة ضعفه الجمهور ولكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال صحيح على شرطهما

وقال الذهبي صحيح ورواه ابن مردويه قال ابن كثير وفيه الحسن بن دينار متروك وشيخه منكر وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعاً ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقوفاً وهو أشبه (١) وتعقبه السيوطي بأن مباركا قد رفعه مرة فأخرجه البزار عنه مرفوعاً وله شواهد عنده وعند الديلمي عن العباس مرفوعاً بلفظ (وأما إسحاق فبذل نفسه للذبيح) وللطبراني وابن أبي حاتم عن أبي هريرة نحوه بسند ضعيف وللطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس؟ قال «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله»، وأخرج في الكبير عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود وفي لفظ «فاخر أسماء بن خارجة رجلاً فقال أنا ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله» (وإسناده صحيح موقوف) ١٠١ هـ - ملخصاً فهذه أحاديث يعضد بعضها بعضاً فأقل مراتب الحديث الأول - أى حديث (الذبيح إسحاق) أنه حسن فكيف وقد صححه الحاكم والذهبي وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية - أى الذى ورد فيه اقرار النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي على قوله له (يا ابن الذبيحين) بالتبسم - فإنه قابل له (٢) ١٠١ هـ كلام الزرقاني في شرح المواهب اللدنية وبايراده تبين أن الحديث الذى حسنه الزرقاني وذكر أن الحاكم والذهبي صححاه هو حديث «الذبيح إسحاق» لاحديث معاوية الذى ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم تبسم لما قال له الأعرابي يا ابن الذبيحين ، كما توهمه العجلوني على أن تصحيح حديث مرفوع في كون إسحاق هو الذبيح. غير معتبر ولولا خشية الاطالة لأسهنا في ذكر ماورد في ذلك وفي ايضاح علة كل حديث منه لكن المقصود هنا إثبات أن لفظ «أنا ابن الذبيحين» لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن حديث معاوية الذى

(١) قال ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٧ قال في ذلك الحديث مانسه (قد ورد في ذلك - أى كون إسحاق هو الذبيح - حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال «هو - أى الذبيح - إسحاق».

ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن ابيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعاً ثم قال «قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضى الله عنه وهذا أشبه وأصح والله اعلم. ١٠١ هـ كلام ابن كثير.

(٢) أى للتأويل لأن العرب تجعل العم أباً.

ورد فيه أن الأعرابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبحين فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم غير صحيح.

وأما حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم المذكور كرامة له فقد ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى وبين أنه منكر شديد النكارة ونصه ج ١ ص ١١٧-١١٨ ، أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أباى وكان من أوعية العلم قال « لما حضرت ولادة آمنة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشربعضها بعضها وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر وأخذ الشيطان فغل سبعين غلا وألقى منكوسا في لجة البحار الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لا تبقى شجرة الا حملت ولا خوف الا عاد أمنا فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا وتباشرت الملائكة وضرب في كل عمود من زبر جد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قيل هذا ما ضرب لك استبشارا بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلها وأما الات والعزى فإنهما خرجا من خزانتهما وهما يقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها وأما البيت فإنما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد على نوري الآن يجيئني زواري الآن أظهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال السيوطي في هذا الأثر وأثرين آخرين معه ص ١٢٢ مانصه، فيها — أى تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا من ضمنها — نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسى لتطيب بإيرادها لكنى تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك).

وأما حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم الخ، فقد قال أبو نعيم في الجزء الثالث من دلائل النبوة ص ٢٢١ قال حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عمرو بن محمد بن

الصباح قال ثنا يحيى بن عبد الله البابلتي ثنا أبو بكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصارى عن أبيه قال قال ابن عباس فكان من دلالات حمل النبی صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة من قريش ولا قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبته وانتزع علم الكهنة ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لا ينطق يومه ذلك ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضا به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول أثنائي آت حين مربى من حملي ستة أشهر فوكزني برجليه في المنام وقال يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طرا فإذا مولدتيه فسميه محمداً واكتمى شأنك قال فكانت تقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه قالت فسمعت وجبة شديدة وأمرأ عظيمًا فهالني ذلك وذلك يوم الاثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبنا وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبد المطلب يحرقن بى فبينما أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى هؤلاء واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول فإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح منى عرق كالجمان أطيّب ريحا من المسك الأذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل علي وعبد المطلب عني ناء قالت ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف لى عن بصرى فأبصرت ساعتى مشارق الأرض ومغاربها. ورأيت ثلاث أعلام مضروبات علم في المشرق وعلم في المغرب وعلم على ظهر الكعبة وأخذنى المخاض واشتد بى الأمر جدا فكنت كأنى مستندة إلى أركان النساء كثرن علي حتى كان الأيدى معي في البيت وأنا لا أرى شيئا فولدت محمداً صلى الله عليه وسلم (١) فلما خرج من بطنى درت فظنرت إليه فإذا أنا به ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت

(١) لفظ «صلى الله عليه وسلم» من بعض الرواة كما في شرح المواهب اللدنية للزرقانى.

من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن وجهي فسمعت مناديا ينادى يقول طوفوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه
ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محى به في
زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضا من
اللبن وتحتة حريرة خضراء قد قبض على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض
وإذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الذبح ومفاتيح النبوة، هكذا
روى أبو نعيم هذا الخبر في «دلائل النبوة» ومن طريق أبي نعيم أورده الحافظ ابن
كثير في الجزء السادس من «البداية والنهاية» ص ٢٩٨-٢٩٩ والسيوطي في الجزء
الأول من «الخصائص الكبرى» ص ١١٨-١٢١ والقسطلاني في الجزء الأول من
«المواهب اللدنية» ص ١٠٨ ولما بين ما في نسختي «دلائل النبوة» اللتين عندي
وبين ماعزاه ابن كثير والسيوطي والقسطلاني إلى أبي نعيم من اختلاف بزيادة تارة
ونقصان تارة أخرى أورد ماعند كل واحد منهم مقرونا ببيان ما قاله كل منهم في
درجته فأقول قال الحافظ ابن كثير في «باب ما أعطى محمد صلى الله عليه وسلم من
الآيات وما أعطى من قبله من الأنبياء من الآيات» (قد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا
حديثا غريبا مطولا بالمولد فقال - أي أبو نعيم - حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا
حفص بن عمرو بن الصباح حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي أنا أبو بكر بن أبي
مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال قال ابن عباس فكان من دلالات
حمل محمد صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة قد حمل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق
كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبها وانتزع علم
الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مغرسا
لا ينطق يومه لذلك وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل
البحار بشر بعضهم بعضا وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات
أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا قال «وبقى في
بطن أمه تسعة أشهر وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة الهنا وسيدنا
بقي نبيك هذا يتيما فقال الله تعالى للملائكة أنا له ولي وحافظ ونصير فتبركوا بمولده

ميمونا مباركا وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته^(١) وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتى لى آت حين مر لى من حمله ستة أشهر فوكزنى برجله فى المنام وقال ياآمنة إنك حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمى شأنك قال وكانت تحدث عن نفسها وتقول لقد أخذنى ماأأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه قالت فسمعت وجبة شديدة وأمرأ عظيما فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشانة فتناولتها فشربتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد المطلب يحقدن بى فبينما أنا أعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول وإذا أنا بديباج أبيض قد مد ما بين السماء والأرض وإذا قائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت: رأيت رجالا وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح منى عرق كالجمان أطيب ريحا من المسك الأذفر وأنا أقول ياليت عبد المطلب قد دخل على قالت ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله لى عن بصرى فأبصرت من ساعتى مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاث علامات مضروبات علم بالشرق وعلم بالمغرب وعلم على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض واشتد بى الطلق جدا فكنت كأنى مسندة إلى أركان النساء وكثرن على حتى كأنى «كذا» مع البيت وأنا لأرى شيئا فولدت محمداً فلما خرج من بطنى درت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن عينى فسمعت مناديا ينادى يقول طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سسمى الماحى لايبقى شيء من الشرك الا محى به قالت ثم تخلوا عنه فى أسرع وقت فإذا أنا به مدرج فى ثوب صوف أبيض أشد بياضا من اللبن وتحتة حريرة خضراء

(١) ما بين قوله «ميمونا مباركا» وبين قوله «وكانت آمنة» ليس فيما لدى من نسخ دلائل النبوة لأبى نعيم وانما هو عند ابن كثير وسيأتى فيما عند السيوطى فى «الخصائص الكبرى» من طريق أبى نعيم بلفظ «قال وبقي فى بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مقيضا ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه فقالت الملائكة الهنا وسيدنا بقى نبيك هذا يتيما فقال الله أنا له ولى وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته».

وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول قبض محمد مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة، بهذا اللفظ أورد ابن كثير هذا الحديث من طريق أبي نعيم في دلائل النبوة ثم قال «هكذا أوردته — أى أبو نعيم وسكت عليه وهو غريب جدا».

وقال السيوطي في الجزء الأول من «الخصائص الكبرى ص ١١٨-١٢١» «أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال «كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك غرسا لا ينطق يومه ذلك وممرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا قال (وبقى في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مغصا ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة إلهنا وسيدنا بقى نبيك هذا يتيما فقال الله أنا له ولي وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته^(١) فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتانى آت حين مربى من حمل ستة أشهر فوكزنى برجله في المنام وقال لى يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدتيه فسمه محمداً فكانت تحدث عن نفاسها وتقول لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرأ عظيم فها لنى ذلك فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى كل رعب وكل وجع كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنا وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء منى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبد مناف يحقدن بى فبينما أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذوه من أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرى مناقيرها من الزمرد وأجنحتها

(١) ما بين القوسين في الخصائص الكبرى من طريق أبي نعيم بهذا اللفظ، وتقدم لفظه عند ابن كثير من طريقه وليس فيما عندى من نسخ «دلائل النبوة» لا بهذا اللفظ ولا باللفظ الذى عند ابن كثير.

من اليواقيت فكشف الله عن بصرى وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض فولدت محمداً صلى الله عليه وسلم فلما خرج من بطنى نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيت غيب عن وجهى وسمعت منادياً ينادى طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحى لا يبقى شيء من الشرك إلا محى في زمنه ثم تجلت عنه في السرع فإذا أنا به مدرجا في ثوب صوف أبيض وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وإذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة (١) ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة حتى غشيت غيب عن عيني فسمعت منادياً ينادى طوفوا بمحمد الشرق والغرب وعلى موالد النبيين واعرضوه على كل روحانى من الجن والإنس والطيور والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى واغمروه في أخلاق الأنبياء ثم تجلت عنه فإذا أنا قد قبض على حريرة خضراء مطوية وإذا قائل يقول بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة وفي يد الثانى طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه ففسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي» هكذا ساقه السيوطى في الخصائص الكبرى وعزاه إلى أبى نعيم وقال فيه وفي أثرين آخرين ذكرهما معه قال فيها — أى في تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا الأثر منها — نكارة شديدة ولم أورد في كتابى هذا — أى الخصائص الكبرى — أشد نكارة منها ولم تطب نفسى

(١) عبارة «ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل» إلى قوله «ثم رده إلى زيادة عند السيوطى في الخصائص الكبرى مما عزاه إلى أبى نعيم وليست فيما لدى من نسخ الدلائل» ولاني الرواية التي ذكرها ابن كثير وسيأتى لفظها عند القسطلانى ضمن ما عزاه إلى أبى نعيم وبين لفظيهما من الاختلاف ما سيطلع عليه القارئ عند المقارنة بينهما إن كان مراد القسطلانى بقوله بعد ذكر رواية الخطيب التي فيها ذلك «ورواه أبو نعيم» أن لفظهما واحد.

بايرادها لكنى تبعت أبا نعيم في ذلك» ١٠١ هـ كلام السيوطي (١).

وقال القسطلاني في الجزء الأول من «المواهب اللدنية» ص ١٠٨ «روى أبو نعيم (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «كان من دلالة حمل أمة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام (٣) الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا. وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا» الحديث وهو شديد الضعف ، وقال في ص ١١١-١١٢ من هذا الجزء «روى أبو نعيم من حديث ابن عباس قال «كانت أمة تحدث وتقول أتانى آت حين مربى من حملى ستة اشهر في المنام وقال لى ياأمة انك قد حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمى شأنك قالت ثم أخذنى ماياخذ النساء ولم يعلم بى أحد لا ذكر ولا أنثى وانى لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرأ عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحقدن فينما أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بى قال في غير هذه الرواية فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين (٤) واشتد بى الأمر وإنى أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك إذ

(١) وعلى كلامه في هذا الاثر اعتمد السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من فتاويه ص ٤٤٩ فقد قال في بيان درجته «إن الأثر الذى يذكرونه — أى مؤلفو الموالد في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله — أى النبى محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذه واضعو قصص المولد من رواية أبى نعيم وهو منكر جدا أورده السيوطى في الخصائص الكبرى وأنكره مع آخرين ثم جزم السيد رشيد رضا بان تلك الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد.

(٢) اى في دلائل النبوة كما في شرح المواهب اللدنية للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقانى.

(٣) قال الزرقانى «بالميم قدوة أهلها قال «ورأيت في خصائص السيوطى الكبرى عن أبى نعيم» أمان بالنون أى أمانها من العاهات العامة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

(٤) قوله (فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين) مما عزاه القسطلانى إلى أبى نعيم ولم أجده فيما لدى من نسخ دلائل النبوة لآبى نعيم ولا فيما عزاه إليه ابن كثير ولا في ما عزاه إليه السيوطى.

بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه عن أعين الناس قال ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أبريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم^(١) فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمترفع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيت فغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحى لا يبقى شئ من الشرك الا محى في زمنه ثم انجلت عنه في أسرع وقت» الحديث وهو مما تكلم فيه^(٢).

ثم قال القسطلانى «روى الخطيب بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى أيضا أن آمنة قالت لما وضعت عليه الصلاة والسلام^(٣) رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيت وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته في جميع الأرض واعرضوه على كل روحانى من الجن والإنس، والملئكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضا اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في أخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديداً ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت إليه صلى الله عليه وسلم فإذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الأذفر وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم أبريق من فضة وفي يد الآخر طست من زمرد أخضر. وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه ففسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه

(١) لفظ (صلى الله عليه وسلم) ذكر الزرقانى أنه من الراوى.

(٢) علق الزرقانى على هذا بقوله «فذكره لينبه عليه لشهرته في الموالد.

(٣) لفظ «عليه الصلاة والسلام» من بعض الرواة.

بالخاتم ولفه في الحرية ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي ورواه أبو نعيم (١) عن ابن عباس وفيه نكارة».

هذا ما وجدناه في دلائل النبوة لأبي نعيم وما عند ابن كثير والسيوطي والقسطلاني من طريق أبي نعيم وبه تبينت روايات هذا الحديث ودرجاتها.

وأما ماورد في أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وفي أن ذلك من خصائصه فقد أعله الحفاظ ابن كثير وابن القيم والذهبي وفيما يلي كلامهم.

قال الحفاظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٢٦٥ تحت عنوان «صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام» «قال البيهقي انبانا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابودي بمرور حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي بمصر — حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال «ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا قال فأعجب جده عبد المطلب وحظى عنده وقال «ليكونن لابنى هذا شأن فكان له شأن» وهذا الحديث في صحته نظرو. وقد رواه الحفاظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ولم ير سوائى أحد» ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به، ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان هو الباغندي حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي — حدثنى خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا. وقال أبو نعيم حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفى حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظى عنده وقال ليكونن لابنى هذا شأن فكان له شأن. وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى

(١) إذا كان المراد بقوله «ورواه أبو نعيم أن لفظه مثل لفظ الخطيب الذى ذكره يكون تفاوت ما بين ما عند القسطلاني وبين ما عند السيوطي في عبارة «ثم رأيت سحابة» إلى قوله «ثم رده إلى» وإن كانت الزيادة عندهما.

زعم بعضهم أنه متواتر وفي هذا^(١) كله نظر. ومعنى مختونا أى مقطوع الختان ومسرورا أى مقطوع السرة من بطن أمه وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن ابن عيينة البصرى حدثنا على بن محمد المدائنى السلمي حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبى بكرة أن جبريل ختن النبی صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه وهذا غريب جدا. وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشا عليها والله أعلم» انتهى كلام ابن كثير في «البداية والنهاية».

وذكر في الكلام على خصائص النبی صلى الله عليه وسلم من كتابه «الفصول في اختصار سيرة الرسول» أن الحديث الذى ورد فيه أن النبی صلى الله عليه وسلم ولد مختونا» جاء من طرق عديدة لكنها غريبة ثم قال وقد قيل إنه شاركة فيها غيره من الأنبياء كما ذكره أبو الفرج بن الجوزى في كتاب تلقيح الفهوم» ١٠١ هـ. يشير ابن كثير بهذه الاحالة إلى قول الحافظ أبى الفرج بن الجوزى في كتابه القيم.

تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٤ تحت عنوان «أسماء من خلق من الأنبياء مختونا» حدثنا عن كعب الأخبار أنه قال «هم ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام^(١) ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقال محمد بن حبيب الهاشمى هم أربعة عشر آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة بن صفوان نبى أصحاب الرس ومحمد صلى الله عليه وسلم» يريد ابن الجوزى بمحمد بن حبيب الهاشمى العلامة الأخبارى النسابة أبا جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ ولفظ كتابه «المحبر» ص ١٣١ «من خلق مختونا فلم يختن ولم يحتج إلى الختان من الأنبياء صلى الله عليهم آدم شيث. نوح، سام، هود، صالح لوط، يوسف، موسى، شعيب، سليمان، زكريا، شعيب بن ذى مهديم حنظلة بن صفوان نبى أهل الرس ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

(١) أى دعوى صحته ودعوى تواتره.

(٢) يقتضى هذا أن سام بن نوح نبى قال الزرقانى في الجزء الأول من «شرح المواهب اللدنية» ص ١٢٥ وكذا رواه الزبير وابن سعد عن الكلبي وقال به أبو الليث السمرقندى ومن قلده والصحيح أنه ليس بنبي كما قاله البرهان الدمشقى وغيره ولا حجة في أثر الكلبي — الذى عند الزبير وابن سعد — لأنه مقطوع مع أنه متروك متهم بالوضع.

ثم قال ذكر ابن الكلبي عن أبي محمد المرهبي عن شيخ من ذى الكلاع قال سمعت كعب الأحبار يقول وجدت في بعض كتبنا أن آدم وجد مختونا وكذلك وجد أحد عشر نبيا مختونين وهم شيث وإدريس ونوح وابنه سام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم، وقال صاحب المحبر أيضا «ذكر ابن الكلبي قال حدثني فروة بن سعيد بن عفيف قال سمعت مالك بن مرارة الرهاوي يحدث قال: كان سبب إسلامي أني سمعت شيئا من حير كان يهوديا ثم أسلم وكان قد أمهل له في العمر يقول: ستة من الانبياء وجدوا مختونين هود وصالح وشعيب ونبي أهل حضور ونبي الرس والمضري خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين».

وقال الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده لختان النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه «تحفة المودود بأحكام المولود» «أما من قال ولد — أى النبي صلى الله عليه وسلم — مختونا فاحتجوا بأحاديث أحدها مارواه أبو عمر بن عبد البر قال وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام ولد مختونا من حديث عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا يعنى مقطوع السرة فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال: ليكون لابني هذا شأن عظيم، ثم قال ابن عبد البر ليس إسناد حديث العباس هذا بالقائم قال وقد روى موقوفا على ابن عمر ولا يثبت أيضا قلت — القائل ابن القيم — حديث ابن عمر روينا من طريق أبي نعيم حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن خالد الخطيب حدثنا محمد بن محمد بن سليمان حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى ابن أبي موسى المقدسي حدثنا خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا ولكن محمد بن سليمان هذا هو الباغندي وقد ضعفه وقال الدارقطني كان كثير التدليس يحدث بما لم يسمع وربما سرق الحديث. ومنها مارواه الخطيب بإسناده من حديث سفيان بن محمد المصيصي حدثنا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم يرسوأتى أحد قال الخطيب لم يروه فيما يقال غير يونس عن هشيم تفرد به سفيان بن محمد المصيصي وهو منكر الحديث قال الخطيب أخبرني الأزهرى قال سئل الدارقطني عن سفيان بن محمد المصيصي وأخبرني أبو الطيب الطبري قال قال لنا الدارقطني شيخ لأهل المصيصة يقال له

سفيان بن محمد الفزاري كان ضعيفا سيء الحال (١) وقال صالح بن محمد الحافظ: سفيان بن محمد المصيصي لاشيء وقد رواه أبو القاسم بن عساكر من طريق الحسن ابن عرفة حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام من كرامتي على ربي عز وجل أنى ولدت مخطونا لم ير أحد سوءتي. وفي إسناده إلى الحسن بن عرفة عدة مجاهيل. قال أبو القاسم بن عساكر وقد سرقه ابن الجارود وهو كذاب فرواه عن الحسن بن عرفة. وما احتج به أرباب هذا القول ما ذكره محمد بن علي الترمذي في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام فقال.. ومنها أن صفية بنت عبد المطلب قالت: أردت أن أعرف أذكر أم أنثى فرأيت مخطونا.. وهذا الحديث لا يثبت وليس له إسناده يعرف به وقد قال أبو القاسم عمر بن الحسن ابن هبة الله بن أبي جراحة في كتاب صنفه في ختان الرسول عليه الصلاة والسلام يرد به على محمد بن طلحة في تصنيف صنفه وقرر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مخطونا. وهذا محمد بن علي الترمذي الحكيم لم يكن من أهل الحديث ولا علم له به بطريقة وصناعته وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف على الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في الكلام على ذلك عن قاعدة الفقهاء والصوفية وأخرجوه بذلك عن السيرة المرضية وقالوا إنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة فاستوجب بذلك القدر والشناعة وملاكتبه بالأحاديث الموضوعية وحشاها بالآخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة وعلل فيها خفي الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وما أوهأها. وما ذكر في كتاب له رسمه بالاحتياط أن يسجد عقب كل صلاة يصليها سجدتي السهو وإن لم يكن سها فيها وهذا مما لا يجوز فعله بالاجماع وفاعله منسوب إلى الغلو والابتداع. وما حكاه عن صفية بقولها فرأيت مخطونا يناقض الأحاديث الأخر وهو قوله «لم يرسوأتى أحد» فكل حديث في هذا الباب يناقض الآخر ولا يثبت واحد منهما. ولو ولد مخطونا فليس هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام فإن كثيرا من الناس يولد غير محتاج إلى الختان. قال وذكر أبو الغنائم النسابة الزيدى أن أباه القاضي أبا محمد الحسن بن الحسن الزيدى ولد غير محتاج إلى الختان قال ولهذا لقب بالمطهر قال: قال فيما قرأته بخطه: خلق أبو

(١) في مجمع الزوائد للحافظ المهيمن ج ٨ ص ٢٢٤ أن سفيان بن الفزاري هو المتهم بهذا الحديث واتهامه به هو ظاهر صنيع الذهبي في ترجمته من «ميزان الاعتدال» فقد قال في ترجمته مانعه (قال ابن عدى كان يسرق الحديث ويسوى الاسانيد) ثم قال «وله عن هشيم عن يونس عن الحسن بن أنس رفعه من كرامتي أنى ولدت مخطونا».

محمد الحسن مطهراً لم يختن وتوفي كما خلق وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن من ولد كذلك لا يختن واستحسن بعضهم أن يمر موسى على موضع الختان من غير قطع والعوام يسمون هذا الختان ختان القمر يشيرون في ذلك إلى أن النمو في خلقة الإنسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان في الخلقة عند نقصانه كما يوجد ذلك في الجزر والمد فينسبون النقصان الذي حصل في الخلقة إلى نقصان القمر. قال وقد ورد في حديث رواه سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابن صياد ولد مسرورا مختونا، وسيف مطعون في حديثه وقيل إن قيصر ملك الروم الذي ورد عليه امرؤ القيس ولد كذلك ودخل عليه امرؤ القيس الحمام فرآه كذلك فقال يهجو:

إنى حلفت يميناً غير كاذبة لأنت الأغلف إلا ماجنى القمر
يعيره أنه لم يختن وجعل ولادته كذلك نقصاً. وقيل إن هذا البيت أحد الأسباب الباعثة لقيصر على أن سم امرأ القيس فمات وأنشد ابن الأعرابي فيمن ولد بلا قلفة لبعض الأعراب:

فذاك نكس لا يبيض حجره غرة العرض حديد منظره
في ليل كانون شديد خصره عض باطراف الزبانا قمره
يقول هو أقلف ليس بمختون إلا ماقلص القمر وشبه قلفته بالزبانا وهى قرنا
العقرب وكانت العرب لا تمتد بصورة الختان من غير ختان وترى الفضيلة في الختان
نفسه وتفخر به. قال وقد بعث الله نبينا عليه الصلاة والسلام من صميم العرب
وخصه بصفات الكمال من الخلق والخلق والنسب فكيف يجوز أن يكون مذكوره من
كونه ولد مختونا مما يميز به النبي عليه الصلاة والسلام ويخصص. وقيل إن الختان من
الكلمات التي ابتلى الله بها خليله عليه الصلاة والسلام فأتمهن وأكملهن وأشد الناس
بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم الختان من
الفطرة. ومن المعلوم أن الابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف ثواب المبتلى به وأجره
والأليق بحال النبي عليه الصلاة والسلام أن لا يسلب هذه الفضيلة وأن يكرمه الله
بها كما أكرم خليله فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبيين وأعلى وختن
الملك إياه كما روينا أجدر من أن يكون من خصائصه وأولى وهذا كله كلام ابن
العديم. ويريد بختن الملك ما رواه من طريق الخطيب عن أبي بكرة أن جبريل
ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه.. وهو مع كونه موقوفاً على أبي بكرة
لا يصح إسناده فإن الخطيب قال فيه أنبانا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان بن محمد

البجلي أنبأنا جعفر بن محمد بن نصير حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا عبد الرحمن بن عيينة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني حدثنا سلمة بن محارب بن سليم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة. وليس هذا الاسناد مما يحتج به. وحديث شق الملك قلبه عليه الصلاة والسلام قد روى من وجوه متعددة مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وليس في شيء منها أن جبريل ختنه إلا في هذا الحديث فهو شاذ غريب. قال ابن العديم وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبد المطلب ختنه في اليوم السابع. وقال وهو على ما فيه أشبه بالصواب وأقرب إلى الواقع. ثم ساق من طريق ابن عبد البر حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أحمد قراءة منى عليه أن محمد ابن عيسى حدثنا قال حدثنا يحيى بن أيوب بن زياد العلاف حدثنا محمد بن أبي السرى العسقلاني حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمداً قال يحيى بن أيوب ما وجدنا هذا الحديث عند أحد الا عند ابن أبي السرى وهو محمد بن المتوكل بن أبي السرى والله أعلم» ١٠١هـ. كلام ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود وقال في الفصل الذي عقده لختانه صلى الله عليه وسلم من «زاد المعاد في هدى خير العباد» قد اختلف فيه — أى ختانه صلى الله عليه وسلم — على ثلاثة أقوال.

أحدها أنه ولد مختوناً مسروراً وروى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات (١) وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً وقال الميموني قلت لأبي عبد الله: معاملة سئلت عنها ختان ختن صبياً فلم يستقص قال إذا كان الختان جاوز نصف الحشفة إلى فوق فلا

(١) لم أجده في «الموضوعات» لابن الجوزي وإنما وجدت له في باب ولادة النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً من «العلل المتناهية» في الأحاديث الواهية» ج ١ ص ١٦٥—١٦٦ مانصه «أنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسنويه الكاتب قال نا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن سالم قال حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي قال نا سفيان بن محمد المصيصي قال نا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كرامتي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوائتي» قال المؤلف تفرد به سفيان قال ابن عدى كان يسرق الأحاديث ويسوي الاسانيد وفي حديثه موضوعات وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به ، ثم قال ابن الجوزي «لا شك أنه ولد مختوناً غير أن هذا الحديث لا يصح به» ١٠١هـ كلام ابن الجوزي.

يعيد لأن الحشفة تغلظ وكلما غلظت ارتفع الختان فأما إذا كان الختان دون النصف فكنت أرى أن يعيد قلت فإن الاعادة شديدة جدا وقد يخاف عليه من الاعادة فقال لأدرى ثم قال لي فإن هاهنا رجلا ولد له ابن محتون فاعتم لذلك غما شديدا فقلت له إذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا انتهى وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليل المحدث ببית المقدس أنه ولد كذلك وأن أهله لم يحتنوه والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم. والقول الثاني أنه ختن صلى الله عليه وسلم يوم شق قلبه الملك عند ظئره حليلة. القول الثالث أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا. وقال أبو عمر بن عبد البر «وفي هذا الباب حديث مسند غريب حدثناه أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا محمد بن أبي السرى العسقلاني حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيت إلا عند ابن أبي السرى وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفا في أنه ولد محتونا وأجلب فيه من الأحاديث التي لاخطام لها ولازمام وهو كمال الدين بن طلحة فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه أنه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها والله اعلم.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ١ ص ٤١٢-٤١٣ «أخبرنا عمر بن عبد المنعم أنبأنا أبو القاسم بن الحرساني قراءة عليه وأنا في الرابعة أنبأ على بن المسلم حدثنا ابن طلاب أنبأنا ابن جميع الغساني حدثنا عمر بن موسى بن هارون بالمصيصة حدثنا جعفر بن عبد الواحد قال قال لنا صفوان بن هبيرة ومحمد بن بكر البرساني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال «ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا محتونا» وهذا آفته جعفر وكان الذهبي قد نقل عن الدارقطني أنه قال في جعفر الذي هو آفة هذا الحديث «يضع الحديث. وعن أبي زرعة أنه قال فيه «روى أحاديث لأصل لها» وعن ابن عدى أنه قال «يسرق الحديث ويأتي بالمناكير عن الثقات وساق له ابن عدى أحاديث وقال: كلها بواطل وبعضها سرقة من قوم وكان عليه يمين أن لا يحدث ولا يقول حدثنا وكان يقول قال لنا فلان وعن الخطيب انه قال في جعفر بن

عبد الواحد هذا «عزله المستعين عن القضاء ونفاه إلى البصرة وعن أبي حاتم أنه قال: وصل جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي حديثا للقنبي فزاد فيه «عن أنس فدعا عليه القنبي فافتضح» وعن أبي زرعة أنه قال فيه أخاف أن تكون دعوة الشيخ الصالح أدركته.

وقال الذهبي في الجزء الأول من «تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام» ص ٢٣-٢٤ مانصه «قال الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا .. وهذا أصح مما رواه ابن سعد أنا يونس عن عطاء المكي حدثنا الحكم بن أبان العدني حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا فأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن. تابعه سليمان بن سلمة الخبائري عن يونس لكن أدخل فيه بين يونس والحكم. عثمان بن ربيعة الصدائي قال شيخنا الدمياطي يروى عن أبي بكرة قال ختن جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طهر قلبه قلت — القائل الذهبي — هذا منكر.

وأما تعلق الملا علي قارى بقول الحاكم في الجزء الثاني من مستدركه ص ٦٠٢ «قد تواترت الأخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا» فيرده أن الذهبي تعقب قول الحاكم ذلك بقوله (قلت ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا) كما عد في ترجمة الحاكم من «ميزان الاعتدال» قول الحاكم في خبر ان المصطفى صلى الله عليه وسلم ولد مسرورا مختونا «قد تواتر هذا» عده من شقايقه.

هذه نبذة من كلام الحفاظ فيما ورد في باب كون النبي صلى الله عليه وسلم ولد مختونا يتضح بها أن ماورد في ذلك الباب من الأحاديث غير صحيح سواء كان النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الأمر ولد مختونا أم لا ولو لم يكن في الباب الاقول المروزي سئل ابو عبد الله — أى أحمد بن حنبل — هل ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونا قال: الله اعلم ثم قال لا أدري. قال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا قد روى أنه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا ولم يجترأ أبو عبد الله على تصحيح هذا الحديث).

أقول لو لم يكن في الباب إلا هذا التوقف الذى رواه المروذى عن الإمام

أحمد لكان كافيا فكيف وقد انضمت إليه تصريحات كبار الحفاظ بعده بعدم صحته ومنهم الحفاظ العراقي الذي نقل الملا على قارى في ص ٧٧ من «المورد الروى في المولد النبوى» عنه أنه قال بعد استعراضه القول بأنه صلى الله عليه وسلم ولد محتونا وبأنه ختنه جبريل عليه السلام وبأنه ختنه عبد المطلب قال مانصه لا يثبت في هذا كله شيء» ولكن التوفيق بيد الله عز وجل نسأله إياه فإنه هو القادر على ذلك.

وأما حديث مناغاة النبي صلى الله عليه وسلم القمر فعند الخطيب في المؤتلف من طريق محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي الضمرى عن العباس بن عبد المطلب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يناغى القمر ويشير إليه بأصبعه فسألته بعد أن أسلمت فقال: كان يلهينى عن البكاء وكنت أسمع وجبته حين يسجد تحت العرش فذكر الحفاظ ابن حجر العسقلانى في ترجمة عمرو بن يثربي من «الاصابة في تمييز الصحابة» ج ٣ ص ٢٣ بعد إيراده من هذا الطريق أن سنده واه جداً» قلت — القائل إسماعيل الأنصارى لأن في سنده أحمد بن إبراهيم الحلبي به أعلى البيهقى في الجزء الأول من «دلائل النبوة» ٣٩٠ قال «أخبرنا أبو عبد الله الحفاظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن شيبان الرملى قال حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبي قال حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعانى إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال: إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش» ثم قال البيهقى ص ٣٩١ «تفرد به هذا الحلبي باسناده وهو مجهول»، ومن طريق البيهقى أورده الحفاظ ابن كثير في كلامه على صفة مولد النبي صلى الله عليه وسلم من «البداية والنهاية» ج ٢ ص ٢٦٦ بسنده ومتمته المذكورين وأقر البيهقى على تجهيل روايه الآن في طبعة تاريخ ابن كثير تفرد به «الليثي» بدل «الحلبى» وفي المواهب اللدنية في «باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما معه» أن هذا الحديث أخرجه البيهقى والصابونى في المائتين والخطيب^(١) وابن عساكر في تاريخيهما وابن طغرى في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعانى إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إنى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش ثم قال القسطلانى قال البيهقى تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي

(١) لم أجده في تاريخه الذى عزاه إليه صاحب «المواهب اللدنية».

وهو مجهول وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو في المعجزات حسن ١٠١ هـ، المراد من كلام القسطلانى ولا وجه لتحسين الصابونى ايراد هذا الحديث في المعجزات مادام امر راويه الحلبى كما ذكرنا بل قال ابن ابى حاتم في الجرح والتعديل ج ١ قسم ١ ص ٤٠ في راويه احمد بن ابراهيم الحلبى مانصه «سألت أبى عنه وعرضت عليه حديثه فقال لأعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول يدل حديثه على أنه كذاب) هذا من ناحية السند وأما من ناحية المتن فإن العباس أصغر أعمام النبى صلى الله عليه وسلم فحمزة أكبر منه وهو — أى حمزة — أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بستين كما رواه البكائى عن ابن اسحاق فروية العباس لذلك وروايته اياه غريبان أفاد ذلك الزرقانى في شرح المواهب اللدنية» ج ١ ص ١٤٧.

وأما ماجاء عن بريدة رضى الله عنه أنه قال «رأت آمنة وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدته فسميه أحمد أو محمداً وعلقى عليه هذه فانتبعت وعند رأسها صحيفة مكتوب عليها. أعينه بالواحد من شر كل حاسد. الخ

فعند أبى نعيم في الفصل الحادى عشر من «دلائل النبوة» ج ١ ص ٤٠ طبعة بيروت قال حدثنا عمر بن محمد قال حدثنا ابراهيم بن السندى قال حدثنا النضر بن سلمة ثنا أبو غزيرة محمد بن موسى الأنصارى عن أبى عثمان سعيد بن زيد الأنصارى عن ابن بريدة عن أبيه قال «رأت آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم في منامها فقيل لها إنك حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدته فسميه أحمد ومحمداً وعلقى عليه هذه قال فانتبعت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب فيها:

أعينه بالواحد	من شر كل حاسد
وكل خلق رائد	من قائم وقاعد
عن السبيل عاند	على الفساد جاهد
من نافث او عاقد	وكل خلق مارد
يأخذ بالراصد	في طرق الموارد

أنها هم عنه بالله الأعلى وأحوطه منهم باليد العليا، والكف الذى لا يرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لا تطردوه ولا تضروه في مقعد ولا مقام ولا مسير ولا مقام. أول الليالى وآخر الأيام أربع مرات بهذا.

هكذا رواه الحافظ أبو نعيم وفي سنده عنده النضر بن سلمة وشيخه أبو غزية محمد بن موسى الانصارى وهما تالفان، أما النضر بن سلمة فلقول الدارقطنى في حواشيه على كتاب المجروحين لابن حبان ص ٢٨٤ (إن النضر مشهور بوضع الحديث على الثقات. وأما محمد بن موسى بن مسكين الأنصارى المكنى بأبى غزية فلقول ابن حبان في الجزء الثانى من «المجروحين» ص ٢٨٣) (كان ممن يسرق الحديث ويحدث به ويروى عن الثقات أشياء موضوعات حتى إذا سمعها المبتدئ في الصناعة سبق إلى قلبه أنه كان المتعمد لذلك) ولقول الحافظ الذهبى في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» في ترجمته قال البخارى عنده مناكير وقال ابن حبان كان يسرق الحديث ويروى عن الثقات الموضوعات وقال أبو حاتم ضعيف وثقه الحاكم مات سنة سبع ومائتين. ولقول الحافظ العسقلانى في الجزء الخامس من «لسان الميزان» ص ٣٩٨ بعد إيراده كلام الذهبى هذا في أبى غزية «ذكره — أى محمد بن موسى أبى غزية — العقيلي في الضعفاء وقال ابن عدى روى أشياء أنكرت عليه واتهمه الدارقطنى بالوضع وقد تقدم ذلك في ترجمة على بن أحمد الكعبى المصرى) يشير الحافظ العسقلانى بهذه الاحالة إلى قوله في ترجمة على بن أحمد الكعبى من «لسان الميزان» ج ٤ ص ١٩٢ «روى عن أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها حديثين: أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحيها فأمنت به فردها إلى حفرتها. والثانى بهذا الاسناد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عريانا فجاءه جبريل وميكائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن شفقة من الله عليه» قال الدارقطنى والاسناد والمتنان باطلان ولا يصح لأبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس» وبهذا الذى ذكرناه في سند هذا الحديث تبين قول الشامى في سيرته ج ١ ص ٣٩٥ «سند واه جداً وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب الموالد».

هذا الجواب عن هذا الحديث من ناحية السند وأما الجواب عنه من ناحية المتن فبما أفاده الشيخ محمد بن يوسف الصالحى الشامى في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٣٩٥ وهو أن الحافظ أبى الفضل العراقى قال في مولده «إن من قوله «وعلقى عليه هذه» إلى آخره أدرجه بعض القصاص».

وأما ذكر بعض أهل السير هذه الأبيات من حديث ابن عباس فالجواب عنه

بما نقله القسطلاني في الجزء الأول من المواهب اللدنية ص ١٠٧ بعد إيراده الخبر المذكور عن الحافظ العراقي وهو أنه قال في الأبيات المذكورة في هذا الخبر «أعيذه بالواحد: من شر كل حاسد» مانصه هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها ٥١١هـ.

وأما حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال «هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول إن كنت اتخذت ابراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا» فرواية ابن عساكر له أوردها السيوطي في الجزء الثالث من «الخصائص الكبرى» ص ١٥١ - ١٥٢ بلفظ «قيل للنبي صلى الله عليه وسلم كلم الله موسى تكليماً وخلق عيسى من روح القدس واتخذ ابراهيم خليلاً واصطفى آدم فما أعطيت من الفضل؟ فهبط جبريل فقال: إن ربك يقول «إن كنت اتخذت ابراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وإن كنت كلمت موسى في الأرض تكليماً فقد كلمتك في السماء وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفى سنة ولقد وطئت في السماء موطناً لم يطأه أحد بعدك وإن كنت اصطفت آدم فقد ختمت بك الأنبياء وما خلقت خلقاً أكرم على منك وقد أعطيتك الحوض والشفاعة والناقة والقضيب والتاج والهاوذة والحج والعمرة وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشي في القيامة عليك ممدود وتاج الحمد على رأسك معقود وقرنت اسمك مع اسمي فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا» بهذا اللفظ أوردها السيوطي وعزاها إلى ابن عساكر وأوردها تلميذه الشامي في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» ج ١ ص ٩٤ باللفظ الذي ذكرناه أولاً ثم قال «رواه - أي حديث سلمان بتلك الرواية ابن عساكر وسنده واه جداً» ٥١١هـ.

وقد رواه أبو الفرج بن الجوزي في الجزء الأول من «الموضوعات» ص ٢٨٨-٢٨٩ بسند واه جداً فإنه رواه من طريق محمد بن عيسى بن حبان المدائني المعروف بأبي السكين قال حدثنا محمد بن الصباح قال أنبأنا علي بن الحسن الكوفي عن ابراهيم بن اليسع عن أبي العباس الضرير عن الخليل بن مرة عن يحيى البصري عن زاذان عن سلمان قال «حضرت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فإذا بأعرابي جاف راجل بدوى وقد وقف علينا فسلم فرددنا عليه السلام فقال يا قوم أيكم محمد رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا محمد رسول الله. فقال

الأعرابي لقد أيقنت بك قبل أن أراك وأحببتك من قبل أن ألقاك وصدقت بك قبل أن أرى وجهك ولكنى أريد أن أسألك عن خصال قال سل عما بدالك فقال فذاك أبى وأمى أليس الله عز وجل كلم موسى قال بلى قال وخلق عيسى من روح القدس قال بلى قال واتخذ إبراهيم خليلًا واصطفى آدم قال بلى قال: بأبى أنت وأمى أى شيء أعطيت من الفضل فأطرق النبي صلى الله عليه وسلم فهبط عليه جبريل فقال: الله يقرئك السلام وهو يسألك عما هو أعلم به منك فيقول يا حبيبى لم أطرقت أرفع رأسك ورد على الأعرابي جوابه. قال أقول ماذا يا جبريل قال: الله يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلًا فقد اتخذتك من قبل حببنا وإن كلمت موسى في الأرض فقد كلمتك وأنت معى في السماء والسماء أفضل من الأرض وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك قبل أن أخلق الخلق بألفى سنة ولقد وطئت في السماء موطئًا لم يطأه أحد قبلك ولا يطؤه أحد بعدك وإن كنت قد اصطفت آدم فقد ختمت بك الأنبياء ولقد خلقت مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي ما خلقت خلقًا أكرم علي منك ومن يكون أكرم علي منك ولقد أعطيتك الخوض والشفاعة والناقة والقضيب والميزان والوجه الأقر والجمل الأحمر والتاج والهاوذة والحج والعمرة والقرآن وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشى في القيامة على رأسك ممدود وتاج الملك على رأسك معقود ولقد قرنت اسمك مع اسمى فلا أذكر في موضع حتى تذكر معى ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك علي ومنزلتك عندي ولولاك يا محمد ما خلقت الدنيا» هكذا رواه ابن الجوزى وقال فيه ص ٢٨٩-٢٩٠ «هذا حديث موضوع لاشك فيه وفي إسناده مجهولون وضعفاء والضعفاء أبو السكين وإبراهيم بن اليسع قال الدارقطني أبو السكين ضعيف وإبراهيم ويحيى البصرى متروكان قال أحمد بن حنبل حرقنا حديث يحيى البصرى وقال الفلاس كان كذابا يحدث أحاديث موضوعة وقال الدارقطني متروك» ١٠١هـ.

وأما ماجاء في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل قال له (هذا آخر موطئى من الأرض) فقد ذكر السيوطى في «الخصائص الكبرى له روايات أعل بعضها بالاعضال وبعضها بالإرسال وذكر أن العدنى روى بعضها في مسنده متصلًا قال حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب» لذلك نذكر كلام السيوطى المتضمن لذلك ثم نجيب عن السند الذى زعم أنه موصول فنقول وبالله التوفيق.

قال السيوطى في الخصائص الكبرى ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٥ (أخرج ابن سعد

والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال «لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث هبط إليه جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجددك قال: أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا فلما كان اليوم الثاني هبط إليه فقال له مثل ذلك فقال له أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا فلما كان اليوم الثالث هبط إليه جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط يقال له اسماعيل على سبعين ألف ملك كل ملك منهم على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجددك قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك فقال إذن له فدخل فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها قال وتفعل ذلك يا ملك الموت قال نعم بذلك أمرت فقال جبريل إن الله قد اشتاق إلى لقائك قال يا ملك الموت امض لما أمرت به فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئي الأرض فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله خلقا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب هذا اسناد معضل وقد أخرجه ابن سعد والشافعي في سننه والطبراني من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين به وهو مرسل أيضا. هذا ما أعلاه السيوطي من تلك الروايات بالأعضال والارسال.

وأما رواية محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب (١) عند العدني في مسنده التي جزم السيوطي بعد اعلاله ماسواها من الروايات بالأعضال والارسال بأنها موصولة (٢) فمدارها على

(١) لما ورد في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل قال له «هذا آخر موطئي من الأرض».

(٢) لفظ السيوطي (وأخرجه العدني في مسنده حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب به موصولا).

محمد بن جعفر وهو متكلم فيه كما بينه الخطيب والذهبي.

فقد قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤-١١٥ (أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال أنبأنا الحسن بن محمد بن يحيى قال نا جدى قال قال أبو موسى العباسي كان جدى لما ولاه المأمون اليمن خلف عياله وثقله بمكة فخرج بها محمد بن جعفر في سنة تسع وتسعين ومائة فضرب على ما كان لجدى من مال قليل وكثير فقدم جدى إسحاق بن موسى من اليمن وقد ولاه المأمون الموسم والصلاة بأهله فوجد محمد بن جعفر قد حال بين أمواله وعياله فبعث إليه، إن حاربتني لقيت مني ماتكره فدخل بينهم ابن أبي مسرة جد هذا الذي كان بمكة المخزومي القاضي حتى ضمن له جدى أن لا يحاربه إلا أن يأتيه مدد من المأمون فينفيه من مكة فلجأ جدى إلى ذات عرق ولم يبق من أثائه ولا من ثقله قليل ولا كثير الا أخذه محمد بن جعفر فبينما جدى بذات عرق إذ أتاه عيسى الجلودى بمن معه فانحدر إلى مكة محارباً لمحمد ابن جعفر فوجد الكعبة قد عريت وكسوها أثواب حبر ووجدوه قد كتب على أبواب المسجد «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فأسرع الجند ليمحوه فقال لا تمحوه واكتبوا «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» ثم أخذ محمد بن جعفر فقال قد كنت حدثت الناس بروايات لتفسد عليهم دينهم فقم فأكذب نفسك وأصعده المنبر وألبسه دراعة سوداء فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «يا أيها الناس إنى قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب والسمع الذى كانوا سمعوا منه ثم نزل على المنبر فأحسن جدى رفته وأطلقه إلى المدينة فخرج من المدينة إلى المأمون بخراسان» وقال الحافظ الذهبي في ترجمته — أى محمد بن جعفر راوى ذلك الحديث — من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ج ٣ ص ٥٠٠ محمد بن جعفر بن محمد بن على الهاشمى الحسينى عن أبيه تكلم فيه حدث عنه ابراهيم بن المنذر ومحمد بن يحيى العدنى دعا إلى نفسه في أول دولة المأمون وبويع بمكة سنة مائتين فحج حينئذ المعتصم وهو أمير وظفر به واعتقله ببغداد فبقى بها قليلاً وكان بطلا شجاعاً يصوم يوماً ويفطر يوماً مات سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على السبعين وقبره بجرجان ذكره ابن عدى في الكامل وقال البخارى أخوه إسحاق أوثق منه قلت: القائل الذهبي — فمن الباطل الذى ألصق بمحمد هذا عن أبيه جعفر الصادق أنه قال تملك سليمان الدنيا سبعمئة عام وستة أشهر وذكر قصة منكراً أخرجها الحاكم في مستدركه فشان الكتاب بها وبأمثالها».

وعلى كلام الخطيب والذهبي اعتمد الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابيه «الزهر النضر في نبأ الخضر»^(١) والاصابة في اعلال رواية ابن ابي عمر العدني لحديث وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ورد في آخره أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئ الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا قال الحافظ في الكتابين المذكورين في ذلك الحديث (أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرني أبو محمد بن القيم أخبرنا الحسن بن (٢) البخاري عن محمد بن معمر أخبرنا سعيد بن أبي الرجاء أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان أخبرنا أبو بكر بن المقرئ أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال كان أبي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليهم نفر من قريش فقال ألا أحدتكم عن أبي القاسم قالوا بلى فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره «فقال جبريل يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئ الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب وإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا. هذا «الخضر» ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبيعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرحان سنة ثلاث ومائتين وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس إنني قد كنت حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة قال البخاري أخوه إسحاق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثا قال الذهبي إنه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليهما السلام ٥١ هـ، كلام الحافظ ابن حجر في كتابيه المذكورين والحديث الذي ذكر أن الحاكم أخرجه لمحمد ابن جعفر في ذكر سليمان بن داود وقال فيه الذهبي إنه ظاهر النكارة وأقر ابن حجر الذهبي على ذلك هو ماوراء الحاكم في الجزء الثاني من «المستدرك» ص ٥٨٨ قال أخبرنا أبو سعيد الأحمسي ثنا الحسين بن حميد ثنا الحسين بن علي السلمى حدثني محمد بن حسان عن محمد

(١) هو ضمن مجموعة الرسائل المنيرية وهذا الحديث فيه ص ٢١٦-٢١٧ وفي الاصابة ج ١ ص ٤٤٠.

(٢) كذا في الاصابة وفي الزهر النضر «أبو الحسن».

بن جعفر بن محمد عن أبيه قال «أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سليمان ابن داود سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطيور والسباع وأعطى علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي ماسمع بها الناس وسخرت له فلم يزل مدبراً بأمر الله ونوره وحكمته حتى إذا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن استودع علم الله وحكمته أخاه وولد داود وكانوا أربعمائة وثمانين رجلاً بلا رسالة» هكذا رواه الحاكم وتعقب الحافظ الذهبي إirاده إياه في «المستدرک» بقوله (قلت هذا باطل) ٥١هـ.

وبعد كتابة ما كتبنا عن هذا الحديث وجدنا في كتاب معرفة علماء أهل جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي ص ٣١٩-٣٢١ عدة طرق لرواية محمد ابن جعفر المذكور لهذا الحديث فاحببنا إيرادها.

قال «حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ إملأ في سنة أربع وستين وثلاثمائة حدثنا أحمد بن حفص السعدى سنة إحدى وتسعين ومائتين حدثنا محمد بن أبى عمر العدنى المكى وعبد الوهاب بن على الجرجانى قالأ حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: كان أبى يذكره عن أبيه عن جده عن على قال: دخل على نفر من قريش قال فقال: ألا أحدثكم عن أبى القاسم صلى الله عليه وسلم قال قالوا بلى قال لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث هبط إليه جبريل وقال ياأحمد إن الله أرسلنى إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك فيقول كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغموماً قال ثم جاء اليوم الثانى فقال ياأحمد إن الله أرسلنى إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مكروباً قال ثم جاء اليوم الثالث فقال ياأحمد إن الله تعالى أرسلنى إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدنى مغموماً وأجدنى يا جبريل مكروباً قال وهبط مع جبريل ملك في الهواء يقال له إسماعيل على تسعين ألف ملك قال فقال جبريل ياأحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له قال فدخل قال فقال ملك الموت ياأحمد إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك إن أمرتنى بقبض

نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها قال فقال جبريل إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ياملك الموت امض لما أمرت به قال فقال جبريل عليه السلام يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئى الأرض إنما كنت أنت حاجتى من الدنيا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت واتقوا الله وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله قال فقال على أتدرون من هذا قالوا لا قال: هذا الخضر عليه السلام أخبرناه ابراهيم بن محمد بن سهل الجرجاني حدثنا محمد بن ابراهيم الرفاء حدثنا محمد بن ادريس الرازى حدثنا احمد بن الوليد بن برد الانطاكى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه على بن أبي طالب قال: دخل علي على نفر من قریش وذكر الحديث أخبرنا أبو بكر أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله ابن محمد بن ناجية حدثنا ابن النطاح حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن على عن أبيه محمد عن جده على بن الحسين عن على بن ابي طالب قال: هبط جبريل على أبى القاسم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث وقال: إن الله أرسلنى إليك يقول: كيف تجددك قال أجدنى يا جبريل مغموما مكروبا فأثاه ثلاثة أيام يقول له مثل ذلك فلما كان اليوم الثالث أتاه فقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك قال: وما استأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك وقال ملك الموت إن الله أمرنى أن أطيعك إن أمرت قبضت روحك وإن أمرتنى تركتها فقال امض لما أمرت به فقال جبريل يا محمد هذا آخر وطئى الأرض وأنت آخر حاجتى من الدنيا قال ثم ذكر حديثا طويلا. هكذا كان في كتاب أبى بكر الاسماعيلى انتهى. ما في معرفة علماء جرجان للسهمى من طرق رواية محمد بن جعفر لخبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الذى ورد فيه قول جبريل (هذا آخر موطنى من الأرض).

يضاف إلى ذلك كله جزم السيوطى في «الاعلام بحكم عيسى عليه السلام» وهو من «محتويات» (الحاوى للفتاوى) ج ٢ ص ١٦٥ ببطلان ما اشتهر على السنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم قال (وهذا شيء لا أصل له ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبرانى في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب قال ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فإنى أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل ، فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى

الأرض ويحضر موته كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة قال ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض وهو ما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الدجال قال «فيسمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول انا ميكائيل بعثني الله لأمنعه من حرمة ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمة، ثم رأيت في قوله تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم» الآية عن الضحاك أن الروح هنا جبريل وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة» ١٠١ هـ كلام السيوطي وفي ختام الكلام على هذا الحديث نستحسن إيراد كلام للحافظ ابن كثير في أحاديث وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكره في البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٤ نصه :

«قد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة — أى وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم — أخبارا كثيرة فيها نكارة وغبابة شديدة أضربنا عن ذكرها صفحا لضعف أسانيدنا ونكارة متونها ولا سيما ما يورده كثير من القصص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لاحالة وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده».

وفي ختام كلامنا على مافي قصص المولد من التساهل في الأحاديث نورد ما في مولد الديبع أمرين يدلان غاية الدلالة على مجاوزة مؤلف ذلك المولد الحد في ذكر الموضوعات أحدهما قوله في فاتحة تلك القصة ص ١٢-٢١ «فسبحانه تعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين الازب وعرض فخره على الأشياء وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفياء وأكرم الحبايب اللهم صل وسلم وبارك عليه».

قيل هو آدم؟ قال: آدم به أنيله أعلى المراتب: قيل : هو نوح؟ قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب قيل: هو ابراهيم؟ قال: ابراهيم به تقوم حجته على عباد الأصنام والكواكب. قيل هو موسى؟ قال: موسى أخوه ولكن هذا حبيب وموسى كليم ومخاطب قيل هو عيسى؟ قال: عيسى يبشر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب قيل: فمن هذا الحبيب الكريم الذي ألبسته حلة الوقار. وتوجته بتيجان المهابة والافتخار. ونشرت على رأسه العصائب؟ قال: هو نبى استخرته من لؤى بن غالب يموت أبوه وأمه ثم يكفله جده ثم عمه الشقيق أبو طالب اللهم

صل وسلم وبارك عليه.

يبعث من تهامة. بين يدي القيامة. في ظهره علامه تظله الغمامة تطيعه السحائب. فجرى الجين، ليلي الذوائب، ألقى الأنف، ميمى الفم، نونى الحاجب، سمعه يسمع صرير القلم، بصره إلى السبع الطباق ثاقب، قدماء قبلهما البعير. فأزالا ما اشتكاه من المحن والنوائب. آمن به الضب. وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع حنين حزين نادب يدها تظهير ركتهما في المطاعم والمشارب قلبه لا يغفل ولا ينام، ولكن للخدمة على الدوام مراقب إن أودى يعف ولا يعاقب، وإن خوصم يصمت ولا يجاوب، أرفعه إلى أشرف المراتب، في ركة لا تنبغى قبله ولا بعده لراكب في موكب من الملائكة، يفوق على سائر المواكب. فإذا ارتقى على الكونين وانفصل عن العالمين ووصل إلى قاب قوسين، كنت له أنا النديم والمخاطب اللهم صل وسلم وبارك عليه.

ثم أرده من العرش قبل أن يبرد الفرش وقد نال جميع المآرب فإذا شرفت تربة طيبة منه بأشرف قالب، سعت إليه أرواح المحبين على الأقدام والنجائب»، فإن ما في هذه الفاتحة من أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب لأصل له وكذلك ما فيها من أسئلة وأجوبة بين من زعم صاحب تلك القصة أن الله عرض فخر نبيه عليه وبين الله سبحانه وتعالى لا يوجد في أى مرجع معتبر وقد اجاد السيد رشيد رضا حيث قال في جوابه عن سؤال وجه إليه من أحد أهالي جوهر نصه أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوى للديبى ولعله غير المحدث بدعوى أن فيها كذبا وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام إن روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تحضره من أوله الى آخره وتحضر في غيره عند القيام فقط فترى هجيرى أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهي قد مرت على سمع الجهم الغفير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب ام لا أفيدوا الله يقيكم للأمة قال في جوابه عن ذلك السؤال في الجزء الثاني من فتاويه ص ٤٦٤ مانصه الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب ولعله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم «بدأ الدين غربيا وسيعود غربيا كما بدأ فطوبى للغرباء» وقد قرأت طائفة من هذه القصة فإذا بصاحبها يقول في فاتحتها «فسبحانه وتعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفياء وأكرم الحباب

قيل هو آدم؟ قال: آدم أنيله به أعلى المراتب» ثم ذكر ابراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة. فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون ١٠١هـ. وقد جاء في آخر جواب على آخر سؤال من الاسئلة التي اشرفنا اليها آنفاً اشارة إلى أحاديث بعضها غير ثابت وبعضها ثابت الا أن العبارات التي وردت فيها تلك الاشارات جعلها صاحب تلك القصة من جواب الله تعالى عن سؤال الذي زعم أنه يسأله فلذلك لم ينجح الشيخ محمد بن علوي فيما اعتبره تخريجا لتلك الأحاديث لأن الوضع يجعل التخريج مستحيلا.

الثاني من الامرين تسمية صاحب تلك القصة خبراً اسرائيليا أورده عن كعب الاحبار حديثا نبويا فانه قال «أول مانستفتح بايراد حديثين وردا عن نبي كان قدره عظيما ونسبه كريما وصراطه مستقيما قال في حقه من لم يزل سميعا عليما، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» ثم قال بعد ذكره ما اعتبره الحديث الأول قال «الحديث الثاني عن عطاء ابن يسار عن كعب الاحبار قال علمني أبي التوراة إلا سफراً واحداً كان يختمه ويدخله الصندوق فلما مات أبي فتحته فإذا فيه: نبي يخرج آخر الزمان، مولده بمكة، وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام يقص شعره، ويتزر على وسطه، يكون خير الأنبياء، وأتمه خير الأمم، يكبرون الله تعالى على كل شرف يصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال قلوبهم مصافهم، يحمدون الله تعالى على كل شدة ورخاء، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يأتون بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم، وثلث يأتون بذنوب وخطايا عظام فيقول الله تعالى للملائكة اذهبوا فزنوهم فيقولون ياربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم ووجدنا أعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الحق وعزتي وجلالي لا جعلت من أخلص لي بالشهادة كمن كذب بي أدخلوهم الجنة برحمتي) ومن الواضح أن هذا الخبر الذي استخرجه كعب الاحبار من صندوق أبيه لم يدع أنه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما زعم أنه في التوراة فلاوجه لدعوى صاحب تلك القصة أنه حديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقد انتبه لذلك السيد رشيد رضا في جوابه عن سؤال وجه إليه عن تلك القصة — فذكر أن ذاك الخبر أثر عن كعب الاحبار سماه مؤلف القصة حديثا لجهله ذكر ذلك في الجزء الثاني من فتاويه ص ٤٦٥ من ضمن ما انتقده في تلك القصة.

ولاغربة فيما وقع في هذه القصة إن كان صاحبها الديبع كما في الطبعة الأولى فإنه مجهول وإن كان صاحبها هو عبد الرحمن بن الديبع الشيباني صاحب تيسير الوصول كما يدعى محمد بن علوى فهو وإن كان ذا صلة بالحديث معروف بالتساهل في بعض مايورده في مؤلفاته من الاحاديث.

فقد قال الشوكانى في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص ٤٣٦ مانصه (قدتوسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان ولاسيما بلدانهم فإنهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل ويذكرون الموضوع ولاينبهون عليه كما فعل ابن الديبع في تاريخه الذى سماه «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» وتاريخه الآخر الذى سماه بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد مع كونه من أهل الحديث ومن لا يخفى عليه بطلان ذلك فليحذر المتدين من اعتقاد شيء منها أو روايته فإن الكذب في هذا قد كثر وجاوز الحد وسببه ماجبلت عليه القلوب من حب الأوطان والشغف بالمنشا».

وقال الصنعمانى في «توضيح الأفكار» ج ١ ص ٨٣-٨٤ في بيان اساءته التصرف في نفس تيسير الوصول العجب من الشيخ محمد بن سليمان أنه ينسب التخريج لرزين في كتابه الذى سماه جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد فإنه قال في خطبته إنه نقل مابيض له ابن الأثير من روايات رزين التي لم ينسبها إلى كتاب فنسبها الشيخ لرزين كما ينسب روايات البخارى وغيره فيقول مثلا بعد سياق المتن للبخارى ويقول بعد سياق المتن لرزين فيوهم في نسبته إليه على حد نسبته إلى البخارى مثلا أنه أخرجه رزين وابن الأثير بيض له ولم ينسبه لرزين لأنه لم يخرج له الحال أن رزينا ليس من المخرجين للأحاديث على ما ذكره في خطبته وأن أحاديث رزين بيض لها ابن الأثير فكان عليه أن يبيض لها كابن الأثير أو يتتبع مواضع ما يخرج منه فيخرجها فيأتى بفائدة يعتد بها وذكرت هذا لأنه يستبعد أن لا يطلع على رزين وقد كان في مكة وجمع من الكتب ما اشتهر عند أهل عصره أنه لم يجتمع عند أحد من أهل عصره مثله ثم إن ابن الديبع اختصر من جامع الأصول كتابه المسمى «تيسير الوصول» فصنع صنع الشيخ محمد بن سليمان في نسبة مابيض له ابن الأثير إلى تخريج رزين فيقول أخرجه رزين وهو خلل كبير وكان الأولى أن يبيض له كما بيض له ابن الأثير وقد نبهت على هذا في «التحبير شرح التيسير في محلات كثيرة والحمد لله» ١٠١ هـ كلام الصنعمانى.

وفيه مع ما قبله تساهل صاحب تيسير الوصول لكن لا أظن أن التساهل يصل به إلى التلفيق المحتوية عليها تلك القصة والتوفيق بيد الله عز وجل.

ولاحتواء القصص التي تسمى الموالد على أحاديث غير صحيحة بين ابن الحاج في الجزء الثاني من المدخل ص ١٤-١٥ في كلامه على المولد بين أن علماء المالكية يمنعون الجلوس إلى القصص ثم قال بعد ذلك سبب المنع أنهم ينقلون القصة على ما نقل فيها من الأقوال والحكايات الضعيفة التي لا يصح أن تنسب إلى منصب من نسبت إليه كما ذكر من مفاصد اجتماع النساء في زمانه في المولد أنهن لا يجتمعن للمولد الا بحضور شريحة على عرفهن قد تكون وهو الغالب ممن تدخل نفسها في التفسير لكتاب الله عز وجل فتفسر وتحكى قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتزيد وتنقص وربما وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها وليس ثم من يردّها ويرشدها قال وقد بلغنى أنه وقع ذلك منها في بيت شيخ من الشيوخ المعتبرين في الوقت ولا غير عليها أحد بل أكرموها وأعطوها. ومر ابن الحاج إلى أن قال «وكثير من الرجال من يطالع الكتب ويعرف الصحيح من السقيم قل أن يسلم من هذه المخاصمة فكيف بالمرأة التي هي معوجة أصلاً وفرعا ثم إنها مع اعوجاجها قليلة المطالعة وإن طالعت فالغالب أنه يستوى عندها الصحيح والسقيم. والغالب في القصص والحكايات الضعف والكذب فتنتقله إن كانت ثقة على مارأته فيقع الخطأ فكيف بها إذا حرفته فزادت أو نقصت فيه فتضل وتضل فيدخلن النسوة في الغالب وهن مؤمنات فيخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين نسأل الله السلام بمنه» ١٠١ هـ المراد من كلام ابن الحاج في القصص.

يضاف إلى ذلك ما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في الجزء الأول من «لسان الميزان» ص ١٣ عن ابن قتيبة ونصه (قال ابن قتيبة في اختلاف الحديث) الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة منها الزنادقة واحتياهم للإسلام وتهجينه بدس الاحاديث المستبشرة والمستحيلة. والقصص فإنهم يميلون وجوه العوام اليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب والاكاذيب (١) من الاحاديث ومن شأن العوام ملازمة القاص مادام يأتي بالعجائب الخارجة عن نظر العقول.

(١) لفظة (والاكاذيب ساقطة من «لسان الميزان» فأخذناها من اختلاف الحديث.

الثاني من الأضرار التي تقع في قصص المولد الشرك بالله تعالى

تقع في القصص التي تقرأ بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وغيرها من أنواع الكفر ولذلك عاتب شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب سليمان بن سحيم في بعض ردوده عليه على قراءة قصة المولد على المحتفلين به وعلى حضور احتفالاتهم وحذره من ذلك بقوله (الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرؤه عليهم — أى على المحتفلين بالمولد — وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد فإذا كنت تقر أن هذا كفر فكيف تروح عليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم) ورد ذلك في «روضة الأفكار والأفهام للعلامة ابن غنام ج ١ ص ١٣».

ولوجود الاستغاثة بغير الله وغيرها من أنواع الكفر المترتبة على الإطراء في بعض أبيات البردة للأبوصيري حذر الإمام عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من قراءة ذلك النوع منها فقال في جوابه عن سؤال وجه إليه عن البردة وأمثالها في المديح قال: المنكر من ذلك ما فيه شرك كقول صاحب البردة.

يا أكرم الخلق مالى من الود به : سواك

فدعا غير الله ولاذبه من دون الله والدعاء مخ العبادة واللياذ نوع من أنواع العبادة كالعياذ وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير ما كان عليه أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن إذا هبطوا وأديا يقولون نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه كما قال تعالى «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا» أى طغيانا فشرع النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة قصر الاستعاذة على الله واسمائه وصفاته فقال في حديث خولة بنت حكيم وهو في الصحيح (من نزل منزلا فقال «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» وكذلك قول صاحب البردة.

إن لم تكن في معادى آخذا بيدي فضلا والافقل يازلة القدم

وقوله

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فكل هذا شرك محرم بالكتاب والسنة فما كان من جنس ذلك وجب انكاره والنهي عنه وتغييره بطمسه وهذا يتبين بما تقدم من الآيات المحكمات في النهي عن دعوة غير الله والرغبة والتوكل عليه ورجائه^(١)» ١٠١ هـ المراد من كلام الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى.

وقد نقل الشيخ المحبى في كتابه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر» ج ٣ ص ٢١٧ (٢) عن الشيخ عمر بن عبد الوهاب العرضى الحلبى المولود سنة خمسين وتسعمائة المتوفى سنة أربع وعشرين وألف أنه استدل بقول الأبوصيرى في بيته الأخير الذى ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ومن علومك علم اللوح والقلم

استدل به لدعوى الأستاذ البكرى أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم جميع علم الله تعالى ونصه (ومن تعليقاته - أى العرضى - جوابه عن مقالة الأستاذ محمد البكرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع علم الله تعالى وقد سئل عنها في مجلس درس فأجاب بأن مقالة الشيخ هذه صحيحة ولا إنكار عليه فيها إذ يجوز أن الله يهبه علمه ويطلعه عليه ولا يلزم من ذلك أن يدرك محمد صلى الله عليه وسلم مقام الربوبية إذ العلم المذكور ثابت لله تعالى بذاته وللمصطفى صلى الله عليه وسلم بتعليم الله تعالى إياه وإلى مثل ذلك أشار الأبوصيرى بقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

انتهى تعليق العرضى على مقالة البكرى وفيه تصريح بأن مراد الأبوصيرى بقوله «ومن علومك علم اللوح والقلم هو ما فسر به الشيخ عبد الرحمن بن حسن ورد عليه بما لا يدع مجالاً للشك في أنه شرك محرم بالكتاب والسنة جزى الله الإمام عبد الرحمن عن دين الإسلام خير الجزاء.

وقد ذكر ابن القيم في «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ص ٨٠ من الأمور الكلية التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة وإطال في بيان وضع ذلك الحديث ثم قال في ص ٨٢-٨٤ في الغلاة الذين يتعلقون بذلك الحديث الموضوع (هؤلاء الغلاة عندهم أن علم رسول الله صلى

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ من مسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب طبعة المنار.

(٢) طبعة دار صادر بيروت.

الله عليه وسلم منطبق على علم الله سواء بسواء (١) فكل ما يعلمه الله يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يقول «ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم» وهذا في براءة وهو في أواخر براءة وهى من أواخر ما نزل من القرآن هذا والمنافقون جيرانه في المدينة. ومن هذا حديث عقد عائشة رضى الله عنها لما أرسل في طلبه فأثاروا الجمل فوجدوه. ومن هذا حديث تلقيح النخل وقال ما أرى لو تركتموه يضره شيء فتركوه فجاء شيصاً فقال: أنتم أعلم بدنياكم، وقد قال الله تعالى: «قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب» وقال (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ولما جرى لأُم المؤمنين عائشة ماجرى ورماها أهل الإفك بمارمها لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم حقيقة الأمر حتى جاءه الوحي من الله ببراءتها وعند هؤلاء الغلاة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم الحال على حقيقته بلارية واستشار الناس في فراقها ودعا الجارية فسألها وهو يعلم الحال وقال لها: إن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وهو يعلم علما يقينا أنها لم تلم بذنب. ولاريب أن الحامل هؤلاء على هذا الغلو إنما هو اعتقاد أنه يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة وكلما غلوا وزادوا غلوا فيه كانوا أقرب إليه وأخص به، فهم أعصى الناس لأمره وأشدهم مخالفة لسنته وهؤلاء فيهم شبه ظاهر من النصارى الذين غلوا في المسيح أعظم الغلو وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة. والمقصود أن هؤلاء يصدقون بالأحاديث المكذوبة الصريحة ويحرفون الأحاديث الصحيحة عن مواضعها لترويج معتقداتهم. ٥١٠ هـ

ومن نظري قول صاحب البردة في برده :

لونا سبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

لا يستغرب أى شيء وقع فيه من الإطراء فإنه قد صرح في هذا البيت بأنه لا يعتبر القرآن العظيم مناسبا لقدر النبى صلى الله عليه وسلم وقد اعترف بدلالة هذا البيت على ذلك المعنى الفاسد الأبوصيريون وحاولوا الاجابة عن ذلك الا انهم لم يوفقوا.

فقد جاء في كتاب غرائب الاغتراب أن مما جرى البحث عنه بيت

(١) ذكر الشيخ ملا علي قارى في الفصل السادس عشر من موضوعاته الكبرى تعليقا على هذا ان من اعتقد التسوية بين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين علم الله عز وجل كفر اجماعا.

البوصيرى هذا قال «وهو أمر مشكل وأمر معضل فإن مقتضى «لو» وكون القرآن داخلا في آياته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون القرآن العظيم مناسبا قدره عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم وذلك مما لا يكاد يقال لما أن القرآن كلام الملك المتعال» ثم أتى صاحب ذلك الكتاب بأجوبة غير مقنعة.

وجاء في شرح الزرقانى للمواهب اللدنية ج ٥ ص ١٨٢ أن معنى هذا البيت «لونا سبت قدره آياته عظما»: أحىي اسمه حين يدعى دارس الرمم. أنه لا يعد شيء من معجزاته — أى النبى صلى الله عليه وسلم — عظيما بالنسبة إليه إلا أن يكون كل أحد لو دعا باسمه وتوسل في إحياء الموتى وقع له ذلك ثم قال الزرقانى (واستشكل بأن منها — أى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم — القرآن فكيف لا يكون فيها ما يناسب قدره شرفاً) وحاول الزرقانى الاجابة عن ذلك إلا أنه لم يوفق كما لم يوفق غيره.

وذكر الشيخ محمد عlish المالكى في فتح العلى المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ج ١ ص ١٠ ان من المتكلمين في مسألة المفاضلة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين القرآن من فضل النبى صلى الله عليه وسلم على القرآن العزيز تمسكا بهذا البيت:

لو ناسبت قدره آياته عظما أحىي اسمه حين يدعى دارس الرمم
وقال محمد عlish قال الجلال المحلى ما حاصله أن آيات النبى صلى الله عليه وسلم دون مقامه في العظم وإن كان منها القرآن وقد قال فيه المصنف — يعنى صاحب البردة آيات حق من الرحمن محدثة. وقال في حق النبى صلى الله عليه وسلم وأنه خير خلق الله كلهم. ذكر الشيخ محمد عlish جميع هذا وزاد الطين بلة حيث لم يتعرض لقول صاحب البردة بأن القرآن لا يناسب قدر النبى صلى الله عليه وسلم وللقوله بأن القرآن مخلوق لم يتعرض لأى شيء من ذلك بالرد بل اكتفى بنقله عن شيخ شيوخه أنه قال «والأسلم الوقف عن مثل هذا الذى لم ينقل عن السلف الخوض فيه فإنه لا يضر خلوا الذهن عنه بخصوصه» والواجب عليه الرد على دعوى صاحب البردة ان القرآن لا يناسب قدر النبى صلى الله عليه وسلم وعلى قوله بأن القرآن مخلوق ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.

ورغم هذا كله بلغ غلو صاحب البردة فيها إلى ما ذكره صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى في الجزء الثالث من (الوافى بالوفيات ص ١١٢-١١٣) ونصه قال الابوصيرى

كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما كان اقترحه على
 صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي
 ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها واستشفعت به إلى الله عز وجل في أن يعافيني
 وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت به ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم
 فمسح على وجهي بيده الكريمة وألقى عليّ بردة فانتبهت ووجدت في نهضة فخرجت من
 بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحدا فلقيني بعض الفقراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة
 التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إياها فقال: التي أنشدتها في مرضك
 وذكر أولها وقال والله لقد سمعنا البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ورأيتني صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته وألقى علي من أنشدها بردة فأعطيتها إياها وذكر
 الفقير ذلك فشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين وزير الظاهر فبعث إلى
 واستنسخها ونذر أن لا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس وكان يحب سماعها هو
 وأهل بيته ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقع رمد أشرف منه على العمى فرأى
 في المنام قائلا يقول له اذهب إلى صاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافى بإذن الله
 تعالى فأتى صاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي صلى الله عليه وسلم
 بردة ثم فكر ساعة وقال لعل المراد قصيدة البردة يياقوت قل للخادم يفتح صندوق الآثار
 ويخرج القصيدة من حق العنبر ويأت بها فأتى بها فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه
 فعوفيتا ومن ثم سميت البردة (١٠١ هـ).

ومن أشنع الإطراء قول المناوي في شعر بدأ به مولده:

لولا (١) ما كان ملك الله منتظما	دنيا وأخرى به كل قد افتتحت
قد كان نورا ولا لوح ولا قلم	ولاسماء به إلا وقد فعت
ولاجنان ولانار الجحيم ولا	عرش وفرش ولا حجب قد انتصبت
ولانجوم ولا شمس ولا قمر	ولاسحاب ولا أرض قد انبسطت
ولاجبال ولا بر ولا شجر	ولارياح جرت في سهلها وسرت
ولا دواب ولا إنس ولا ملك	ولا وحوش سعت في وعرها ودبت
فالكل من نوره الرحمن أوجده	لولا ما كانت الآفاق قد نظمت

(١) أي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبما ذكرناه من وجود الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله وأنواع خطيرة من الاطراء في الاشعار التي يستعملها المتأخرون في الاحتفال بالمولد وغيره يتبين أن ما اشار إليه محمد بن علوى المالكي ص ١٠ من قياس ما كان من هذا القبيل من الشعر على اشعار الصحابة باطل وقد أجاد الشاطبي في الجزء الأول من «الاعتصام» ص ٢١٨-٢٢١ حيث قال مآخضه «جائز للانسان أن ينشد الشعر الذي لارفت فيه ولاذكر لمعصية وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء وذلك انه كان ينشد ويسمع لفوائد منها المنافحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام وأهله. ولذلك كان حسان بن ثابت رضى الله عنه قد نصب له منبر في المسجد ينشد عليه إذا وفدت الوفود حتى يقولوا خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ويقول له صلى الله عليه وسلم «اهجهم وجبريل معك» وهذا من باب الجهاد في سبيل الله. ومنها أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم كما فعل ابن زهير رضى الله عنه وأخت النضر بن الحارث مثل مايفعل الشعراء مع الكبراء هذا لاجرج فيه مالم يكن في الشعر ذكر مالايجوز. ومنها أنهم ربما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهادية تنشيطا لكلال النفوس وتنبيهها للرواحل أن تنهض في أثقالها وهذا حسن لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات مايجرى مجرى ما الناس عليه اليوم بل كانوا ينشدون الشعر مطلقا من غير أن يتعلموا هذه الترجييعات التي حدثت بعدهم بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه يليق بأمية العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى فلم يكن فيه إلذاذ ولاإطراب يلهى وربما كان لهم شيء من النشاط كما كان عبد الله بن رواحة يحذو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ماحيينا ابدأ
فيجيبهم صلى الله عليه وسلم بقوله:

اللهم لاخير الاخير الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة
ومنها أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من الحكمة في نفسه أو يحركها لمقتضى معنى الشعر أو يذكرها ذكرا مطلقا)

ثم نقل الشاطبي عن أبى الحسن القرافي أنه قال «إن الماضين من الصدر الأول حجة على من بعدهم ولم يكونوا يلحنون الأشعار ولاينغمونها بأحسن مايكون من النغم إلا من وجه إرسال الشعر واتصال القوافي فإن كان صوت أحدهم أشجن

من صاحبه كان ذلك مردودا إلى أصل الخلقة لانتصنعون ولا يتكلفون قال الشاطبي
«فلذلك نص العلماء على كراهية ذلك المحدث وحتى سئل مالك بن أنس رضى الله
عنه عن الغناء الذى يستعمله أهل المدينة فقال: إنما يفعله الفساق» ١٠١هـ باختصار.

الثالث مما يقع من
الأضرار في تلك القصص القيام
عند ذكر ولادته صلى الله
عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا

حثت القصص التي تقرأ بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم
المولد النبوي على القيام عند ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا
ومما جاء فيها من ذلك مايلي:

١ - قال البرزنجي في مولده ص ١١٣ (١) قد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف
أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامه
ومرامه.

وورد في نظم مولد البرزنجي ص ١٢٧ :

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى	قياما على الأقدام مع حسن إيمان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر	بأى مقام فيه يذكر بل دان
فطوبى لمن تعظيمه جل قصده	ويافوزه يحظى بعفو وغفران

٢ - قال الشيخ محمد بن محمد العزب في مولده ص ٦٧ :

ولذكر مولده يسن قيامنا أديبا لدى أهل العلوم تأكدا

وقد ذكر في توجيه ذلك القيام ثلاثة أشياء أحدها أنه للترحيب بالنبي صلى
الله عليه وسلم الذي يعتقد أولئك القائمون أنه يحضر بجسده الشريف مجلس الاحتفال
بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي وقد يوضع له البخور والطيب في
ذلك المجلس على أساس أنه يتطيب ويتبخر كما يوضع له الماء على أساس أنه
يشرب منه ذكر ذاك الشيخ محمد بن علوى المالكي في رسالته «حول الاحتفال بالمولد
النبوي الشريف» ص ٢٤ لكنه لم يرتضه بل اعتبر دعوى حضور النبي صلى الله عليه
وسلم بجسده ذلك المجلس من الجراءة على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدد
النكير على من قال ذلك وليته اقتصر على ذلك ولم يخض في باطل آخر يستحق أن
يقابله بمثل ماقابل به ذلك وهو دعوى أن روح النبي صلى الله عليه وسلم هي التي
تحضر.

(١) ط - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر وهو ضمن مجموعة تحتوى عليه وعلى مولد
الديبع ومولد العزب.

٢ - أن القيام الذى يقع عند ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا كان لحضور روح النبى صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة وهذا هو الذى اختاره الشيخ محمد بن علوى المالكى في رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بعد جزمه بأن القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم يحضر المولد بجسده الشريف باطل فقد قال ص ٢٥ إننا نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم حى حياة برزخية كاملة لاثقة بمقامه وأن روحه جواله سياحة في ملكوت الله سبحانه وتعالى ويمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم وكذلك أرواح خالص المؤمنين من أتباعه وقد قال مالك بلغنى أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال سلمان الفارسى: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت كذا في الروح لابن القيم ص ١٤٤ وأضاف الشيخ محمد بن علوى إلى ذلك تأييد حضور روح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ص ٣١ مانصه (انه عليه الصلاة والسلام متخلق بأخلاق ربه وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسى «أنا جليس من ذكرنى»^(١)) وفي رواية «أنا مع من ذكرنى» فكان مقتضى تأسيه بربه وتخلقه بأخلاقه أن يكون صلى الله عليه وسلم حاضرا مع ذاكره في كل مقام يذكر فيه بروحه الشريفة.

٣ - أن ذلك القيام لتشخيص ذات النبى صلى الله عليه وسلم جاء ذلك في نظم مولد البرزنجى ونصه:

(١) لفظ «أنا جليس من ذكرنى» ورد في خبر رواه ابن أبى شيبة في كتاب الزهد من مصنفه ج ١٣ ص ٢١٢ قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبى مروان الاسلمى عن أبيه عن كعب قال قال موسى أي رب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال ياموسى أنا جليس من ذكرنى قال يارب فانا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلك أن نذكرك عليها قال وماهى قال: الجنابة والغائط قال ياموسى أذكرنى على كل حال ورواه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ص ٦٨ رواية ابنه عبد الله عنه قال عبد الله حدثنا أبى حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يارب أقرب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك قال ياموسى أنا جليس من ذكرنى قال يارب فانا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك ان نذكرك قال وماهى قال الجنابة والغائط قال ياموسى أذكرنى على كل حال» ومن طريق الإمام أحمد رواه أبو نعيم كما ذكره القرطبى في «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قول الله تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم» قال القرطبى «ذكر أبو نعيم قال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبى قال حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الأحبار قال: قال موسى عليه السلام يارب» فذكره.

وقد سنن أهل العلم والفضل والتقى قياما على الأقدام مع حسن إيمان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأى مقام فيه يذكر بل دان

وفي تفسير ذلك التشخيص يقول الشيخ محمد بن علوى المالكى في رسالته
«حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» يقول ص ٢٨ مانصه «أى إن هذا القيام
لتصور شخص النبى صلى الله عليه وسلم في الذهن) قال (فالناس يقومون احتراماً
وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين
جلال الموقف وعظمة المقام» ثم قال بعد ذلك في القيام على أساس ذلك التشخيص
مانصه (هو أمر عادى كما تقدم ولذلك فإن من لم يقيم لاشيء عليه ولا يكون آثماً
شرعاً نعم قد يفسر موقفه ذلك بسوء الأدب أو قلة الذوق أو جود الإحساس كما
يوصف بذلك كل إنسان يترك أمراً من الأمور العادية التي اصطلاح عليها الناس
وجرى بها عرفهم» يشير بقوله (كما تقدم) إلى قوله قبل ذلك في ص ٢٦-٢٧ مانصه
«اعلم أن القيام في المولد النبوى ليس هو بواجب ولا سنة ولا يصح اعتقاد ذلك أبداً
وإنما هى حركة يعبر بها الناس عن فرحهم وسرورهم فإذا ذكر أنه صلى الله عليه
وسلم ولد وخرج إلى الدنيا يتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كله يرقص فرحاً
وسروراً بهذه النعمة فيقوم مظهراً لذلك الفرح والسرور معبراً فهى مسألة عادية محضة
لادينية إنها ليست عبادة ولا شريعة ولا سنة وماهى إلا أن جرت عادة الناس بها
واستحسن ذلك من استحسنة من أهل العلم وقد أشار إلى ذلك البرزنجى مؤلف أحد
الموالد النبوية بنفسه إذ قال بالنص ، وقد استحسنت القيام عند ذكر مولده الشريف
أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامه
ومرامه ويقول في المنظوم:

وقد سنن أهل العلم والفضل والتقى قياما على الأقدام مع حسن إيمان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأى مقام فيه يذكر بل دان

فأنت تراه يقول وقد سنن أهل العلم ولم يقل سنن النبى صلى الله عليه وسلم
أو الخلفاء الراشدون ولم يقل (سنة مطلقة) بل قال وقد سنن أهل العلم).

٤ — أن ذلك القيام الذى جرت به عادة كثير من الناس إذا سمعوا بذكر وضعه
صلى الله عليه وسلم في تلك القصص التي تسمى الموالد هو لتعظيم النبى صلى الله
عليه وسلم ذكر ذلك بعض الموجهين لذلك القيام من دون بيان وقد وصل الأمر
ببعض القائلين بهذا إلى تكفير تارك القيام كما بينه الشيخ محمد على بن حسين

المالكى في «تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية» ج ٤ ص ٢٧٧ حيث ذكر أن المولى أبا السعود قال إنه أى القيام عند ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم في تلك القصص قد اشتهر في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واعتيد في ذلك فعدم فعله يوجب عدم الاكتراث بالنبى صلى الله عليه وسلم وامتهانه فيكون كفرا مخالفا لوجوب تعظيمه صلى الله عليه وسلم» ولم يتعقب الشيخ محمد على المالكى ذلك إلا بقوله «أى ان لاحظ من لم يفعله تحقيره صلى الله عليه وسلم بذلك وإلا فهو معصية». ٥١٠هـ

ومن الواضح أن تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم إنما يكون بما شرع تعظيمه به وهذا القيام غير مشروع.

٥ — أن ذلك القيام مقيس على القيام الذى وقع من الشيخ على بن عبد الكافى السبكي حينما سمع قول الصرصرى في قصيدته التي أولها: قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب. قوله وأن ينهض الأشراف عند سماعه. وقد ذكر قصته ابنه التاج أبو نصر عبد الوهاب في ترجمة والده من كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» ج ٦ ص ١٧٤ طبعة دار المعرفة ببغروت قال «حضر — أى والده — مرة ختمة بالجامع الأموى وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة فأنشد المنشد قصيدة الصرصرى التي أولها: قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب. فلما قال وأن ينهض الأشراف عند سماعه البيت حصلت للشيخ حالة وقام واقفا للحال فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا فقاموا أجمعون» ومن ذكر هذا التوجيه الشيخ أحمد زينى دحلان في سيرته (السيرة النبوية والآثار المحمدية) ج ١ ص ١٤٥ (١) يقول في ذلك القيام الذى اعتاده الذين يحتفلون بالمولد حينما يسمعون في قصص المولد ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم «قد حكى بعضهم — أى بعض من يقتدى بهم من أهل العلم — أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصرى في مدحه صلى الله عليه وسلم.

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياما صفوفا أو جثيا على الركب فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير في

(١) بهامش «إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون» المعروف بالسيرة الحلبية ط مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن، وسبقه إلى ذكره الشيخ على بن برهان الحلبي في سيرته المعروفة بالسيرة الحلبية» قال فيها ج ١ ص ١٠٠ مانصه «وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الأمة ومقتدى الأئمة دينا وورعا للإمام تقى الدين السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصرى في مدحه صلى الله عليه وسلم:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس ويكفى مثل ذلك في الاقتداء.

هذه المسالك التي ذكرها أولئك في توجيه ذلك القيام بعد استعراضها نجيب عن كل مسلك منها فنقول وبالله التوفيق.

أما دعوى حضور النبي صلى الله عليه وسلم الاحتفال بالمولد بجسده الشريف فأساسها دعوى خاطئة لجماعة من المتصوفة تعلقوا بما رواه البخارى في «باب من رأى النبى صلى الله عليه وسلم في المنام» قال (وحدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهرى حدثنى أبو سلمة أن أبا هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «من رآنى في المنام فسيرانى في اليقظة ولا يمثّل الشيطان بى» فزعموا أنهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفرجها فجاء الأمر كذلك وقد تمسّس لهذه الدعوى ابن أبى جرة وابن الحاج والسيوطى والشيخ محمد عlish واستنكرها المحققون من أهل العلم الذين نذكّهم وعباراتهم فيما يلي:

١ — القاضي أبو بكر بن العربى قال «شذ بعض الصالحين فزعم أنها — أى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته — تقع بعينى الرأس حقيقة نقل ذلك عنه الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى في «فتح البارى» ج ١٢ ص ٣٨٤.

٢ — القرطبى شارح صحيح مسلم^(١) ذكر في ذلك الشرح قول الذين حملوا حديث «من رآنى في المنام فسيرانى في اليقظة» على أن من رأى النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته في النوم يراه بعد ذلك في اليقظة ثم تعقب القرطبى ذلك بقوله وهذا يدرك

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى أحد مشايخ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن فرح الانصارى القرطبى مؤلف «الجامع لاحكام القرآن» واسم شرحه لمسلم «المفهم».

فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد الا على صورته التي مات عليها وأن يراه راثنين في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده ولا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره. وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل» وإلى كلام القرطبي هذا أشار الحافظ العسقلاني في فتح الباري بذكره اشتداد إنكار القرطبي على من قال «من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة».

٣ - شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قال في «رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية» ص ٩٣-٩٤ الشيطان كثيرا ما يتصور بصورة الإنس في اليقظة والمنام وقد يأتي لمن لا يعرف فيقول أنا الشيخ فلان أو العالم فلان وربما قال أنا أبو بكر وعمر وربما قال أنا المسيح أنا موسى أنا محمد. وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم وثم شيوخ لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هذا. ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه، ومن هؤلاء من رأى في دائرة الكعبة صورة شيخ قال إنه إبراهيم الخليل ومنهم من يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الحجرة وكلمه وجعلوا هذا من كراماته ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه. وبعضهم كان يحكى أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابه - وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت وأجابه وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهلا سألتها فأجابها».

قلت حكاية ابن منده التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكلام ذكرها الحافظ الذهبي في الجزء السابع عشر من (سير أعلام النبلاء) ص ٣٧-٣٨ وأعلها ونصه (قال الحسين بن عبد الملك حكى لي عن أبي جعفر الهمداني

(١) ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشية.

رئيس حجاج خراسان قال سمعت بعض خدم تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أبناء مائة وعشرين سنة قال: رأيت يوماً رجلاً عليه ثياب بيض دخل الحرم وقت الظهر فانشق حائط التربة فدخل فيها ويده محبرة وكاغد وقلم فمكث ماشاء الله ثم انشق فخرج فأخذت بذيله فقلت بحق معبودك من أنت؟ قال أنا أبو عبد الله ابن منده أشكل على حديث فجئت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابني (وأرجع) هكذا ساق الذهبي هذه الحكاية في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب اسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده وقال فيها (هذه حكاية نكتبها للتعجب) وقال في إسناده (إسناده منقطع) ١٠١هـ والى هذه الحكاية أشار شيخ الإسلام بن تيمية في رسالته في العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية بقوله في رده على من يدعى أن من الصالحين من إذا سأل المقبور أجابه (وبعضهم يحكى أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابه) وذكر شيخ الإسلام أن رجلاً آخر من أهل المغرب حكى عنه أنه حصل له مثل ذلك وإن الإمام ابن عبد البر رد على من ظن ذلك بقوله (ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت فأجابه. وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهل سألتها فأجابها) ١٠١هـ.

وقال في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص ١٧٤—١٧٥ في الذين تقع لهم الأحوال الشيطانية من المتصوفة (ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعى أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين وقد جرى هذا لغير واحد وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقدها الميت وإنما هو جنى تصور بتلك الصورة ومنهم من يرى فارساً قد خرج من عند قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطاناً وكل من قال إنه رأى نبياً بعد وفاته بعين رأسه فما رأى الاخيالا».

وقال في قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ٢٩ بعد أن ذكر رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام مانصه (وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح العقول».

٤ — الحافظ الذهبي قال في ترجمة الربيع بن عمود الماردني من كتابه الشهير «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» مائنه «دجال مفتر ادعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وتسعين وخسمائة وكان قد سمع من ابن عساكر عام بضع وستين».

يعنى الحافظ الذهبى بالصحبة التي ادعاها الربيع بن عمود الماردني ماجاء عنه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم في النوم وهو بالمدينة الشريفة فقال له أفلحت دنيا وأخرى فادعى بعد أن استيقظ أنه سمعه وهو يقول ذلك «ذكر ذلك الحافظ العسقلاني في «الاضابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥١٣ ثم قال الحافظ العسقلاني قرأت بخط العلامة تقى الدين بن دقيق العيد أن الكمال بن العديم — كتب اليهم أن عمه محمد بن هبة الله بن ابى جرادة أخبره قال قال لى الشيخ ربيع بن عمود كنت بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته أستشيريه في شىء فمنت فرأيت ففقال لى أفلحت دنيا وأخرى ثم انتبهت فسمعتة يقول لى وأنا مستيقظ وذكر الحكاية بطولها وذكر أشياء من هذا الجنس».

٥ — الحافظ الإمام عماد الدين بن كثير ذكر في ترجمة أحمد بن محمد بن محمد أبى الفتح الطوسى الغزالي من «البداية والنهاية» ج ١٢ ص ١٩٦ أن ابن الجوزى أورد أشياء منكورة من كلامه منها أنه — أى أبا الفتح الطوسى كان كلما أشكل عليه شىء رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة فسأله عن ذلك فدلّه على الصواب وأقر ابن كثير ابن الجوزى على عد هذا من منكرات أبى الفتح الطوسى وفي كتاب القصاص والمذكرين لأبى الفرج بن الجوزى ص ١٥٦ طبعة دار أمية للنشر والتوزيع مائنه (أنبانا محمد بن ناصر عن محمد بن طاهر المقدسى قال كان أحمد الغزالي آية من آيات الله في الكذب يتوصل إلى الدنيا بالوعظ سمعته يوما بهمدان يقول رأيت ابليس في وسط هذا الرباط سجد لى فقلت ويحك إن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأبى فقال والله لقد سجد لى أكثر من سبعين مرة فعلمت أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد وكان يزعم أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يقظته لاني نومه وكان يذكر في وعظه أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك المشكل قال وسمعتة يوما يحكى حكاية عن بعض المشايخ فلما نزل سألته عنها فقال أنا وضعتها في الوقت وله من هذه الجهالات والحقاقات مالا يحصى».

٦ — الحافظ العسقلاني ذكر في «فتح البارى» ج ١٢ ص ٣٨٥ أن ابن أبى جرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم في المنام ثم رأوه بعد

ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله «قلت : وهذا مشكل جدا ولو حل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ويعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف».

٧ - السخاوى قال في رؤية النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام قال «لم يصل إلينا ذلك - أى ادعاء وقوعها - عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدأ بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم تنقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه» وذكر الحافظ السخاوى أن دعوى ذلك إنما تنقل عن المتصوفة وأن من مصنفاتهم المحتوية على عباراتهم في ذلك «توثيق عرى الإسلام للبازرى» «وبهجة النفوس» لأبى محمد عبد الله بن أبى جرة و«روض الرياحين» لليافعى ورسالة الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور نقل ذلك القسطلانى في «المواهب اللدنية» ج ٥ ص ٢٩٥ عن السخاوى.

٨ - البدر بن حسن الأهدل ذكر في مسألة الرؤية له أن من تواترت الأخبار عنهم من المتصوفة بدعوى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة إنما يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة، وأن رواية تلك الأخبار عن المتصوفة يغلطون فيها كثيرا وقال (قلما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما أو في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا أو نوراً فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب» وجزم البدر بن حسن الأهدل بأن القول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساد بآوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر و يسلم على غائب» ذكر ذلك كله القسطلانى في «المواهب اللدنية» ج ٥ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ عن البدر بن حسن الأهدل وقد استحسّن الملا على قارى في «جمع الوسائل شرح الشرائع» ج ٢ ص ٢٣٨ كلامه ثم قال «إنه - أى مادعاه المتصوفة من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم من أمر ونهى وإثبات ونفى ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعا كما لا يجوز بما يقع حال

المنام ولو كان الرائي من أكابر الأنام وقد صرح المازرى وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية» ١٠١هـ. كلام على القارى وفيه فائدة أخرى هى حكايته الاجماع على عدم جواز العمل بما يدعى من يزعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم في اليقظة أنه سمعه منه من أمر أو نهى أو اثبات أو نفى وفي حكايته الاجماع على ذلك الرد على قول الزرقانى في شرح المواهب اللدنية ج ٧ ص ٢٩ مانصه (لو رآه يقظة — أى بعد موته صلى الله عليه وسلم — وأمره بشىء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابيا وينبغى أن يجب على من صدقه العمل به قاله شيخنا». كما أن في حكايته الاجماع على ذلك ردا على دعوى السيوطى تلقى تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبى صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى دعواه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له يقظة ياشيخ الحديث وأخبره بأنه من أهل الجنة من غير عذاب يسبق ذكر دعواه الأولى الشيخ محمد عlish في فتح العلى المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ج ١ ص ٨١ وذكر الثانية الشيخ نجم الدين الغزى في الجزء الأول من «الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة، ص ٢٢٨—٢٢٩ وفيما يلى نصهما قال الشيخ محمد عlish قال الشعرانى (رأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطى عند أحد أصحابه هو الشيخ عبد القادر الشاذلى مراسلة لشخص سأل في شفاعته عند السلطان قايتباى اعلم ياأخى أنى قد اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتي هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفي من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولي للولاء لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وإنى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم ولاشك أن نفع ذلك أرجح من نفعك ياأخى».

وقال النجم الغزى (ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلى في كتاب ترجمته — أى للسيوطى — أنه كان يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لى ياشيخ الحديث فقلت له يارسول الله أمن أهل الجنة أنا قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال صلى الله عليه وسلم لك ذلك وألف في ذلك كتاب تنوير الحلك في امكان رؤية النبى والمملك».

٩ — السيد رشيد رضا قال في الجزء السادس من فتاويه ص ٢٣٨٥ مانصه «صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها لو كانت مما يقع ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر العلماء أصحابه وقد وقعوا في مشكلات

وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال فلو كان صلى الله عليه وسلم يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لبنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبى بكر رضى الله عنه فيما روى عنه من أن الأنبياء لا يورثون وكذا للأقرب والأحب إليه من آله وأصحابه ثم لمن بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمتهم دينهم عنهم ولم يدع أحد منهم ذلك وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخیلات الصوفية فمن العلماء من جزم بأن من ذلك ماهو كذب مفترى وأن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة أو ما يسمى «بين النوم واليقظة» أنه رآه صلى الله عليه وسلم فقال أنه رآه حقيقة على قول الشاعر: ومثلك من تخیل ثم خالا. والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخیل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية. وبعض الرؤى المنامية مما تختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم وكون بعضه مخالفا لنص كتاب الله ومأثبات من سنته صلى الله عليه وسلم ثبوتا قطعيا ومنه ماهو كفر صريح باجماع المسلمين نعم إن منهم من يجلبهم العارف بما روى من أخبار استقامتهم أن يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن غلبة التخیل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لاعصمة منها لأحد وكثيراً ماتقضى إلى الجنون» ٥١هـ.

والخلاصة أن دعوى حضور النبى صلى الله عليه وسلم الاحتفال باليوم الذي يقال إنه يوافق يوم المولد النبوى بجسده غير صحيحة وأنها تستلزم خروج النبى صلى الله عليه وسلم من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب وأن يراه رائيان في آن واحد في مكانين مختلفين وأن يكون ذلك الرائي صحابيا وأن يجب العمل بما سمعه منه ذلك المدعى لرؤيته وأن يحظى المدعى لرؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالم تحظ به ابنته فاطمة التي اشتد حزنها عليه حتى ماتت كمدا بعده بستة أشهر على الصحيح ولم تنقل عنها دعوى رؤيته كما لم يحظ به غيرها من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكل ذلك جهالات يدرك فسادها بأوائل العقول كما أن التعلق في تلك الدعوى برواية (من رآنى في المنام فسيرانى في اليقظة) «على أساس أن المتصوفة لم يدعوا ذلك إلا بعد أن رأوه في المنام يعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف».

وأما رواية «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» فقد أجيب عنها بأجوبة ذكرها الحافظ ابن حجر في ج ١٢ من «فتح الباري» ص ٣٨٥ طبعة المطبعة السلفية أحدها أن ذلك خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه الثاني أن المراد بها أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام ، الثالث أن المراد بها أنه يراه في المرأة التي كانت له إن أمكنه ذلك قال الحافظ «وهذا من أبعد المحامل» ، الرابع أن المراد بها أنه سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير، الخامس حل الرواية على التشبيه والتمثيل بدليل الرواية الأخرى (فكأنما رآني في اليقظة).

وأما دعوى أن الذي يحضر مجلس المولد هو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ففى الرد عليها يقول السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «الفتاوى» ص ٤٦٥ في إجابته عن سؤال وجه إليه عن دعوى أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم تحضر قراءة مولد الديبع من أولها إلى آخرها وتحضر في غيرها من قصص المولد عند القيام فقط يقول مانصه (أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية إن روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فمثله كثير من أولئك الدجالين ولا علاج لهذا الجهل الا كثرة العلماء بالسنة والدعاة إليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوى وإن كثيرا من المسلمين ليعادوننا ولا ذنب لنا عندهم إلا الانتصار للسنة السنية والدعوة إلى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء). ومن سبق السيد رشيد رضا إلى الرد على دعوى حضور روحانية النبي صلى الله عليه وسلم شيخ الإسلام ابن تيمية قال في الجزء الثاني من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ص ١٨٨-١٨٩ (قد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصا في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه وهو جنى تصور في صورته وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلى الإسلام وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح أو أنا محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الخواريين ويراه طائرا في الهواء وإنما يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) فرويته في المنام حق وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع أن كثيرا من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبيا من الأنبياء إما عند قبره وإما عند قبر غيره وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر وإنما ذلك

جنى تصور في صورته ليضل ذلك الرائي فإن الروح ليست مما يكون تحت التراب وينشق عنها التراب فانها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب والبدن لم ينشق عنه التراب وإنما ذلك تخيل من الشيطان وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والمشركون ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من إضلال الشياطين كما قد بسط الكلام عليه في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

وقال في الفرقان بين الحق والباطل ص ٥٩-٦٠ في كلامه على الذين يدعون المكاشفات (وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ فهو صادق في أنه أتاه من قال إنه النبي أو الشيخ أو قيل له فيه ذلك لكن غلط فيه حيث ظن صدق أولئك والذي له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمره بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحدا من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا إلى وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ٥١هـ.

هذا وما ينبغى التنبيه عليه أن ما يذكر مدعو رؤية الأرواح أنهم استفادوه من تلك الأرواح من درجات للأحاديث أو تشريع أو تعبد جديد لا يعمل به كما بينه السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من «الفتاوى» ص ٥٩١-٥٩٢ (قال وقد عرفنا نحن غير واحد من الصوفية الذين يدعون رؤية الأرواح ومخاطبتها ومنهم من قال إنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أحاديث كثيرة من الجامع الصغير للسيوطي فأنكرها صلى الله عليه وسلم وهكذا نسمع عنهم التناقض في الكشف وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فهل يصح أن نحكمهم في الحديث حتى مع التسليم لهم لا لا) وقال في الجزء السادس من «الفتاوى» ص ٢٣٨٥ (إن صح عقلاً أن منهم — أى من غلاة المتصوفة — من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فعلاً فلا يجوز شرعاً أن تتضمن هذه الرؤية تشريعاً ولا تعبداً جديداً ومنهم من كذب أتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوى الباطلة ومنه ما يسمونه الشطح) ٥١هـ.

وأما قول الإمام مالك «بلغنى أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت» فليس المراد به مادعاه السيد محمد بن علوى المالكى من أن الارواح جواله يمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والموالد بل المراد به بيان سرعة انتقال ارواح المؤمنين الموتى من العرش إلى الثرى ثم انتقالها من الثرى إلى مكانها كما بينه ابن القيم في نفس كتاب الروح ص ١٢٦ طبعة مجلس دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن الثالثة.

وأما ماروى عن سلمان الفارسى أنه قال «أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت» فقد فسره ابن القيم في ص ١٣٤ من كتاب الروح بمانصه (وأما قول من قال إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسى والبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسله هناك تذهب حيث شاءت» قال «وهذا قول قوى فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هى في برزخ بينهما فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة وأصله الحاجز بين الشيئين.

وأما تشبيه الشيخ محمد بن علوى النبى صلى الله عليه وسلم بربه عز وجل في كونه جليس من ذكره ومع من ذكره فمن باب الإطراء الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما اعتبار ذلك القيام الذى يقع عند ذكر وضع النبى صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى الدنيا في قصص المولد من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم فقد جزم الشامى والهيتمى والسيد رشيد رضا بأنه غير صحيح وأنه بدعة لا يعذر من يفعلها من الخواص وصرح الشيخ محمد بن الحسن الحجوى الشعالبى بأنه محرم وفيما يلي نصوصهم:

قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحى الشامى في الجزء الأول من سيرته ص ٤١٥ (جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها).

وقال ابن حجر الهيتمى في (الفتاوى الحديثة) ص ٥٨ بصدد كلامه على الوثوب عند قراءة قول الله تعالى «أتى أمر الله» واعتباره إياه بدعة بعد زوال سبب الوثوب عند نزوله وهو الفزع الذى زال بنزول «فلا تستعجلوه» كما ذكره الواحدى

فلا ينبغي فعله بعد زواله لما فيه من إيهام العامة ندبه قال بعد استنكاره ذلك الوثوب مانصه (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام وهو أيضا بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص).

وقال السيد رشيد رضا في جوابه عن تلقين العلويين في جأوه الناس أن من لم يقيم أثناء حفلات المولد عند سماعه «مرحبا بالنبي» الخ فهو كافر قال في فتاويه ج ٥ ص ٢١١٣ مانصه (أما القيام عند ذكر وضع أمه صلى الله عليه وسلم وإنشاد بعض الشعر أو الأغاني في ذلك فهو من جملة هذه البدع وقد صرح بذلك الفقيه ابن حجر المكي الشافعي الذي يعتمد هؤلاء العلويون على كتبه في دينهم فقال عند ذكر الانكار على من يقوم عند قراءة «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» لما ورد في ذلك بسبب قد زال مانصه «ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام وهو أيضا بدعة لم يرد فيه شيء على أن العوام إنما يفعلون ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم فالعوام لذلك معذورون بخلاف الخواص).

وقال الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي في كتابه «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج ١ ص ٩٣ ط مكتبة النمنكاني في كلامه على الاستحسان (ومنه — أى من الاستحسان المحرم — أيضا القيام عند ذكر الولادة النبوية مع ورود النص بل النصوص الصريحة بالنهاى عنه انظر رسالتنا صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد» ورسالتنا (الحق المبين في الرد على من رد عليها وهو صاحب حجة المندرين).

وأما قول الصرصرى في قصيدته:

وأن ينهض الأشراف عند سماعه قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فليس بدليل شرعى على صنيع السبكي فضلا عن قياس القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في الاحتفال بالمولد النبوى على قيام السبكي وليس الصرصرى ممن يؤخذ بقوله في مثل هذا وشعره يقع منه أحيانا ما لا يرضى كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكرى حيث قال في التسوية في الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بين حياته وبين مماته ص ٢٥١ «هذا ما علمته يتقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى ففى شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان كان له كتاب المستغيثين بالنبي صلى الله

عليه وسلم في اليقظة والنام» ثم قال «وهؤلاء — أى الصرصرى وابن النعمان ومن حذا حذوهما — لهم صلاح ودين لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس معهم دليل شرعى ولانقل عن عالم مرضى بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه» ١٠١ هـ. وانما قيام السبكى عند سماعه ذلك البيت من قبيل الغلو الذى وصل به إلى أن يقول ماورد في رسالته التي سماها التعظيم والمنة في «لتؤمنن به ولتنصرنه» وهو أن الانبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نواب له بشرائعهم وأن ماجاء به كل نبي منهم إلى قومه هو شرع محمد صلى الله عليه وسلم لهم وقد عاب ذلك على السبكى وشنعه عليه الشهاب أحمد الخفاجى المصرى في الجزء الأول من كتابه «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض ص ٢٤٣ فذكر أن الرسل والانبياء الذين قبله غير مكلفين بأحكام شرعه والالم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل» وأن النصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلاف ماقاله السبكى وذكر من تلك النصوص قول الله تعالى «إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده» وذكر ان في معناها آيات أخر وقال الخفاجى «إذا عرفت هذا فاعلم أن ماقاله السبكى رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لواجه له عند من له بصيرة نقادة» قال وكيف يتأتى ماقاله مع قوله تعالى «أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا» فإنه عكسه).

ومن سبق الخفاجى إلى الرد على تلك الدعوى الإمام تقي الدين بن تيمية قال في رسالته (حقيقة مذهب الاتحاديين) أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية» ص ١٢٦ قال «إن الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر الامن كان مأمورا باتباع شريعته كأنبياء بنى إسرائيل. والرسل الذين فيه الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية. وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى ونوح لم يأخذ عن ابراهيم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وإن بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» الآية قال ابن عباس ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه» ١٠١ هـ.

هذا بعض ماتحتوى عليه القصص التي تقرأ في الاحتفالات باليوم الذى يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوى من المحاذير نقلناها عن أهل العلم الذين شاهدوها في

أزمنتهم وقد كان الشيخ محمد بن علوى المالكى على علم بكثير من ذلك الا أن علمه بذلك لم يحل بينه وبين أن يقول في تعليقه على مولد ابن الديبع الطبعة الأولى ص ١١-١٢ وفي مقدمته للمورد الروى في المولد النبوى ص ١٤ وفي رسالته «حول الاحتفال بالمولد النبوى الشريف» ص ١٣-١٤ مانصه ان الله تعالى قال (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) يظهر منه أن الحكمة في قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك ولاشك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبيائه وأخباره أشد من احتياجه هو صلى الله عليه وسلم» وهذا غريب من ابن علوى فإن ما كان من قصص الموالد محتويا على ما بيناه فيما تقدم من المحاذير لا يحصل به تثبيت أفئدة المحتفلين بالمولد فقياسه على ما قصه الله على نبيه صلى الله عليه وسلم من أنباء الرسل قياس باطل وقد أجاد أبو إسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى في ايضاح الحكمة في قص الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما قصه عليه من انباء الرسل حيث قال مانصه: (في الحكمة في قص الله تعالى على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الأنبياء الماضين والأمم السالفين أمور: منها إظهار نبوته والاستدلال بذكرها على رسالته لأنه صلى الله عليه وسلم كان أميالم يختلف إلى مؤدب ولا معلم ولا فارق وطنه مدة يمكنه الانقطاع فيها إلى عالم يأخذ ذلك عنه فإذا علم بها وتدبر العاقل من قومه ذلك علم أنه بوحي من الله سبحانه وتعالى فأمن به وصدقه وكان ذلك من المعجزات الدالة على صحة نبوته وقد ينكر ويجحد حسدا وعنادا، ومنها التأسى بهم فيما اتنى الله عليهم به والانتهاه عن ضده، ومنها التثبيت له والاعلام بشرفه وشرف أمة حيث عوفى وأمته من كثير مما امتحن به من قبلهم وخفف عنهم في الشرائع وخصوا بكرامات انفردوا بها عنهم وقد قيل في قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) إن الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع، ومنها التهذيب والتأديب لأمته كما أشار إليه تعالى في قوله (آيات للسائلين) وعبرة لأولى الالباب، وموعظة للمتقين، ولذا كان الشبلى يقول فيها اشتغل العامة بذكر القصص والخاصة باعتبار من القصص ومنها الاحياء لذكرهم وآثارهم ليكون للمحسن سببا للاجتهاد في العمل رجاء تعجيل ثوابه وبقاء لذكره وآثاره الحسنة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال «واجعل لى لسان صدق في الآخرين» نقل هذا كله السخاوى في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٦-١٧ ط مطبعة الترقى بدمشق عن إبنى إسحاق الثعلبى.

خاتمة في ذكر قواعد
لابد لمن يريد الحق من الإنباه لها
القاعدة الأولى في بيان ان صاحب
البدعة لابد له من تأويل

ان صاحب البدعة يتصور أن يكون عالما بكونها بدعة وأن يكون غير عالم بذلك وغير العالم بكونها بدعة على ضربين وهما المجتهد في استنباطها وتشريعها والمقلد له فيها وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه فيها ولا يفارقه وإذا حكمنا له بحكم الإسلام لأنه مصادم للشارع مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له فلا بد له من تأويل كقوله «هى بدعة ولكنها مستحسنة» أو يقول «إنها بدعة ولكنى رأيت فلانا الفاضل يعمل بها» أو يقربها ولكنه يفعلها لحظ عاجل كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفا على حظه أو فرارا من خوف على حظه أو فرارا من الاعتراض عليهم في اتباع السنة كما هو الشأن اليوم في كثير ممن يشار إليه وما أشبه ذلك. وأما غير العالم وهو الواضع لها فإنه لا يمكن أن يعتقد أنها بدعة بل هى عنده مما يلحق بالمشروعات كقول من جعل يوم الاثنين يصام لأنه يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم وجعل الثانى عشر من ربيع الأول ملحقا بأيام الأعياد لأنه عليه السلام ولد فيه وكمن عد السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السنية أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات دائما بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه وسلم فلما قيل له إنك تكذب عليه وقد قال «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» قال لم أكذب عليه وإنما كذبت له. أو نقص منها تأويلا عليها لقوله تعالى في ذم الكفار «إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا» فأسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك وما أشبهه لأن خبر الواحد ظنى فهذا كله من قبيل التأويل وأما المقلد فكذلك أيضا لأنه يقول فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويثنى كاتخاذ الغناء جزءا من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ومنهم من مات بسببه وكنتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه لأنهم قد فعلوه وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيح والبسطامى والشبلى وغيرهم فيما صح عندهم عنهم أو لم يصح ويتركون أن يحتجوا بسنة رسول الله وهى التي لاشائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها ولكنهم مع ذلك لايقرون بالخلاف للسنة بحثا بل يدخلون تحت أذيال التأويل اذ لايرضى منتما إلى الإسلام

بإبداء صفحة للخلاف للسنة أصلاً».

ذكر هذه القاعدة الشاطبي في الجزء الثاني من الاعتصام ص ٥٤-٥٥:

القاعدة الثانية في أن اعتبار فعل بعض المشايخ حجة على ماتقرر في الشرعة هو الذى أفسد الكثير من الناس

إن اعتبار فعل المشايخ حجة على ماتقرر في شرعة المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الذى أفسد أحوال بعض الناس فتجد أحدهم يعمل البدعة ويتهاون بها فتنهاه عن ذلك أو ترشده إلى الترك فيستدل على أن ذلك هو السنة وأن ذلك ليس بمكروه بكونه رأى شيخه ومن يعتقد أنه يفعل ذلك فيقول كيف يكون مكروهاً أو بدعة وقد كان سيدى فلان يعملها فيستدل بفعل سلفه وخلفه وشيوخه على جواز تلك البدعة وأنها مشروعة فصار فعل المشايخ حجة على ماتقرر بأيدينا من أمر الشرعة وليسوا بمعصومين ولا من شهد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه وهذا أمر قد اتفقت الأمة على أنه مردود إذ إن ذلك لو جاز لوقع الخلل في الشرعة بسببه فأى من استحسن شيئاً وفعله وأى من كره شيئاً وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نقصاً معاذ الله. ولو كان ذلك كذلك لم يبق بأيدينا اليوم شيء من أمر هذه الشرعة المحمدية. وقد عصم الله هذه الأمة والحمد لله من التبديل فكل من أتى بشيء مخالف لما كان عليه متقدمو هذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم وبما نقل عنهم. ذكر ذلك ابن الحاج في المدخل ج ١ ص ٩٤-٩٥ وقال وهذا هو الذى أذهب شرعة عيسى عليه السلام : أعنى التقليد لأخبارهم ورهبانهم دون دليل يدهم على ذلك حتى صار أمرهم أنه في كل جمعة من الأحد إلى الأحد يجدد لهم القسيس شرعة جديدة بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسديده على زعمه فتجدهم يخرجون من كنائسهم وهم يقولون لقد جدد اليوم شرعة مليحة وقد عصم الله والحمد لله هذه الشرعة فالخذر الخذر من هذا الداء العضال فإنه سم قاتل مغفول عنه وقل من يسلم منه إلا من كان مراقبهم في أفعالهم وأقوالهم يزنها على أفعال السلف على ماتقدم أعنى أنه لا يفعل ذلك حتى لا يقتدى من أفعالهم إلا بما كان منها على سبيل الاقتداء بالمتقدمين إن كان من أهل العلم والا فبالسؤال من العلماء المتبعين منهم في أفعالهم يعلم ذلك ويتبين له. وأما إن نظر إلى أفعالهم ووزنها بغرض غير هذا فلا ينبغي ذلك لأنه من باب التشاغل بعيوب الناس والبحث عن مثالبهم وذلك منهى عنه.

القاعدة الثالثة في الخوض على الحق وعدم الاستيحاش من قلة أهله

إن الاستيحاش من الوحدة وقول أين ذهب الناس فلي بهم أسوة هو الذى أفسد حال أكثر الخلق وهو الذى أهلكهم فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب ولقد سئل إسحاق بن راهويه عن مسألة فأجاب عنها ف قيل له إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل ذلك فقال: ما ظننت أن أحدا يوافقنى عليها ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافقة فإن الحق إذا لاح وتبين لم يحتج إلى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس فإذا رأى الرائي الشمس لم يحتج في علمه بها واعتقاده أنها طالعة إلى من يشهد بذلك و يوافقه عليه وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذى كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم قال عمرو بن ميمون الأودى صحبت معاذا باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا قال وما ذاك قلت تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهى الفريضة وصل مع الجماعة وهى نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدرى ما الجماعة؟ قلت لا قال إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك. وفي طريق أخرى فضرب على فخذى وقال ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ماوافق طاعة الله عز وجل قال نعيم بن حماد يعنى إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ذكره البيهقي وغيره وقال ابو شامة عن مبارك عن الحسن البصرى قال: السنة والذى لا إله إلا هو بين الغالى والجافى فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى الذين لم يذهبوا مع أهل الا تراف في اترافهم ولا مع أهل

البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا. وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أتبع الناس للسنّة في زمانه حتى قال ما بلغني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت بها ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك فستل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذي جاء فيهم الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم فقال محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنّة داع إليها فهو الحجة وهو الاجماع وهو السواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقتها واتبع سواها ولاه الله ماتولى وأصله جهنم وساءت مصيراً» ذكر هذه القاعدة الإمام ابن القيم في الباب العاشر في علامات مرض القلب وصحته من «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» ص ٣٨-٣٩ وقال في «مفتاح دار السعادة» ج ١ ص ١٤٧ مانصه (إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون فانهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء - أي الذين هم على الحق - هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عدداً قال ابن مسعود «لا يَكُنْ أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس ليوطن أحدكم نفسه على أن يؤمن ولو كفر الناس وقد ذم سبحانه الأكثرين في غير موضع كقوله (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال «وقليل من عبادى الشكور» وقال «وإن كثيراً من الخطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال بعض العارفين انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب.

مت بداء الهوى والا فخاطر واطرق الحسى والعيون نواظر
لاتخف وحشة الطريق إذا سرت وكن في خفارة الحق سائر

وقال في الجزء الثالث من «إعلام الموقعين» ص ٣٩٧-٣٩٨ (اعلم أن الاجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الأودى صحبت معاذاً باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت من بعده أفضه الناس عبد الله بن مسعود فسمعتة يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ثم سمعتة يوماً من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت: يا أصحاب محمد ما أدرى ما تحدثون، قال: وما ذاك قلت تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول لى: صل الصلاة وحدك وهى الفريضة وصل مع الجماعة وهى نافلة قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفضه أهل هذه القرية أتدرى ما الجماعة؟ قلت: لا،

قال : إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك وفي لفظ آخر: فضرب على فخذى وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ماوافق طاعة الله تعالى. وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره. وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال أتدري ماالسواد الاعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصاير وقالوا من شذ شذ به في النار. وماعرف المختلفون أن الشاذ ماخالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيراً فكانوا هم الجماعة. وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة واتباعه كلهم هم الشاذون وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة. ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة ياأمير المؤمنين أأنت وقضاتك وولاك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله ماأشبه الليلة بالبارحة وهى السبيل المهيح لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم و ينتظرها خلفهم «(من المؤمنين رجال صدقوا ماوعدهوا الله عليه فممنهم من قضى نجبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلاً)» ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم» ١٠١هـ، كلام ابن القيم وذكر الشاطبى في الجزء الأول من الاعتصام ص ٢٩٣-٢٩٤ أن المراد بالجماعة المأمور باتباعها في الحديث المتبع للسنة وإن كان رجلاً واحداً في العالم ثم قال «قال بعض الحنابلة لا تعباً بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهويل أو بدعوى أن لاختلاف في ذلك وقائل ذلك لايعلم أحداً قال فيها بالصحة فضلاً عن نفى الخلاف فيها وليس الحكم فيها من الجليات التي لايعذر المخالف فيها» قال وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد بن حنبل: من ادعى الاجماع فهو كاذب وإنما هذه دعوى كثير وابن عليه يريدون أن يبطلوا السنن بذلك يعنى أحمد أن المتكلمين في الفقه على أهل البدع إذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا هذا خلاف الاجماع وذلك القول الذى يخالف ذلك الحديث لايحفظونه الا عن بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة مثلاً فيدعون الاجماع من قلة معرفتهم بأقاويل العلماء واجترائهم على رد السنن بالآراء حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام فلا يجد لها معتمداً إلا أن يقول هذا لم يقل به أحد من العلماء وهو لايعرف الا أن أبا حنيفة أو مالكا لم يقل بذلك ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين واتباعهم

ممن قال بذلك خلقا كثيرا ففى هذا الكلام ارشاد لمعنى مانحن فيه وأنه لا ينبغي أن ينقل حكم شرعى عن أحد من أهل العلم الا بعد تحققه والتثبت لأنه مخبر عن حكم الله فإياكم والتساهل فإنه مظنة الخروج عن الطريق الواضح إلى البنيات ، وقال في الجزء الثاني من «الاعتصام» ص ٢٣٠ (روى أبو نعيم عن محمد بن القاسم الطوسى قال سمعت إسحاق بن راهويه وذكر في حديث رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم» فقال رجل يا أبا يعقوب من السواد الأعظم؟ فقال: محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه ومن تبعهم ثم قال سأل رجل ابن المبارك: من السواد الأعظم قال : أبو حمزة السكرى ثم قال إسحاق في ذلك الزمان يعنى ابا حمزة وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه ثم قال إسحاق لو سألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا: جماعة الناس ولا يعلمون الجماعة عالم متمسك بأثر النبى صلى الله عليه وسلم وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ثم قال إسحاق لم أسمع عالما منذ خمسين سنة كان أشد تمسكا بأثر النبى صلى الله عليه وسلم من محمد بن اسلم «قال الشاطبى بعد ذكر هذا من طريق أبى نعيم» فانظر في حكايته تبين غلط من ظن أن الجماعة هى جماعة الناس وان لم يكن فيهم عالم وهو وهم العوام لافهم العلماء فليثبت الموفق في هذه المزمة قدمه لكي لا يضل عن سواء السبيل ولا توفيق إلا بالله».

القاعدة الرابعة في ابضاح ماطلق عليه لفظه (السنة)

يطلق لفظ (السنة) على ما جاء منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام كان بياناً لما في الكتاب أولاً ويطلق أيضاً في مقابلة البدعة فيقال فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً، ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك وكان هذا الاطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة وإن كان العمل بمقتضى الكتاب. ويطلق أيضاً لفظ «السنة» على ما عمل عليه الصحابة وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد^(١) لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهدوا مجتمعاً عليه منهم أو من خلفاءهم فإن إجماعهم إجماع. وعمل خلفاءهم راجع أيضاً إلى حقيقة الإجماع من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم فيدخل تحت هذا الاطلاق المصالح المرسلات والاستحسان كما فعلوا في حد الخمر وتضمين الصناعات وجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين وما أشبه ذلك ويدل على هذا الاطلاق قوله عليه الصلاة والسلام «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» وإذا جمع ما تقدم تحصل منه في الاطلاق أربعة أوجه قوله عليه الصلاة والسلام وفعله وأقراره وكل ذلك إما متلقى بالوحي أو بالاجتهاد بناء على صحة الاجتهاد في حقه وهذه ثلاثة والرابع ما جاء عن الصحابة أو الخلفاء. وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والقرار ولكن عد وجهاً واحداً إذ لم يفصل الأمر فيما جاء عن الصحابة تفصيل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم».

ذكر هذا كله الشاطبي في الجزء الرابع من «الموافقات» ص ٣-٧ وبين مراده بقوله «يدل على هذا الاطلاق قوله عليه الصلاة والسلام (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) يبينه قوله في الجزء الأول من «الاعتصام» ص ١٤٦ بصدد الكلام على عمل الخلفاء الراشدين بالمصالح المرسلات مانصه (وفي الصحيح قوله

(١) أى سواء عثرنا عليه في السنة أو لم نثر عليه فيها لقول الشاطبي بعد ذلك «لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم».

صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور» فأعطى الحديث كما ترى أن ماسنه الخلفاء الراشدون لاحق بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ماسنوه لا يعدو أحد أمرين إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعى فذلك سنة لا بدعة وإما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك ولكن هذا الحديث دليل على اثباته سنة إذ قد اثبتته كذلك صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة ولذلك أردف اتباعهم بالنهى عن البدع بإطلاق ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع».

القاعدة الخامسة

في أن من الكلمات ماهو من جيوش الباطل
والتحذير من الانقياد إلى ما كان منها كذلك

قال الشيخ محمد عبده في تفسير قول الله تعالى «ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين»، قال «نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئ ولانزد جر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمارجونهم فيها وإذا قيل لهم في ذلك قالوا ماذا نعمل ما في اليد حيلة العامة عمو ، آخر زمان وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الأرض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين» وقد علق السيد رشيد رضا في تفسير المنار» ج ٢ ص ١٨-١٩ تعليقا جيدا على كلام شيخه هذا فقال «وأعجب من هذا الذي ذكره الإمام — أى الشيخ محمد عبده — أنك ترى هؤلاء المعترفين بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها ويسفهون رأيه ويعدون عابثا أو مجنوناً إذ يحاول مالا فائدة فيه عندهم فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين. وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى أن إزالة هذه المنكرات والبدع ومقاومة هذه الأهواء والفتن جناية على الدين ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين فإذا أنكرها العلماء عليهم نزول ثقتهم بالدين كله لابلها خاصة وبأنها لا تخلو من خير يقارنها كالذكر الذى يكون في المواسم والاحتفالات التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى إن الذكر الذى يكون فيها ليس من المعروف في الشرع. والسبب الصحيح في هذا كله هو محاولة إرضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعا ومنكرات عليها. إنهم إنما سكتوا بالثمن «اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا» وهم مع ذلك يظهرون التعجب من جحود أهل الكتاب للنبي والقرآن وما كانوا أشد منهم جحودا ولا أقوى جوداً».

القاعدة السادسة

في التحذير من وضع العوائد موضع السنن

قل أن يظهر الحق مع العوائد الابتأييد وتوفيق من الله سبحانه وتعالى ولاجل العوائد وماألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم إن هذا إلا سحر مبين سحر مستمر. سحر يوثر. أن امشوا واصبروا على آلهتكم. أجعل الآلهة لها واحدا. ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة. إن هي الا حياتنا الدنيا إلى غير ذلك من الالفاظ التي كفروا بها بسبب ماتربوا عليه ونشأوا فيه فالخذر الخذر من هذا السم فإنه قاتل وممل مع الحق حيث كان وكن متيقظا لخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع وا قبل نصيحة أخ مشفق فإن الاتباع أفضل عمل يعمل المرأ في هذا الزمان والله يوفقنا وإياك لما يرضاه بمنه فانه القادر عليه ذكر هذا ابن الحاج في ج ٢ من «المدخل ص ٢٦٢-٢٦٣ وذكر في الجزء الثالث منه ص ٩٧-٩٨ أن النفوس تميل غالبا إلى مايكثر ترداده عليها ثم قال «ومن هاهنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى إنك إذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فإن طالبتة بالدليل الشرعى لم يقدر على ذلك إلا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدى وجدى وشيخى وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ماأنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجمل الغفير وقد تقدم إنكار بعض العلماء على الإمام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتاج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والأعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال.

القاعدة السابعة في أن سكوت العلماء عن الأفعال التي لا تليق يؤدى إلى انقلاب الحقائق

لا شك في أن سكوت بعض العلماء عن الأفعال التي لا تليق يؤدى إلى انقلاب الحقائق إذ إن مرتكبيها لو ارتكبوها وهم يعتقدون أنها بدعة لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم أن فعل ذلك من إظهار شعائر الإسلام وإذا تقرر هذا عندهم فلا يتوب أحد من إظهار الشعائر وفعلها ذكر ذلك ابن الحاج في الجزء الثانى من «المدخل» ص ٣١٣ بصدد كلامه على ما يرتكب من البدع في ليلة الختم من رمضان حتى في وقت الصلاة قال «فمن أراد السلامة من هذا الأمر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فإن عدم الاستطاعة فلا يصلى فيه — أى في ذلك الموضع الذى ترتكب فيه البدع — تلك الليلة لأن بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون حجة إن كان قدوة للقوم بأن ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول: قد كان سيدى فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضى به وهذا والحالة هذه زيادة في الدين وهى مسألة معضلة إذ إن إثم ذلك كله على من فعله أو امر به أو استحسنه أو رضى به أو أعان عليه بشيء ما أو قدر على تغييره بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب هذا جهده والله الموفق.

القاعدة الثامنة في أن كلام من يحاول اظهار بدعة دائما يكون متناقضا

جرت سنة الله عز وجل فيمن يحاول إخماد سنة وإظهار بدعة أن كلامه يكون متناقضاً متبايناً فالرد عليه من كلامه فكفى الغير مؤنة ذلك إذ إن الحق واحد لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص قال الله سبحانه في كتابه العزيز (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ذكر هذه القاعدة ابن الحاج في الجزء الرابع من «المدخل» ص ٢٦٢ وهى واضحة غاية الوضوح في كتابات الشيخ محمد بن علوى في المولد فانها كثيرة التناقض وشديدة الاضطراب.

انتهت هذه القواعد التي لابد لمن يريد الحق من الانتباه لها وبانتهائها انتهى هذا الرد والله أسأل أن أكون موفقا فيه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اسماعيل بن محمد الانصارى

رقم الإيداع: ١٦/٠٦٥٤



مطابع المنزدة في التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣